١

تأثير داروين

وأثره على

النازية - علم تحسين النسل - الوراثة البشرية - التميز العرقي

الشيوعية - الرأسمالية - والتحيز الجنسي

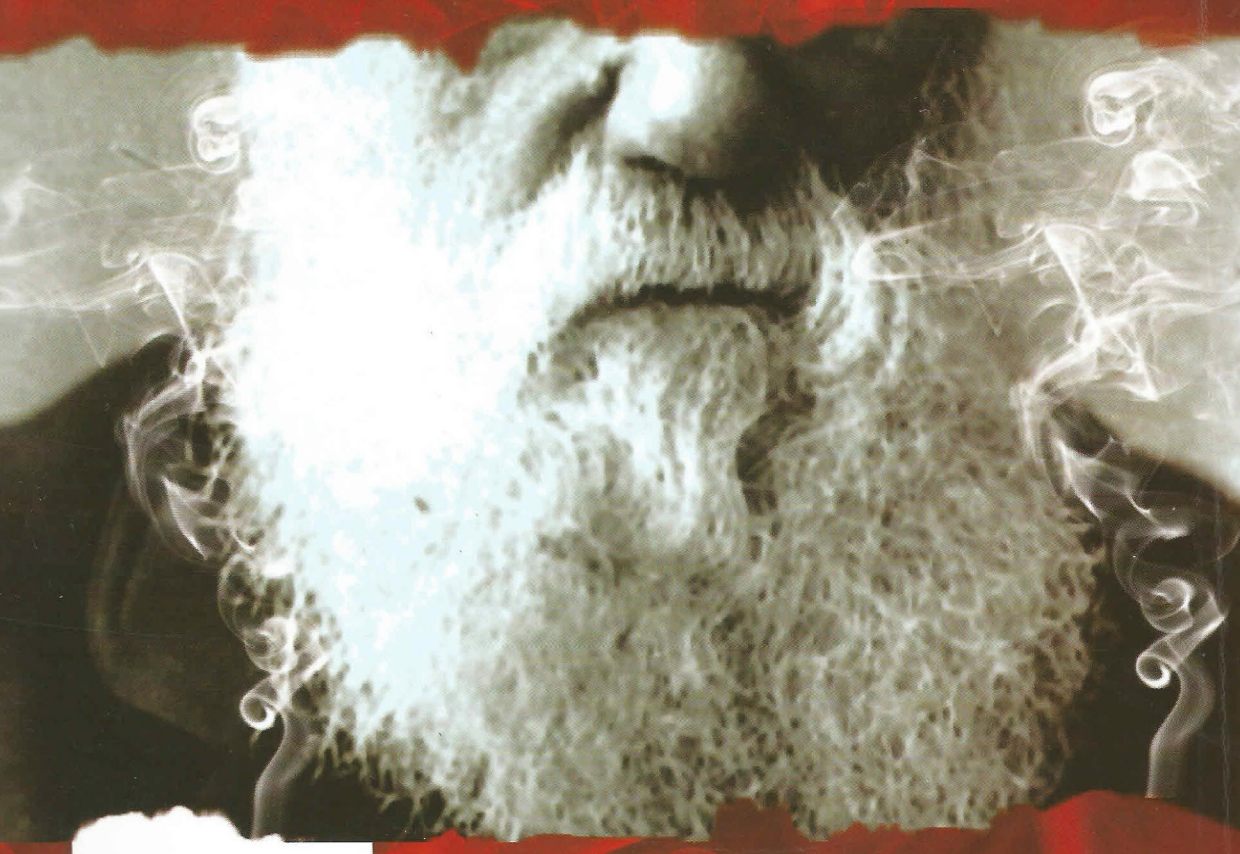

جيري بيرجمان

أستاذ علم الأحياء البشرية

ترجمة

القسم العلمي بمركز تبصير

تبصير

لتقريب التراث

والرد على الشبهات

تأثير داروين

وأثره على

النازية وعلم تحسين النسل والتمييز العرقي

والشـــيوعية والرأســمالية والتحيز الجنسي

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَة

1440هـ / 2019 م

تحذير: يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أي وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

اسم الكتاب: تأثير داروين

اسم المؤلف: جيري بيرجمان

الطبعة: الأولى

مقاس الكتاب: 17 × 24

عدد الصفحات: 288

رقم الإيداع: 26062/ 2018

الترقيم الدولي: 978-977-85457-3-9

جميع المعلومات الواردة في الكتاب تمثل آراء المؤلف

وليس بالضرورة أنها تمثل آراء مركز تبصير

العنوان: ٣ شارع مسجد الفرقان – القناطر الخيرية – القليوبية جمهورية مصر العربية

التليفون: 01019757010 – 01102260020

website: http://tbseir.com twitter: @tabseir Fb: @tbseir

Email: tabseir@gmail.com

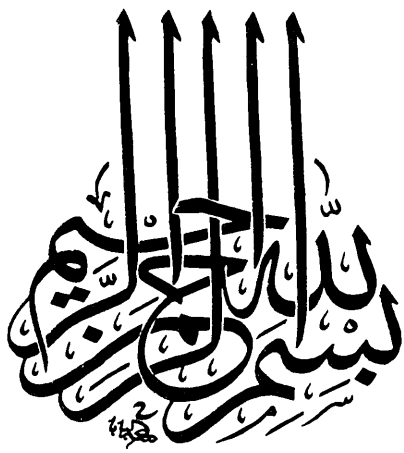
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد ، فإن الداروينية الآن هي أفيون الملاحدة وعليها يُبنى المذهب المادي الإلحادي ، وبدونها ينهار الإلحاد ولا تقوم له قائمة.

وقد نقل الدكتور جيري بيرجمان في هذا الكتاب ما يُظهر عوار الفكرة وخطرها على العقائد والدماء، فهذا هو ستالين السفاح الشهير يستخدم كتاب داروين ككتاب مقدس يُبشر به بالإلحاد، يقول : جي. غليور صديق الطفولة لستالين: "بدأت أتحدث عن الله، فسمعني جوزيف ستالين، وبعد لحظة صمت

قال "أتعلم! إنّهم يخدعوننا، لا يوجد إله."

لقد دُهشت من هذه الكلمات فصِحت به قائلًا: كيف يمكنك قول هذه الكلمات ؟

رد جوزيف قائلًا: "سأُعيرك كتابًا لتقرأه، سيريك أنّ العالم وأنّ كل الكائنات الحية مختلفة تمامًا عما في مُخيلتك وأنّ كل هذا الحديث عن الله هو محض هراء".

استفسرت منه: ما هذا الكتاب؟ "كتاب داروين، يجب عليك أن تقرأه" (ياروسلافسكي 1940، 8-9).

ولو أن الأمر توقف عند هذا الحد من الخطورة لكان أمرًا خطرًا ينبغي التحذير منه وبيان ما فيه من ضلال وتضليل غير أن الأمر أكبر من ذلك بكثير، لقد بدأت الداروينية كفكرة بدائية ثم تطورت حتى صارت منهج حياة ، فلا تجد شخصًا يعتقد بصحة نظرية التطور إلا وقد تغيرت حياته، فمستقل ومستكثر، وفي الكتاب نماذج عديدة سواء كان أصحابها من الحكام أو المحكومين ، وترى التفاوت في أثر الداروينية

عليهم بحسب ما معهم من إمكانات وسُلُطات ، فبعضهم يغرق في بحور الشهوات والعلاقات المحرمة وغيره يغرق في بحور الدم يستمتع بالإبادات الجماعية بحجة تحسين النسل من خلال آلية القضاء على الأقل ملائمة!.

ولأن هذا الموضوع لم يُتطرق إليه بالترجمة – كثيراً إلى العربية – حرص مركز تبصير على ترجمة هذا الكتاب الماتع.

ولا ننسى أن نشكر د.جيري بيرجمان على ما بذله في الكتاب من جهد وعلى حرصه على ترجمة الكتاب إلى العربية من خلال مركز تبصير.

والله اسأل أن يجعل هذا الكتاب حجة لنا لا علينا وأن يهدي به وأن ينفع به وأن يجعله لبنة في مواجهة موجات الإلحاد العاتية ، إنه سبحانه بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الناشر

ماذا يقول الآخرون عن كتاب "تأثير داروين"

أولئك الذين يتحلون "بحافز التذوق الدراسي" سيحفزهم هذا الكتاب باعتباره من المواضيع المتنوعة التي تسلب العقل. فيما تقرأه، ستستشعر عمق وشمول الموضوع، وتستمر في التطلع إلى المزيد من المواد المثيرة للاهتمام حول التأثير الشنيع للداروينية على المجتمع الحديث.

واين فراير، الحاصل على درجة دكتوراه، الأستاذ الفخري لعلم الأحياء، كينجز كوليدج، نيويورك

يعتبر كتاب جيري بيرغمان"تأثير داروين" شامل وجذاب"، ويتكشف الكتاب عبر تفاصيله، وفي الوقت ذاته يدحض دليله القائم على نظرة عالمية مدمرة تمامًا. أوصي بقراءة هذا الكتاب بشدة.

ايمرسون توماس ماكمولين، الحاصل على درجة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة جورجيا الجنوبية

يعد كتاب "تأثير داروين" بمثابة نظرة واقعية للواقع القاتم الذي يعكس ما يحدث للمجتمعات التي يعتقد أفرادها حقًا أن كل ما هو موجود ما هو إلا نتيجة للصدفة والزمن. لا يتحمل بيرغمان لا أي جرم أو ذنب لإلقاء الضوء على العواقب المترتبة على الفكرة الأكثر تدميرًا في القرن التاسع عشر.

ستيفن إي ووديورث، الحاصل على درجة دكتوراه، أستاذ المساعد في قسم التاريخ، جامعة تكساس المسيحية، فورت وورث، تكساس

هذا الكتاب نقيض لقصة "مسحة ميداس". فبدلًا من تحول الأشياء إلى الذهب،

يتحوّل كلّ ما تلمسه النظرة الداروينية للعالم إلى شيء قذر ومتهالك. ويوثق بيرغمان عددًا كبيرًا من الأمثلة التي تُظهر الجانب المظلم من الداروينية - العنصرية والتحيز الجنسي والشيوعية والكراهية وما إلى ذلك، ومع ذلك وعلى عكس قصة ميداس حيث يتعلم ميداس درسًا، وتتم كلها بشكل صحيح، فإلى الآن لا توجد نهاية سعيدة لقصة بيرغمان، لكن ربما يكون هناك أمل - إذا كان هناك عددًا لا بأس به من الأشخاص الذين يدركون ما تفعله الداروينية والنشوء في البشرية.

بروفيسور: ديفيد جيه. أوبيربلير، قسم علوم الحاسب، جامعة اريزونا المسيحية

شـــكر وتقدير

أود أن أوجه الشكر للسيد/ ايميرسون توماس ماكمولين، الحاصل على درجة دكتوراه، وستيفاي وودورث ووين فرير،دكتوراه الحاصل على درجة دكتوراه، وين فرير دكتوراه، الحاصل على درجة دكتوراه ود. ديفيد هيربرت وبروفيسور ديفيد اوبربريللر وبريس جوديان وبيرت ثيمبسون، الحاصل على درجة الدكتوراه وكليفورد ليلوماجستير وروبرت كوفل دكتوراه، الحاصل على درجة دكتوراه، وجودي الين، ممرض مسجل، والبروفيسور إيرون بيرغمان، الحاصل على درجة ماجستير، على تعقيباتهم على مسودات سابقة من هذا العمل. وغني عن القول، أنني أتحمل مسؤلية كافة الأخطاء الواردة. كما أود كذلك أن أوجه جزيل الشكر إلى بولتون دافيد هايزر،، الحاصل على درجة دكتوراه، وجون وودموراب، الحاصل على درجة الماجستير، وإيان تايلور على ملاحظاتهم على المسودات السابقة لهذا الكتاب.

المحتويات

تمهيد بقلم الدكتور ديفيد هربرت 11

الفصل الأول: المقدمة 13

الفصل الثاني: أصول العنصرية البيولوجية 40

الفصل الثالث: ابن عم داروين، السير فرانسيس جالتون وحركة تحسين النسل 71

الفصل الرابع: العنصرية شرحها كبار الداروينيين لما يزيد عن قرن 101

الفصل الخامس: هربرت جورج ويلز: تلميذ داروين واخصائي تحسين النسل الفذ 128

الفصل السادس: الداروينية والإبادة الجماعية في تسمانيا 146

الفصل السابع: وصول حركة تحسين النسل تأتي إلى أميركا 179

الفصل الثامن: تأثير الداروينية الهام على حركة كو كلوكس كلان 213

الفصل التاسع: استغلال غير الغربيين للدليل التطوري..... 256

الفصل العاشر: أوتا بنغا: عرض القزم في حديقة الحيوان 285

الفصل الحادي عشر: الداروينية واستغلال البشر المشوهين 324

الفصل الثاني عشر: درس الداروينيين أن الإناث أقل شأنًا من الذكور 356

الفصل الثالث عشر: تأثير الداروينية الحاسم على الرأسمالية الوحشية..... 404

الفصل الرابع عشر: التأسيس الدراوينية للمحرقة الشيوعية..... 429

الفصل الخامس عشر: كيف ألهمت الداروينية المحرقة الشيوعية الصينية 477

الفصل السادس عشر: نظرية الجريمة الداروينية: فصل مأساوي في التاريخ 500

الفصل السابع عشر: الداروينية والمحرقة الشمولية في القرن العشرين 534

التمهيد

في ربيع عام 2008 وخارج بوابات جامعة ويسترن أونتاريو، اقتربت من طالب فلسفة في السنة الثانية ، وسألته عما إذا كان سينجز استبيانًا يتعلق بالكتاب خاصتي الذي يحمل العنوان" الآراء الدينية لتشارلز داروين (2009). وفي محادثة لاحقة معه كونه مجاهرا بالإلحاد والتطور ، أعرب بكل وضوح أن كافة القيم الأخلاقية كانت نسبية تمامًا. وسألته إذا تحرش رجل بفتاة تبلغ من العمر سبع سنوات (وهذا كان عمر حفيدتي آنذاك)، هل يعتبر مثل هذا التصرف خطأ. أجاب بهدوء، "بالطبع لا! عليك أن تتذكر أننا لسنا أكثر من الحيوانات".

يتعقب أحدث كتاب لدكتور جيري بيرغمان جذور أسلوب التفكير الجامد لهذا الطالب الجامعي، وهذا الكتاب بعنوان "تأثير داروين". حيث حدد دكتور برغمان على نحو صحيح المؤلفات حول النشوء لتشارلز داروين، لا سيما" (كتاب "أصل الأنواع" – 1859) و"أصل الإنسان" (1871)، بوصفه عاملًا مساهمًا رئيسيًا. ولقد ظهرت نظرية التطور في عالم واقعي طبيعي بوصفها منظورا دينيا مهيمنًا في القرن العشرين. وخلال هذا الإطار الزمني، ترك علم تحسين النسل – تطبيق العقيدة التطورية على البشر – مجزرة لا توصف في أعقابها.

أسس ودعا فرانسيس جالتون، وهو ابن عم تشارلز داروين إلى حركة تحسين النسل. لم يشهد على الإطلاق المعاناة التي تعرض لها العالم بأسره نتيجة لفلسفته الشريرة هذه، وذلك حيث أنه توفي في عام 1911. لقد غرس علم تحسين النسل في عقول هؤلاء الأوتوقراطيون المهووسون مثل أدولف هتلر وجوزيف ستالين والرئيس ماو وبين أيديهم وأسفر عن غضب عارم، وقد قدر الدكتور بيرغمان أن هذا الثلاثي

الشيطاني تسبب في موت 400 مليون شخصًا.

يشتهر هربرت جورج ويلز، وهو كاتب غزير الإنتاج، حيث ألف نحو 100 كتابا، بكتابه الذي يحمل عنوان"الخطوط العريضة للتاريخ – 1920" " The Outline of History " والذي بيع منه على نحو لافت حوالي مليوني نسخة. ولا يدهشنا تحيزه التطوري المتحمّس، حيث أنه في الحقيقة كان تلميذًا لتوماس هنري هكسلي، وكان يطلق عليه اسم"تابع داروين" " Darwin's bulldog" لكن ماكان يسبب الانزعاج هو التزامه الراسخ بعلم تحسين النسل. وقد دعا علنًا إلى القضاء على ما يسمى "بالأجناس الغير لائقة"،- ويقصد بهم أولئك الذين يعانون من الأمراض المستعصية والمرضى العقليين والمعاقين. وعلاوة على ذلك، كان يتعاطف مع النازية ورغبتهم في تشكيل الجنس الأري السامي.

يوضح الدكتور بيرغمان في تصوره المؤثر حول أوتا بينغاالتأثيرات الكارثية التي يمكن أن تحدثها الداروينية على الفرد. تعد الإساءة في معاملة هذا االقزم الكونغولي وانتحاره في النهاية أحدى أتعس اللحظات التي تجسد العنصرية الأمريكية. وهذا الكتاب الذي تمت دراسته بشكل متعمق هو ملحق لمجلد رائع لـ د. بيرغمان "الجانب المظلم لتشارلز داروين (2011).

وكتب

د.ديفيد هربرت

مؤرخ (www.diherbert.ca)

(حصل الدكتور هربرت على درجة الدكتوراه من جامعة تورنتو).

المراجع

Herbert, David. Charles Darwin's Religious Views.

.Kitchener, Ontario, Canada: Joshua Press, 2009

الفصل الأول

المقدمة

يوثق هذا الكتاب عدد المرات التي أُستغلت فيها الداروينية في غايات سياسية شريرة، ومدى سهولة ذلك من خلال تشكيلة واسعة من الأشخاص والحركات (سيباستيان وبوهلين، 2009). منذ بداية القرن الماضي كان هناك عدد كبير من الأساتذة والعلماء الداروينيين وكنتيجة لذلك كان هناك تأثير هائل على المجتمع.

على سبيل المثال، كتب المؤرخ البروفيسور عزيز" أنه باستثناء عدة حالات من الشجاعة المنفردة، فقد قبلت الجامعة الألمانية بأكملها دون اعتراض، فكرة أن الأشخاص العاملين في المجال الطبي يتعين أن يتواطئوا في المجزرة" فيما يسمى بالإنسان الأقل لياقة خلال الحكم النازي في ألمانيا (عزيز 1976، 113). وأضاف عزيز أن "ما يقرب من ثلث رؤساء قسم الطب النفسي [في ألمانيا النازية] كانوا يشاركون في برنامج [تحسين النسل] كخبراء في اختيار والقضاء على المرضى العقليين" (عزيز 1976، 113). وفي كافة أنحاء العالم، حتى العديد من اليهود شاركوا أو دعموا علم تحسين النسل، على الرغم من أنه مناقض لاستنتاج اختصاصيي تحسين النسل الألمان، إلا أن المجموعات العرقية التي كانوا يعتقدون أنها أدنى درجة لم يكونوا جميعًا من اليهود (جلاد 2011)

هذا الكتاب، وكتابين آخرين في هذه السلسلة من، الجانب المظلم لتشارلز داروين وهتلر ونظرة العالم الداروينية النازية.

كيف تسببت الحملة الصليبية النازية لتحسين النسل في أكبر محرقة في تاريخ العالم، والتي وثقت حقيقة أن داروين كان مسؤولاً بشكل مباشر أو غير مباشر عن

المزيد من الإبادة والمعاناة وتدمير الممتلكات أكثر من أي شخص آخر على مر التاريخ. وكما أوضح هذا الكتاب، فإن أفكاره لم تكن مصدر إلهام للنازية فحسب، بل ألهمت كذلك الشيوعية والرأسمالية الوحشية، مما أودى بحياة ما يقدر بنحو ربع مليار شخص. وقد وثَّق باريت وآخرون أنه في القرن الماضي، قد قُتل نحو 45,5 مليون مسيحي، وهو عدد كبير على وجه التحديد عبر الحركات المستمدة عقيدتها من تشارلز داروين، الذي كان بدوره له تأثيرًا بالغًا في كارل ماركس، ,والذي كان على المسيحية ثم تحول إلى الإلحاد كما هو موثق في الفصول 14 و15 (2001). ويقال أحيانًا إن شخصًا آخر كان يمكن أن يحقق ما فعله داروين، وهذا القول قد يكون صحيحًا، لكن هذا التفسير يشبه القول بأنه لو لم يكن هتلر موجودًا، لكان شخص آخر قد تسبب في نفس الفظائع التي وقعت في ألمانيا، والتي قام بارتكابها هتلر. لذلك لم يكن هتلر رجلاً سيئاً، لأن المحرقة التي قام بها هو وأتباعه المقربون كانت لا محالة ستقع .

يُقصد بالداروينية هي النظر إلى الأصول التي أنشأها تشارلز روبرت داروين (1809–1882) . يُطلق على هذا الرأي في كثير من الأحيان اسم "الداروينية الحديثة" نظرًا لإدخال العديد من التعديلات على نظرية داروين، بما في ذلك وجهة النظر التي تقول إن المصدر الرئيس للنوع هو الطفرة بدلاً من نظرية داروين شبه اللاماركية. وتذهب الداروينية الحديثة إلى أن الجزيئات البسيطة، مثل الميثان والماء والهيدروجين والأمونيا، تطورت إلى كافة أشكال الحياة من البكتيريا إلى البشر عن طريق الانتقاء الطبيعي للأخطاء الجينية التي تسمى الطفرات عن طريق الانتقاء الطبيعي (البقاء للأصلح) والفرصة، وتفوق القانون الطبيعي، بالإضافة إلى فترات زمنية هائلة.

تتراوح الانتماءات السياسية لأولئك الذين استغلوا داروين بسبب الشر بين ما يسمى باليمين الراديكالي إلى أقصى اليسار المتطرف. وسيُسرد تاريخ دور الداروينية الحاسم في الشيوعية والرأسمالية وعلم تحسين النسل والنازية والتمييز على أساس الجنس = ويوثق في الصفحات التالية بطريقة نثرية تشبه الرواية التاريخية (إلا أنها حقيقة)، على الرغم من وجود العنصرية قبل أن ينشر داروين كتابه "أصل الأنواع" عام 1859، لكن الداروينية أعطت " نظرية التسلسل الهرمي العرقي الفائق للبشرية " احترامًا وسلطة علمية ، مما زاد من مشكلة العنصرية في العالم الغربي بمستويات مرتفعة (جولد 1977، 127)، وجزء من المشكلة يكمن في خلق عقيدة جديدة في القرن التاسع عشر، وهو العلم.

حتى تلك المعتقدات مثل العلمانية وحتى الأكثر عقلانية أكدت أن العلم سينتزع كل الأسرار الكونية من الكنائس، وأن العلم ذاته سيتولى [توجيه المجتمع].... وستُحل كافة مشكلات البشرية من خلال التوصل إلى حلول طبيعية واجتماعية (جونز Jones 2002-299-300)،

ويوضح هذا الكتاب ما حدث نتيجة لخلق هذا الإله الجديد.

إن الاعتراض الرئيسي على استنتاجاتي هو الملاحظة الصحيحة أن العوامل الأخرى ساهمت كذلك في الشرور التي نوقشت في الصفحات التالية. وليس لدي أي اعتراض على هذه الملاحظة. وبالرغم من ذلك يدور هذا الكتاب ،حول التأثير االهام للداروينية في تحسين النسل والعنصرية والتمييز على أساس الجنس والرأسمالية والنازية والشيوعية. وهناك العديد من الكتب والمقالات الأخرى التي قيمت العوامل الأخرى التي تؤثر في هذه "المذاهب"، ولكن هذه العوامل ليست هي محور هذا الكتاب. لقد وُثقت

الداروينية في الدراسات العلمية، كونها تمتلك تأثيرًا بالغًا على كافة هذه الشرور في القرن العشرين، ويحاول هذا العمل فهم بعض تفاصيل هذا التأثير (بيرغمان 2012)

لم تقدم الداروينية أية اسهامات ضخمة للمنفعة العملية للإنسانية، على الأقل مقارنة باكتشاف الحمض النووي أو المضادات الحيوية أو اختراع الترانزستور أو رقاقة الكمبيوتر أو التصوير بالرنين المغناطيسي. لقد وُضعت الداروينية في مقدمة الإعلام والتقدير العلمي، مع كونها ليست بحقيقة علمية أو تاريخية، بل من خلال برنامج علاقات عامة ضخم ومكلف يُدفع له من أموال الضرائب (سيويل 2009)

ينصب التركيز هنا على النتائج العملية والسياسية لتطبيق الداروينية على المجتمع وليس على صحته. ويتمحور التركيز الأول في غالبية الفصول حول حركة تحسين النسل المستوحاة من الداروينية، والتي اجتاحت العالم لفترات رئيسية من القرنين الماضيين، ومازالت تؤثر في الكثير منها اليوم ،في بحث علم تحسين النسل تتمثل إحدى القضايا في فهم "كيف لمجموعة متماسكة من العلماء أن يذهبوا (وغالبية الممثلين الرئيسيين في هذه القصة كانوا علماء – علماء أحياء وعلماء حيوان وعلماء نفس وأطباء) يذهبوا في محاولة للترويج لفكرة مقتصرة لدى العامة؟ كيف قاموا بالتنظيم والحشد والتأثير على السياسيين؟ وكيف نجحوا في سن قوانين تتناسب مع أغراضهم الأيديولوجية (سيويل 2009 – 11–12)

يشرح هذا العمل الضرر الهائل الذي نجم عن هذه الحركة المقتصرة على فئة معينة من المجتمع، ويوثق بدقة هذا الاستنتاج بمئات المراجع.

كتب دانيال دينيت أن التطور هو حمض عالمي يذيب كل نظام معنوي وأخلاقي يصادفه (1995). وإن مدى التطور هو في الواقع مثل "حمض عالمي" يساعد في

تفسير الانحلال المجتمعي والذي سيتم سرده بشيء من التفصيل. وبالنسبة لبعض الأشخاص فأن التطور يقدم حتى تفسير وتبرير عند بعض التطوريين للاغتصاب (ثورنهيل وبالمر 2000)

يُعلِم التطور أن الطبيعة تختار تلك الكائنات الحية التي تترك ذرية أكثر، وكلما كان الشخص أكثر عدوانية جنسيًا، كلما زاد تكاثره، وينقل الجينات التي تسبب العدوان الجنسي إلى عدد غير متجانس من النسل. ونتيجة لذلك يعلم الدارونيون أن هذه السمة ستصبح أكثر شيوعًا بين السكان.

تغطي العديد من مقالاتي العلمية التأثير العكسي للداروينية على المجتمع، لكن الهدف من هذا الكتاب هو إعداد عمل قابل للقراءة، ومثير ومدعوم جيدًا يوثق هذا الارتباط. أحد التأثيرات المعاكسة الرئيسة للداروينية، وهى فكرة علم تحسين النسل، وهو مصطلح صاغه ابن عم داروين فرانسيس جالتون (1822 - 1911).

علم تحسين النسل هو الاعتقاد بأن التحسينات في المجتمع تتطلب استيلاد أشخاص أفضل باستخدام تقنيات مشابهة لاستيلاد حيوانات أفضل. ويعلّم "تحسين النسل" أن البشر إنما هم مثل الحيوانات تمامًا ، واستخدام التعقيم القسري، أو في الحالات القصوى التي يتم فيها قتل الأشخاص الأقل شأنًا مثلما فعل النازيون. و "لا شك في الارتباط الوثيق بين [الداروينية] وعلم تحسين النسل ذاته" سوف يتسبب في تطور الجنس البشري في اتجاهات مرغوبة ، و بدت حركة تحسين النسل في "السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى= كأنها شركة عائلية منتمية لعائلة تشارلز داروين" على وجه التحديد.

استبدل ابن داروين ليونارد ابن عمه جالتون كرئيس للجمعية الوطنية لتحسين

النسل في عام 1911. وفي العام ذاته تأسس فرع للجمعية في كامبريدج. وكان من بين أبرز أعضائها ثلاثة من أبناء تشارلز داروين، وهم هوراس وفرانسيس وجورج. وكان أمين الصندوق في المجموعة محاضرًا شابًا في الاقتصاد في الجامعة، وهو جون مايناردكينز، والذي تزوج أخيه الصغير "جيفري" فيما بعد من حفيدة داروين "مارجريت". وفي هذه الأثناء جلست والدة كينز "فلورنسا"، وابنة هوراس داروين "روث" معًا في لجنة جمعية كامبريدج لرعاية المعاقين عقليًا... وهي منظمة رئيسة لعلم تحسين النسل (سيويل 54،2009)

سعى المؤلف إلى عدم تمثيل الداروينية، لكنّه شعر كذلك بأنه مجبر على تغطية التفاصيل التي في الغالب ما تُهمل في الكثير من مؤلفات التطور. والصورة الموثقة في هذا العمل ليست جميلة - ولكنها تجمع بين الحزن والمأساوية. إن كلمات كبار العلماء الداروينيين، مثل تشارلز داروين وإرنست هايكل، والذيت كانت مؤلفاتهم تحمل في طياتها أفكارهم العنصرية بوضوح وغالباً ما سُمح لهم بالتحدث عن أنفسهم.

كما أقنع ريتشارد دوكينز العديد من الأشخاص بأن "هناك حالة دفع لأسفل أو معارضة [قائمة] لأجل التخلي عن أي بحث عن معنى أو هدف أو توجه في الأمور التي تخص البشرية (سويل 8،2009)، ولم يكن المؤرخ دينيس سيويل واثقًا تمامًا من صحة حالة داوكينز:

ربما يكون علم تحسين النسل قد ظل في محله ثابتا حيث بدأ، على هامش الحياة السياسية البريطانية، وهو أمر يمكن مناقشته في قاعات اجتماعات الجمعية العقلانية (وبالنسبة إلى الداروينيين/الملحدين قد أصبح بالفعل محورًا راسخًا). وعلى عكس العديد من النظريات المقصورة علي فئة معينة اليوم... يمكن لحركة تحسين النسل أن

تعتمد على دعم ليس فقط من أسسوها، ولكن كذلك على دعم من أكاديميات كامبريدج وزملاء الجمعية الملكية وعدد كبير من العاملين في مجال الطب ذاته، ثم خلص سيويل إلى أنه تم اطلاق محور الداروينية/الإلحاد. مما يثبت أنها كانت حملة ضغط سياسي لافت. ففي فترة زمنية قصيرة بشكل ملحوظ، انتشرت المفردات والمبادئ الأساسية لعلم تحسين النسل من خلال الطبقة الوسطى، وأصبحت القاعدة تقريبًا وليس الاستثناء. وكان هذا التعميم السريع، لِما ظهر كمجموعة ملتوية من الأفكار أشبه بالطريقة التي تطورت بها الحركة البيئية في عصرنا (سيويل 2009,55)

هتلر والنازية

إن أفضل وأحد الأمثلة الأكثر تطرفًا لمحاولة تطبيق تحسين النسل على البشر هو حزب العمال القومي الاشتراكي أو الحركة النازية. وأوضح هتلر في كتاباته وخطبه أنه كان يعتقد أن جزءًا صغيرًا فقط مما يُنظر إليه عادة للبشرية يتكون من البشر - ولا سيما أولئك الذين تخيل أنهم من أصل شمالي.... أما الباقي - الذي أطلق عليهم اسم "مزيج عرقي" - فهم لا ينتمون إلى الجنس البشري، بل إلى نوع أقل شأناً... ببساطة إنهم حيوانات متنكرة في صورة بشر (كوهن 1967,187)

يوثق البروفيسور نورمان كوهن أن هذه الفكرة العنصرية كانت "متخفية كحقيقة علمية" من قبل الحكومة الألمانية، والعلماء العنصريين والأكاديميين في الجامعات الألمانية الرائدة. ثم استخدمت هذه الفكرة لترويع "أوروبا من القناة الإنجليزية إلى الفولجا" (كوهن 1967، 187). واقتبس كوهن لدعم هذا الاستنتاج، من وثيقة أصدرتها الحكومة الألمانية، تخلص إلى أن البشر من خارج بلدان شمال أوروبا أو الغير آريين هم

مخلوقات دون بشرية تبدو بيولوجيًاكما لو كانت من النوع ذاته تمامًا ومنحته الطبيعة الأيدي والقدمين ونوع من الدماغ، مع عينين وفم - مع ذلك هناك اختلاف كلي، مخلوق مخيف، هو مجرد محاولة ليكون إنسان، مع ما يشبه الوجه البشري، ولكنه أقل في العقل والروح من أي حيوان (كوهن 1967، 188).

أدولف هتلر وبينيتو موسوليني في أكتوبرعام 1936، مع إعلان ألمانيا وإيطاليا لتحالفهم

أوضحت الوثيقة أن داخل أشباه البشر هؤلاء "فوضى قاسية من المشاعر الوحشية الجامحة: رغبة محمومة للتدمير وأكثر الشهوات بدائية،والدنائة السافرة" (مقتبس من كوهن 1967، 188). وخلصت الدراسة إلى أنه يجب القضاء على هؤلاء الأشخاص

الأضعف لصالح المجتمع، وكما توضح الفصول من 1 إلى 11 من هذا الكتاب، فإن وجهة نظر هتلر كانت متأصلة في الداروينية (بيرغمان 2012). إن انتقال حركة علم تحسين النسل من النظرية إلى السياسة، ثم إلى السيطرة الاجتماعية يتطلب توسيع انتشار وكالات الدولة وتوسيع نطاقها للدخول في حياة الفقراء بل وتوجيهها في النهاية. ويقول ليونارد داروين: "سيُنشأ بلا شك نظام لمراجعة تاريخ العائلة لكافة أولئك الذين أدرجوا في السجل على أنهم مختلين عقليًا بلا جدال ."

خاصة فيما يتعلق بالوقوع في الجريمة والجنون واعتلال الصحة والافتقار إلى وجود أقارب لهم.... إذا تم كل هذا، فإنه بالكاد يمكن الشك في اكتشاف العديد من السلالات التي لا يمكن لأحد أن ينكر أنها يجب أن تموت لصالح الأمة [حيث أصبح ذلك في ألمانيا خطوة قصيرة نحو المحرقة] (سيويل 2009 -54-55)

وكانت النتيجة هي المحرقة ؛ ولقد تم تحرير معسكر الاعتقال النازي "داخاو" من قبل الجيش الأمريكي قبل ما يقرب من شهر من وصول كتيبة المهندسين الخامسة عشر في مايو عام 1945. وكان الجندي مارتن جاوديان من الولايات المتحدة مجند في تلك الكتيبة. وكتب أن أول ما رآه لدى وصوله إلى داخاو كان طفلًا يبلغ من العمر ما بين 8 إلى 10 سنوات يقف بجانب فرن يتحدث إلى جندي آخر. وكان يعرض عليه بعض صور الجثث التي وضعت في الأفران. وكان لديه العديد من الصور التي باعها للجندي. وذكر أن والديه تعرضوا للغازات والحرق. وفي اليوم ذاته أتذكر رؤية برج الماء الذي استخدمه الأطباء لإجراء تجارب لمعرفة مدى بقاء البشر على قيد الحياة خلال الأشهر الباردة في المياه المتجمدة. ثم أتذكر رؤية هذا المستودع الضخم الذي لا يبعد كثيرًا عن

المبنى المصنوع من الطوب الذي أقمنا فيه. ومشيت إلى المبنى وذهبت إلى الداخل. الجزء الأول الذي دخلت فيه كان مثل غرفة دخول صغيرة بها رفوف على الحائط. وكان هناك رف كبير يحتوي على جرات فيها أجزاء بشرية في محلول سائل. أتذكر رؤية العين والأذن والقلب والأعضاء التناسلية والأصابع وما إلى ذلك. ثم دلفت إلى قسم المستودع في المبنى. وكانت هناك طاولات ضخمة محملة بكافة أنواع الأدوات الدقيقة – مثل المنقلة وأدوات القياس والأدوات والكماشات وأجهزة أخرى للحياكة وحراب... كانت الغرفة ضخمة، ربما بطول 200 قدم وعرض 50 قدم (جوديان 2010-1).

ساهمت العنصرية الداروينية ليس فقط في علم تحسين النسل، ولكن كذلك في المحرقة. ففي خطاب ألقاه القائد الألماني لأوكرانيا المحتلة في 5 مارس 1943 إريك كوخ قال : "إن الآريين هم السلالة الرئيسة، ويجب أن تحكم بحسم وقوة... سأخرجهم جميعًا من هذه البلاد. لم آتي لنشر السعادة.... يجب على السكان العمل والعمل والعمل مرة أخرى.... لقد جئنا إلى هنا لوضع أساسًا للنصر. نحن سلالة رئيسة، يجب أن نتذكر أن أضعف عامل ألماني عرقيًا وبيولوجيًا وحيويًا أكثر قيمة ألف مرة من السكان هنا [في أوكرانيا] (مقتبس في بيوتروسكي 1998 -30).

وقد استخلص المؤرخ تادوسيز بيوتروسكي أن" ضخامة رعب تلك المحاولة للإبادة الجماعية ستطارد البشرية إلى الأبد". كما تشاركت الدوافع الداروينية ذاتها كذلك مع الستالينية [نسبة إلى ستالين]، مما أدى إلى نتائج مماثلة، بل كانت اسوأ فقط (جيير وفيتزباتريك 2009). وكانت بشكل خاص مهنة الطب من بين اسوأ الأمثلة على تطبيق الداروينية بواسطة المؤسسة العلمية.

كتب طبيب في معسكر أوشفيتز، دكتور مكلوس نيسلي، أن تطلع الأطباء النازيين لدراسة التوائم من شأنه أن يحل مشكلة التناسل الأسرع للأعراق السامية من خلال التقدم خطوة واحدة نحو فك لغز تناسل الأجناس المتفوقة المقدر لها أن تحكم وكان ذلك "هدف نبيل". إذا كان من الممكن تحقيقه في المستقبل، على أن تحمل كل أم ألمانية أكبر عدد ممكن من التوائم! كان هذا المشروع الذي صممه منظّرو الرايخ الثالث[الحكم النازي] جنونًا تامًا. وكان الدكتور مينجيلي، كبير الأطباء في معسكر اعتقال أوشفيتز كيه زي، "الطبيب الجنائي سيئ السمعة"، تم تفويضه للقيام بهذه التجارب (نيسلي 2011-60).

وأضاف أنه من بين العديد من المذنبين والمجرمين، والنوع الأكثر خطورة كان "الطبيب الجنائي"، وخاصة عندما يكون مستقويًا بصلاحيات مثل تلك الممنوحة للدكتور منجيل. لقد أرسل ملايين الأشخاص إلى الموت لمجرد أنهم - وفقا لنظرية عنصرية - كانوا كائنات دنيا، وبالتالي فهم مصدر ضرر للبشرية (نيسلي 2011-60).

اعتمد د. نيسيلي لطرح هذا الإدعاء على خبرته ومعرفته المباشرة ليستخلص استنتاجه عن الأطباء والنازية. حيث كتب أن منجيل أمضى ساعات طويلة بجانبي، سواء يعمل علي المجهر أو على أفرانه المطهرة وأنابيب الاختبار أو واقفًا بصبر بالقرب من طاولة التشريح، إن ثوبه كان ملطخًا بالدماء، ويداه الدمويتين تفحصان وتختبران. وكان الهدف المباشر هو زيادة تناسل الألمان الخالصين بأعداد كافية لتحل محل التشيكيين والمجريين والبولنديين، الذين كان محكومًا عليهم بالهلاك، لكنهم كانوا يعيشون في تلك اللحظة في تلك الأراضي المعلنة بأنها أماكن حيوية للرايخ الثالث

[النظام الناوي] (نيسيلي 2011، 60).

لقد كتب الكثير عن محرقة اليهود ، لكن هذا الحدث لم يكن سوى جزء من ثمار علم تحسين النسل القبيح. على مقربة من عدد مذهل بنحو 12000 بولنديا قد توفوا في المقاطعات المحتلة نتيجة لبرنامج القتل الرحيم النازي. من هذا المجموع كان 10000 أتوا من المستشفيات من ذوي الإعاقة العقلية. وكان هذا مجرد بداية للخطة النازية لخلق نسل متفوق من البشر، وهو ما تؤكده نية آرثر جرايسر لإبادة 25000 إلى 35000 بولنديًا في كراج وارتي (بيوتروسكي 1998,26).

وكان المبرر المقدم لهذه الجرائم هو أن الضحايا "عانوا من مرض السل"، وهو مرض معدي يعتقد النازيون خطأ أنه مرض وراثي. وأحد الأمثلة التي يتجاهلونها في كثير من الأحيان للعنصرية الداروينية هو أن العديد من اليهود والبولنديين لم يلقوا حتفهم في معسكرات الاعتقال النازية فحسب، لكن كذلك الغجر، الذين مثلهم مثل اليهود قُتلوا بهدف الإبادة كاملة. وعلى الرغم من أن ملك الغجر الأوروبيين ورئيس الغجر في الحكومة العامة، رودولف كفيك عرض التعاون في عام 1942 في مقابل الحصول على معاملة أفضل لشعبه، لكن لم يكن هناك استجابة لاقتراحه، من بين 75000 إلى 85000 من الغجر في بولندا قبل الحرب، تُوفي أكثر من 50,000 (بيوتروسكي 1998,29).

وافترض بيوتروسكي أنه إذا كانت ألمانيا "قد فازت بالحرب، فلا شك أن نطاق برنامج القتل الرحيم النازي من الممكن توسيعه ليشمل كافة أولئك الذي نلم يتمكنوا – لأي سبب كان – من المساهمة في تحسين الوضع الاقتصادي للرايخ الثالث "(بيوتروسكي 1998,28).

وقد استنتج البروفيسور مايكل بورلي من الأدلة أن أهداف هتلر كانت تكاد أن تكون بلا حدود. كما لم يعيق تخطيطه أي استفسارات عن التكلفة سواءً كانت التكلفة البشرية أو غيرها، لأن الحرب في رأيه كانت لها قيمة إيجابية وتجددية "لصحة" النسل والأمة. كما قال "قد يكون أمامنا مائة عام من النضال. إذا كان الأمر كذلك،- فإن ذلك هو الإنجاز الأفضل - وإن كان سيمنعنا من الذهاب إلى النوم (بورليه 1999,343)

على الرغم من أن الاستنتاج العنصري كان عالمياً في يوم من الأيام بين العلماء الداروين، مثل التأكيد على أن "السود كانوا أقرب في النطاق التطوري إلى القردة من الأشخاص البيض"، فإن هذا الاعتقاد تم إقراره "من قبل العلماء اليوم بوصفه خطأ شنيعًا. "للأسف، لم يتحمل العلماء التطوريون المسؤولية عن هذا الخطأ، ولا تزال آثار علم تحسين النسل الداروينى قائمة في أذهان الملايين، مما يؤثر على الاتجاهات نحو العرق في كل مكان(سيويل 2009,19).

والدليل على هذه الحقيقة، أن سيويل أشار إلى أن جيمس واتسون، الحائز على جائزة نوبل،" شرح تكهناته القاتمة حول التطور الاجتماعي والاقتصادي في أفريقيا" بحجة أنه لا يمكننا أن نتوقع "أن القدرات الفكرية للأشخاص المفصولين بيانياً في تطورهم يجب أن يتطوروا ليصلوا إلى مستوى البيض الأعلى تطورًا من حيث التقنية المتطورة (سيويل 2009، 19).

أهمية الداروينية في الحركة الشيوعية

لقد وثق نيال فيرغسون، الأستاذ في جامعة أكسفورد، أهمية الداروينية في نجاح الحركة الشيوعية، كما هو موضح في الفصلين 14 و15، حيث كتب أنه في الوقت

الذي بدأت فيه الشكوك في مهاجمة الماركسيين، فإن تقدمًا في مجال العلوم غير ذي صلة قد وفر مصدراً جديدًا حيويًا لاثبات صحة نموذجهم حول التغيير الاجتماعي. لقد استند إنجلز على بيان داروين الثوري لنظرية الانتقاء الطبيعي على الفور بوصفه دليلًا جديدًا على نظرية الصراع الطبقي - على الرغم من أنه لم يمض وقت طويل قبل أن يقدم العلماء نفس الادعاء النظريون حول الصراع العرقي .

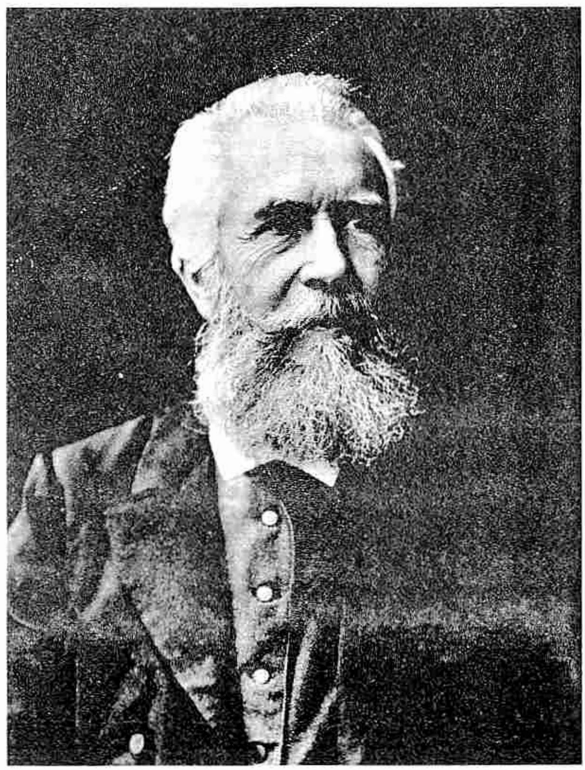

كان إرنست هيجل ألمانيًا، عالم تاريخ طبيعي وبيولوجي

واستاذ علم التطور

الذين أساءوا تفسير رسالة مجمع نظريات داروين بشكل فج. (وفي بعض الأحيان بشكل متناقضة). فقد أخذ بعض الكُتّاب مثل توماس هنري هكسلي وإرنست هايكل بنظريات

جوبينيو العرقية السابقة وقاموا بتحديثها بنموذج بسيط من الانتقاء الطبيعي والتي أصبح فيها التنافس بين المخلوقات الفردية صراعًا بين الأعراق (فيرجسون 1999، 41-42).

وأضاف أن "بيان داروين الثوري لنظرية الانتقاء الطبيعي" سرعان ما أصبح "العملة المشتركة لكثير من الجدل السياسي في مطلع القرن". وأن "الداروينية الاجتماعية" اكتسبت بسرعة مجموعة من الأشكال المختلفة: العمل الزائف من منظري نظريات تحسين النسل... وفي نهاية الأمر، بالطبع الأوهام العنيفة المعادية للسامية لهتلر التي جمعت العنصرية والاشتراكية، فيما اثبتت الإيديولوجية الأكثر تفجرًا في القرن العشرين، لكن ما ربطهم كان دافعهم الحتمي (في بعض الحالات، والعنيف)، واللامبالاة بمفهوم الإرادة الحرة الفردية. بالنظر إلى هذا التقارب الظاهري بين ماركس وداروين - على الرغم من أصولهما الفكرية المختلفة بشكل صارخ - فإنه من غير المستغرب أن الاعتقاد بإمكانية وجود قوانين تاريخية حتمية كان منتشراً للغاية خلال هذه الفترة الزمنية وبعدها (فيرجسون 1999، 42).

وقد وثّق فيرجسون الدور المركزي للعرق في الحركة النازية من خلال تفصيل خططهم بعد فوزهم في الحرب. كافة الأجناس المتدنية، مثل السلالة السلافية (وهي مصدر كلمة عبد التي نتداولها)، والتي ستكون عبيداً للعرق المتفوق، ولن يتمكنوا بموجب القانون من الحصول على تعليم أو يتمكنوا من حكم أنفسهم في نظام يشبه إلى حد كبير نظام العبودية الذي كان في أميركا.

لا يزال علم تحسين النسل معنا حتى اليوم

لم ينتهي "علم تحسين النسل" إلى اليوم، ولكنه أصبح أكثر ذكاءًا. وأحد الأمثلة

على ذلك هو حالة الداروينية الاجتماعية بيكا إيريك أوفينن، الطالب الفنلندي في المرحلة الثانوية الذي يبلغ من العمر 18 عامًا، والذي قتل في السابع من نوفمبر 2007، ستة طلاب وممرضة ومدير المدرسة وجرح أكثر من اثني عشر آخرين في مدرسة جوكيلا الثانوية في جوكيلا، وهي بلدة في بلدية توسولا، فنلندا (وليامز 2007، ثقافة غريبة، مصدر مجهول 2007)

شعر أوفينن بالقلق لأن البشر قد اابطأوا أو عكسوا التطور في المجتمع الغربي، وقرر شخصيًا أن يفعل شيئًا حيال ما اعتبره المشكلة (سيويل 2009,45). وكتب في مدونته أن "االأشخاص الأغبياء ضعفاء العقول يتكاثرون... أسرع من الأشخاص الأذكياء الذي يتمتعون بذهن قوي مثله (سيويل 2009، 45). وأضاف أوفينين أنه يكره المسيحية وغيرها من "الأديان المستعبدة "، وفي المقابل كان يفضل "علم التطور" (مصدر مجهول 2007، 1).

فكر اوفينن بعناية من خلال التبعات الفلسفية لحجة داروين، وخلص إلى أن البشر، مثل كافة الحيوانات الأخرى، ليس لديهم قيمة خاصة لأن التطور قد أثبت أن الحياة كانت دون غرض أو معنى على المدى الطويل، بل كانت ببساطة نتيجة السبب والنتيجة. عملية طويلة من البقاء للأصلح (سيويل 2009، 45) كما كتب: "أنا وجودي ساخر"، و"داروين اجتماعي" و"ملحد"، مضيفًا أن "الحياة هي مجرد مصادفة لا معنى لها" "نتيجة عملية طويلة من التطور والكثير من العوامل والأسباب والآثار"، و"لا توجد قوانين عالمية أخرى من قوانين الطبيعة وقوانين الفيزياء".

وأضاف قائلًا: التطور هو نظرية وحقيقة على حد سواء، وعملية الخلق ليست

واحدة الأشخاصالمتدينون وآلهتك لا شيء ولا توجد إلا في رؤوسكم. أخلاقك لا تعني شيئًا.... الحياة البشرية ليست مقدسة. البشر هم مجرد نوع من الحيوانات الأخرى، والعالم لا يوجد فقط للبشر. الموت [والقتل] ليس مأساة، إنه يحدث في الطبيعة طوال الوقت.... ليست كل الأرواح البشرية هامة أو تستحق البقاء. (أوفينن 2007).

وأردف قائلًا: يجب أن يظل الأفراد المتفوقين (الأذكياء وذوي الوعي الذاتي والعقل القوي) على قيد الحياة، بينما يجب أن يهلك الأفراد الأقل شأنًا (الأغبياء والمتخلفين، وضعيفي الذهن). اليوم أصبحت عملية الانتقاء الطبيعي مضللة تمامًا. لقد عُكست... إن الجنس البشري الحديث لم يخن أسلافه فحسب، بل الأجيال القادمة كذلك. حان الوقت لوضع "الانتقاء الطبيعي" و"البقاء على قيد الحياة للأصلح على المسار الصحيح (أوفينن 2007).

استنتج أوفينن أنه "تطور خطوة أعلى" عن غالبيتنا. كانت حجته أن أفعاله ستؤدي إلى قيام المجتمع بدور الداروينية الاجتماعية بجدية أكبر. وشدد أوفينن على أن الأفلام والتليفزيون وألعاب الكمبيوتر والموسيقى لم تكن مصدر دوافعه لقتل أولئك الذين يحكم عليهم بالدونية ، بل كان الدافع له هو الداروينية (سيويل 2009,46)

علاوة على ذلك، اختار ضحاياه بعناية، " في محاولة للتخلص من أولئك الذين كانوا من وجهة نظره غير لائقين" (سيويل 2009,46). بالنسبة لبعضنا غير المشبعين بالأفكار الداروينية، فإننا ننظر إليه كمضطرب عقليًا، أو على أقل تقدير شابًا شريرًا مضللًا. كان يريد التسبب في إراقة الدماء إلى أقصى حد، وكان معه 500 خرطوشة واستخدم ما مجموعه 69 من علب الخرطوش (مصدر مجهول 2007). إن كلماته كما

طُبعت في بيانه الخاص بالانتقاء الطبيعي، كالتالي:

كيف تحول الانتقاء الطبيعي إلى اختيار أيديولوجي؟ اليوم عملية الانتقاء الطبيعي مضللة تمامًا، لقد عُكست. فقد انحدر الجنس البشري قبل وقت طويل من الآن. إن الأشخاص المتخلفين والأغبياء الضعفاء يتم استيلادهم أكثر وأسرع من الأشخاص الأذكياء ذوي العقول القوية. وتحمي القوانين الغالبية المتخلفة التي تختار قادة المجتمع. والجنس البشري الحديث لم يخن أسلافه فحسب، بل الأجيال القادمة كذلك. الإنسان العاقل، صحيح! هو أشبه بالإنسان الأبله بالنسبة لي! عندما أنظر إلى الأشخاص، أرى كل يوم في المجتمع والمدرسة وفي كل مكان... ولا أستطيع أن أقول إنني أنتمي إلى العرق ذاته مثل الجنس البشري الحقير والبائس والمتكبر والأناني! لا! لقد ارتقيت خطوة واحدة للأمام!

البشر هم مجرد نوع من الحيوانات الأخرى، والعالم لم يوجد فقط للبشر. الموت والقتل ليس مأساة، إنه يحدث في الطبيعة طوال الوقت بين كافة الأنواع. ليست كل الأرواح البشرية هامة أو تستحق البقاء. يجب على الأفراد المتفوقين (الأذكياء وذوي الوعي الذاتي، والعقل القوي) البقاء على قيد الحياة في حين يجب أن يهلك (الأغبياء والمتخلفين وضعيفي العقل).

يوجد كذلك حل آخر للمشكلة: الأشخاص الأغبياء يعيشون كالعبيد والأذكياء يكونون أحرارًا....، هم الذين لديهم عقول حرة، وقادرون على التفكير الوجودي والفلسفي الذكي ويعرفون ما هي العدالة، يجب أن يكونوا أحرارًا وحكامًا... والجماهير الروبوتية، يمكن أن يكونوا عبيدًا لأنهم لا يمانعون ذلك الآن، ولأن عقولهم على مستوى متخلف للغاية. وبالطبع سيحصل أفراد العصابات الذين يحكمون المجتمعات الآن على

ما يستحقونه (ثقافة غريبة، 2007).

واختتم قائلًا: " إن الحياة مجرد مصادفة لا معنى لها... نتيجة لعملية طويلة من التطور والعديد من العوامل والأسباب والتأثيرات "(ثقافة غريبة، 2007)

القتلة الكولومبين - الذين وصفهم سيويل بأنهم " اثنين من هواة الداروينية الاجتماعية" - قاموا بحجج مماثلة مثل التي قام بها أوفينين (سيويل 2009،47)، وقع إطلاق النار في المدرسة في 20 أبريل 1999، في مدرسة كولومبين الثانوية في كولومبين، وهي منطقة غير مدمجة في مقاطعة جيفرسون، كولورادو. شرع طالبان كبيران، وهما ايريك هاريس وديلان كليبولد، في إطلاق نار، مما أسفر عن مقتل 12 طالبًا ومعلمًا ، وإصابة 21 آخرين بشكل مباشر وثلاثة آخرين أثناء محاولتهم الفرار، ثم انتحر الطالبان.

ارتدى "إيريك هاريس" قميصًا مكتوب عليه "الانتقاء الطبيعي" في يوم المجزرة التي أُرتكبت في مدرسة كولومبين الثانوية، وأدلى كل من القتلة بملاحظات على شريط فيديو عن المساعدة في الانتقاء الطبيعي عبر القضاء على الضعفاء بين البشر. كما أنهم أشاروا بشكل متكرر إلى التطور، كل ذلك تجاهلته الصحافة (سيويل 2007).

مثال آخر هو جيمس جاي لي، 43 عاما، الذي سلح نفسه بمسدس وقنابل واحتجز ثلاثة رهائن، واثنين من الموظفين، وحارس أمن في مبنى قناة ديسكفري في ولاية ماريلاند. وشملت مطالبه "يجب علي قناة ديسكفري والقنوات التابعة لها بأن يكون لهم برامج تليفزيون يومية في وقت الذروة... [يضم] كبار العلماء الذين يفهمون ويوافقون على علم مالتوس - داروين "[1].. وطالب الشبكة" بتطوير عروض تشير إلى

(1) إشارة إلى فكر توماس مالتوس والذي كان يدعو إلى أن أنظمة الحكم ليست هي المسؤولة عن البؤس والظلم، وإنما =

العلوم المالتوسية حول كيفية إنتاج الغذاء الذي يؤدي إلى الزيادة السكانية من الجنس البشري. وتحدث عن التطور، وعن مالتوس و داروين حتى يتشبع بها عقول الأشخاص الأغبياء! "(برومفيلد و ميلر 2010).

أطلقت الشرطة النار عليه عندما حاول بتعمد قتل أحد الرهائن. وبينما كان الرهائن مستعدين لمنعه، سمع الضباط الذين كانوا يتنقلون صوتًا ظنوا أنه قد يكون إطلاق نار أو انفجار قنبلة. وردًا على ذلك، أطلقوا النار على **لي** وأردوه قتيلًا، منهيًا بذلك الدراما التي استمرت لما يقرب من أربع ساعات. وكانت قنابل **لي** قنابل أنبوبية محلية الصنع، وقد انفجرت واحدة منها عندما أُطلق عليه الرصاص، وكانت عبارة عن عبوات بروبان تحتوي على قذائف طلقات نارية. وقد عثرت السلطات على أربعة أجهزة مشابهة وقاموا بتفجيرها.

أمضى الرهائن الثلاثة غالبية الوقت ملقيين علي الأرض خلال المواجهة، ولم يقم **لي** إلا بالحديث معهم بشكل متقطع، لكنه قال: "أنا لا أهتم بهؤلاء الأشخاص"، موضحًا أن هدفه في الحصول على الشبكة كان لإظهار أن المزيد من المواد الداروينية

=

تقع المسؤولية على الطبيعة ذاتها. فقد لاحظ مالتوس تزايد كل من السكان والموارد الغذائية مع مرور الزمن، ولكنهما لا يتزايدان بنفس المعدل. ويؤدي هذا الإختلال في معدل الزيادة إلى ظهور المظالم الإجتماعية. ولإبراز فكرته، عمد مالتوس إلى تشبيه زيادة السكان بمتوالية هندسية في حين أن زيادة المواد الغذائية تكون في شكل متوالية عددية. وأشار مالتوس إلى أن السكان قادرون على المضاعفة مرة كل 25 عاماً إذا لم تقم عقبات تحول دون ذلك. أما الإنتاج الزراعي فإنه لا يستطيع مواكبة هذه الزيادة. ويؤدي الإختلال بين الزيادة في السكان والزيادة في المواد الغذائية إلى ضرورة تدخل عوامل خارجية من شأنها إعادة التوازن بين نمو السكان ونمو المواد الغذائية. وقد بين مالتوس في أول الأمر أن هذه العوامل تتكون مما أسماه بالموانع الإيجابية مثل الحروب والمجاعات والأوبئة والأمراض.(الناشر)

أكثر أهمية. وقال قائد شرطة مقاطعة مونتجمري توماس مانجر إن **لي** لم يتوقع الخروج على قيد الحياة، "وأخبرنا عدة مرات على مدار ساعات أنه مستعد للموت" (برومفيلد وميلر 2010).

وهناك مثال آخر إنها قضية القاتل المتسلسل جيفري دامر. في مقابلة مع ستون فيليبس على ديتلاين ان بي سي- NBC ، التي بثت في 29 نوفمبر 1994، قال دامر إنه إذا كان الشخص لا يؤمن أن هناك إلهًا يتحمل المسؤولية أمامه، فما فائدة محاولة تعديل سلوكك ليكون في حدود النطاقات المقبولة؟ هذا هو ما فكرت فيهعلى أية حال. كنت دائمًا أؤمن بنظرية التطور كحقيقة، لأننا جميعًا خلقنا من الطين. تعلمون أننا عندما نموت فلا يوجد شيء، وهذا هو الحال، ومنذ ذلك الحين أعتقد أن المسيح هو حقًا الله، وأعتقد أني وكل شخص آخر سنكون مسؤولًين أمامه (مقتبس من راتكليف 2006 ،55).

قام القس راتكليف، ماديسون، ولاية ويسكونسن، كنيسة كريست مينستر، بتأليف كتاب عن دامر بعد أن أعلن إيمانه بالمسيحية. وتجدر الإشارة إلى أنه تم ازالة هذا المقطع من نسخة اسطوانة الفيديو الرقمية للمقابلة (فيليبس 2006).

تُظهِر هذه الأمثلة القليلة الحديثة مدى سهولة أن تؤدي كتابات داروين، أو على الأقل تأثيرها إلى إتباع طرق التفكير والتصرفات المضطربة للغاية. إن استخدام الإجهاض لتحسين تناسل البشر والبرامج الحكومية للقرارات الطبية المستندة إلى علم تحسين النسل الحديث هي أمثلة أخرى معاصرة (بيرغمان 2008). لا يشعر غالبيتنا بالراحة في حالة ترك هذه الأحكام للعلماء أو السياسيين.

أحد الأمثلة على الإجهاض المستخدم لاستيلاد أطفال "أصحاء" هو امرأة أجهضت أول طفلين لها بسبب إظهار الموجات الصوتية أن لكل منهما إصبعًا إضافيًا. وعلم طبيب الحالة لاحقاً أن الأم قد وُلدت بالحالة ذاتها، والتي كانت في حالتنا تعالج بفعالية من خلال عملية بسيطة إلى حد ما. ومع ذلك ذكر الطبيب أنها اختارت إجهاض طفلين ورثوا عيبها الطفيف، وهو عيب يتسبب في بعض العواقب الوخيمة (إن وجدت) (سيويل 2009).

سلوك هؤلاء من أمثال بيكا - إيريك أوفينن وجيمس لي وإريك هاريس وجيفري دامر، وإن كان على نطاق ضيق، لا يختلف عن المواقف التي كانت شائعة في ألمانيا النازية. إن الإنفجار في علم النفس التطوري، الذي يحاول وصف كل سلوك إنساني على حدا، بما في ذلك الدين والتهميش الجنسي والمصالح المهنية وأخلاقيات العمل كما هو محدد جينياً، هي أمثلة حديثة أخرى.

لقد تسببت الداروينية في تجريد البشر من الإنسانية على نطاق واسع. لقد ضللتنا الداروينية في الماضي، وما زالت تفعل ذلك اليوم - ومن المرجح أن تستمر في فعل ذلك في المستقبل القريب نتيجة لثورات الوراثة والقدرة على اختيار ما يسمى بالأطفال "الأصح" من خلال تقنيات مثل تسلسل الحمض النووي للإخصاب في المختبر. ويجادل بعض الأشخاص بشكل صحيح للدفاع عن داروين بأنه يمكن إساءة استخدام أي شيء - الجنس والمأكل والدين والوقت والنشوء والمال. في حالة الداروينية، كانت الانتهاكات في كثير من الأحيان تطبيقًا مباشرًا ومنطقيًا لنظرة العالم الداروينية للبقاء للأصلح.

المراجع

- Anonymous. 2007. Finland Gunman Suicide Note Found. http://news.bbc.co.uk/2/hi/
- europe/7085329.stm accessed April 18, 2012.
- Auvinen, Pekka-Eric. 2007. The Pekka Eric Auvinen Manifesto. http://oddculture.com/oddcrime/
- the-pekka-eric-auvinen-manifesto/ accessed April 18, 2012.
- Aziz, Philippe. 1976. Doctors of Death. Vol 4, In the Beginning was the Master Race. Geneva: Ferni
- Publishers.
- Barrett, David, George Kurian, and Todd Johnson. 2001. World Christian Encyclopedia. New
- York: Oxford University Press.
- BBC News. 2007. Finland Gunman Suicide Note Found. http://news.bbc.co.uk/2/hi/
- europe/7085329.stm accessed April 18, 2012.
- Bergman, Jerry. 2008. Birth Control Leader Margaret Sanger: Darwinist, Racist and Eugenicist.
- Journal of Creation 22(3):62–67.

- ———. 2012. Hitler and the Nazis Darwinian Worldview: How the Nazis Eugenic Crusade for a
- Superior Race Caused the Greatest Holocaust in World History. Kitchener, Ontario, Canada:
- Joshua Press.
- Burleigh, Michael. 1999, in Ferguson, 1999. Virtual History: Alternatives and Counterfactuals.
- New York, NY: Basic Books, ch. 6, Nazi Europe: What if Nazi Germany Had Defeated the
- Soviet Union.
- Brumfield, Sarah, and Kathleen Miller. 2010. Police: Discovery Channel Hostages Planned
- Escape. http://news.yahoo.com/s/ap/us_discovery_channel_gunman. September 2,
- accessed April 18, 2012.
- Cohn, Norman. 1967. Warrant for Genocide. New York: Harper and Row.
- Dennett, Daniel. 1995. Darwin's Dangerous Idea: Evolution and the Meanings of Life. New York,

- NY: Simon and Schuster.
- Derbyshire, John. 2010. Remarks at a Panel Discussion. University of Pennsylvania Law School,
- April 5, 2010. http://www.johnderbyshire.com/Opinions/HumanSciences/upennlaw.htm
- accessed April 18, 2012.
- Ferguson, Niall. 1999. Introduction to Virtual History: Alternatives and Counterfactuals. New
- York, NY: Basic Books.
- Gaudian, Martin C. 2010. Memories of Dachau Concentration Camp Experience — May 1945.
- Unpublished manuscript. 12/9/2010.
- Geyer, Michael, and Sheila Fitzpatrick. 2009. Beyond Totalitarianism: Stalinism and Nazism Compared.
- Cambridge, NY: Cambridge University Press.
- Glad, John. 2011. Jewish Eugenics. Washington, DC: Wooden Shore Publishers.
- Gould, Stephen Jay. 1977. Ontogeny and Phylogeny. Cambridge, MA: Harvard University Press.

- Jones, J. Sydney. 2002. Hitler in Vienna, 1907–1913: Clues to the Future. New York: Cooper
- Square Press.
- Odd Culture. 2007. Deadly Finnish School Shooting Pekka-Eric Auvinen Goes On Rampage.
- http://oddculture.com/odd-crime/deadly-finnish-school-shooting/, accessed April 18, 2012.
- Nyiszli, Miklos. 2011. Auschwitz: A Doctor's Eyewitness Account. New York: Arcade Publishing.
- Phillips, Stone. 2006. Inside Evil: Serial Killers Jeffrey Dahmer & Son of Sam. New York: NBC
- News. This is the edited DVD version of the show aired on November 29, 1994.
- Piotrowski, Tadeusz. 1998. Poland's Holocaust: Ethnic Strife, Collaboration with Occupying Forces
- and Genocide in the Second Republic, 1918–1947. Jefferson, NC: McFarland & Company.
- Ratcliff, Roy, with Lindy Adams. 2006. Dark Journey Deep Grace. Abilene, TX: Leafwood Publishers.

- Sebastian, Sharon. and Raymond Bohlin, 2009. Darwin's Racists. Yesterday, Today and Tomorrow.
- College Station, TX: VBW Publishing.
- Sewell, Dennis. 2009. The Political Gene: How Darwin's Ideas Changed Politics. London: Picador.
- Thornhill, Randy, and Craig T. Palmer. 2000. A Natural History of Rape: Biological Bases of Sexual
- Coercion. Cambridge, MA: The MIT Press.
- Williams, David. 2007. YouTube Massacre: Schoolboy Gunman Posts Threat on the Internet
- Then Kills Eight. http://www.dailymail.co.uk/news/article-492268/YouTube-massacre-
- Schoolboy-gunman-posts-threat-internet-kills-eight.html, accessed April 18, 2012, and
- http://www.dailymail.co.uk/news/article-492268/YouTube-massacre-Schoolboy-gunmanposts-
- threat-internet-kills-eight.html#ixzz10B9Arehw, accessed April 18, 2012.

الفصل الثاني

أصول العنصرية البيولوجية

لم تكن العنصرية البيولوجية موجودة كما نعرفها اليوم في غالبية التاريخ. العنصرية ظهرت حديثًا بشكل مفاجئ مواز لصعود الفكر التطوري. يمكن إرجاعها إلى عصر النهضة، ليس قبل ذلك. يوثق هذا الفصل أهمية الداروينية في إنتاج مفهوم الجنس البيولوجي، جنبًا إلى جنب مع العنصرية والفتنة التي ازدهرت في أميركا وأماكن أخرى خلال القرنين الماضيين. إذا كانت كافة الأجناس تتناسب بالقدر ذاته، كما هو الحال في الواقع، فإن التطور لا يمكن أن يحدث. ذلك لأنه إذا تمكن جنس ما من النجاة، أو لم ينجو، فذلك يعتمد على الصدفة، وليس على التفوق العرقي المزعوم. فالعرق ليس بيولوجيًا، بل مفهومًا اجتماعيًا.

تاريخ قصير من العنصرية البيولوجية

كان أصل الحضارة الغربية (والعديد من الحضارات الحديثة الأخرى) في أراضي الشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط - وهي منطقة في العالم ما زالت بشكل ما تشبه ما كانت عليه منذ آلاف السنين -: حيث كانت موطنًا لأرسطو وأفلاطون وموسى والمسيح، وهذا الجزء من العالم خلق الأساس الفلسفي والثقافي والديني والعلمي لعالمنا المعاصر. إننا محظوظون لحصولنا على قدر كبير نسبيًا من الكتابات التي تنسب لهؤلاء الذين عاشوا في هذه المنطقة قبل ظهور المسيح بعدة قرون. ومن هذا يمكننا التأكد من أن جموع الأشخاص الذين عاشوا في الشرق الأوسط قبل المسيح كانوا مزيج من المجموعات العرقية.

وكان من بين هؤلاء عدد كبير من محيط أفريقيا. وكانت القارة الأفريقية في الزاوية الجنوبية الغربية من العالم الشرق الأوسطي ووجد فيها العديد من الأفارقة السود الذين لعبوا في النهاية دورًا بارزًا في تشكيل ما نعرفه اليوم في القرن الواحد والعشرين كمجتمعنا. ومع ذلك، يمكننا فقط أن نخمن إذا كان شخص معين من أصل أفريقي. فإذا قيل إن أحدهم من أثيوبيا فيمكننا أن نخمن ذلك ونحن أكثر ثقة، ولكن وفقا للسجل التاريخي، فغالبا لايوجد سوى تلميحات غير مباشرة للعرق البيولوجي لشخص ما (هوللر 1971). والسبب في ذلك بسيط للغاية: فعلى مدار تاريخ البشرية لون البشرة لم يكن له أي صلة بمناقشات البشر فضلًا عن لون العينين والشعر.

قد يشير التاريخ أحيانًا إلى أن شخصًا ما أعسر، ولديه شعر كثير في الجسم، ويمتلك بشرة بنية اللون، ولكن هذه الحالة عادة ما تكون فقط إذا كانت هذه المعلومات ذات صلة بالوضع الذي يُناقش الآن، ونادراً ما تؤخذ هذه السمات في الاعتبار. ويكمن السبب في عدم ذكر السمات الجسدية في أنه لم يصنف الأشخاص على مر التاريخ بالسمات البيولوجية "العرقية" ولكن وفقًا للثقافة أو اللغة أو الدين أو غير ذلك من العوامل غير العرقية. المدينة التي عاش فيها الإنسان كانت هامة للغاية كذلك أهمية خلفيته القبلية، على سبيل المثال من أي قبيلة من ال 12 قبيلة الاسرائيلة يكون؟ لكن "العرق" البيولوجي لم يكن هامًا. لم يكن حتى جزء من وعى الأشخاص.

كان لون البشرة ضئيل الأهمية في غالبية أنحاء العالم على مدار التاريخ المسجل. أحد الأسباب – وهو ينطبق على الشرق الأوسط –: هو أن غالبية الأشخاص هناك كانت لهم بشرة بنية زيتونية بشكل طبيعي، ويرجع ذلك بنسبة ما إلى التزاوج بين

مختلف الشعوب هناك على المدى البعيد. في الواقع، غالبية الأشخاص غير الشرقيين في العالم آنذاك كان لديهم بشرة بنية (كوتاك 2004). غالبية الأشخاص في ذلك الوقت قضوا ساعات طويلة في الشمس مما أدى إلى تصبغ بشرتهم لدرجة طغت على اللون الموروث. في البرتغال (وغالبية البلدان الأخرى في تلك المنطقة من العالم)، كان (ولا يزال موجودًا لليوم) صعوبة في التمييز بين أجناس البشر الذين يعيشون هناك.

أصول العنصرية البيولوجية

وعلاوة على ذلك فهناك توجه عالمي ينص على أنه كلما اقترب الأشخاص من خط الاستواء كلما كان لون بشرتهم أكثر قتامة. وكلما بعد الأشخاص للعيش في الشمال، من المرجح أن تكون بشرتهم أفتح. إن أكثر الأشخاص من ذوي البشرة الشقراء هم الأوروبيين الشماليين (خاصةً الإسكندنافيين والألمان الشماليين)، في حين أن الأوروبيين الأكثر قتامة هم أولئك الذين يعيشون في الجنوب.

وينطبق الشيء ذاته على أفريقيا، حيث لون البشرة والسمات العرقية الأخرى للأفارقة تتفاوت اليوم بشكل كبير. وكثيراً ما يكون لدى الأميركان رؤية خاطئة عن لون البشرة ويرجع ذلك جزئياً إلى أن غالبية الأمريكيين الأفارقة جاءوا في الأساس من غرب وسط أفريقيا بالقرب من خط الاستواء، في حين أن غالبية البيض هاجروا من شمال أوروبا. ونتيجة لذلك، عاش هذان اللونان الأكثر تفاوتًا في العالم جنبًا إلى جنب في أميركا لعقود من الزمان.

كان من الملائم أن يأتي المسيح والحواريون من هذا الجزء من العالم، حيث لا يمكن تصنيفهم بدقة إن كانوا بيضًا أو سودًا، لأن شعوب الشرق الأوسط عمومًا لديهم لون

البشرة البني الزيتوني (لون في الوسط) وشعر قاتم اللون غالبًا أسود. صحيح أن العديد من اليهود في إسرائيل اليوم لديهم بشرة بيضاء للغاية، ولكن هذا يرجع جزئياً إلى أن العديد من المجموعات الفاتحة اللون هاجرت إلى إسرائيل من دول مثل روسيا.

بداية فكرة "العرق البيولوجي"

اعتقد أغلب الأشخاص في كلا العالمين الغربي والعالم اليهودي المسيحي المسلم – وحتى تقريبا وقت داروين – أن كل الرجال والنساء كانوا من نسل آدم وحواء، وهي وجهة نظر تسمى أحادية النسل، وهكذا، كان كافة البشر إخوة وأخوات حرفياً (هام وآخرون 1999 وجونسون 2000) وبالتالي فإن أكثر ما يمكن أن يقال هو إنه يمكن لفرع واحد من العائلة أن يكون بشعر مموج وفرع آخر بشرته أفتح وآخر لديه ملامح وجه معينة.

ولاتعني الاختلافات أكثر مما كما لو كان بعض الأعضاء من نسل عائلة كبيرة اليوم لديهم شعر أحمر، وهي سمة غالباً ما يعلقون عليها بالقول مثلا "الابنة الصغيرة لديها شعر جدتها الأحمر". لم يخطر مفهوم "العرق" كما نفكر فيه اليوم ببال الإنسان حتى وقت الثورة العلمية في القرن السادس عشر وزاد انتشار هذا الفكر بشكل ملحوظ بعد داروين. فقد قال البروفيسور جولد، "ربما كانت المناقشات البيولوجية للعنصرية شائعة قبل عام 1859، لكنها زادت أكثر بعد قبول نظرية التطور" (1977، 127).

قديمًا كان الناس يميلون إلى افتراض أنهم أفضل من أولئك الذين كانوا مختلفين ثقافياً عنهم، لكن غالبية أفكار الدونية العرقية البيولوجية حديثة العهد نوعاً ما. وعلى الرغم من أن بعض الأفراد قد طوروا أفكارًا مبتكرة لتبرير استنتاج أن السود كانوا أقل شأنًا، مثل أن الله خلقهم كعرق مستقل (جادل البعض بأن "وحوش الأرض" التي وردت في

سفر التكوين كانت تشير إلى العرق الأسود) هذا الرأي لم يكن ذو أهمية كبيرة قديمًا في اللاهوت المسيحي - البروتستانتية أو الكاثوليكية أو الأرثوذكسية (هاسكارل 1898، هول 1977، إشيروود 2000، إفولا 1970) كما عبر عن رأيه بروكتور: "كان من الصعب قبل داروين المناقشة ضد المفهوم اليهودي المسيحي لوحدة الإنسان وذلك على أساس الخلق الوحيد لآدم وحواء. وتقترح نظرية داروين أن البشر قد تطوروا على مدى مئات الآف والملايين من السنين وأن أجناس البشر قد تباينت أثناء تكيفهم مع الظروف المحلية المحددة. لقد كان تأثير نظرية داروين هائلاً (1988، 14)."

حتى ظهور القبول الواسع النطاق للتطور؛ كان التبرير الديني الوحيد للعنصرية هو الاعتقاد بأن الله لعن بعض الجماعات أو خلق أناسًا آخرين أقل شأناً قبل أن يخلق آدم - وجهة نظر تسمى الأصول المتعددة. بعض أنصار التطور أدانوا ما يسمى بالمزج العرقي القائم مبررين ذلك بمعتقد الأصول المتعددة وهو أن الجنس الأبيض ينحدر من قرود الشمبانزي والسود من الغوريلا والشرقيين من إنسان الغاب (كروكشانك 1924، 1931).

ويمكن تحديد هذه الأجناس الدنيا من خلال السمات المادية مثل لون البشرة. أكد آخرون أن بعض المجموعات تدهورت بيولوجياً أكثر من غيرها، لكنها لا تزال من أشقائنا. وكما في ملاحظات جولد: "كل العلماء تقريبًا كانوا من مناصري نظرية الخلق قبل عام 1859، ومعظمهم لم يتحول لنظرية الأصول المتعددة" (1996، 75). وقد استنتج كلا من البروفيسور وول بانك والبروفيسور تايلور ذلك.

أدت الداروينية إلى العنصرية ومعاداة السامية، وكانت تستخدم لتظهر أن الجنسيات والأعراق "المتفوقة" فقط هي من كانت صالحة للبقاء. وهكذا، كان من بين الشعوب

الناطقة باللغة الإنكليزية من حُمّل" عبء الرجل الأبيض "، وهي مهمة إمبراطورية قام بها الانجلوسكسونيين[1]..... وبالمثل، كان الروس يبشرون بعقيدة القومية السلافية والألمان بالقومية الألمانية (1961، 361- المجلد رقم 2).

كان أحد أوائل الخارجين عن نموذج الأسرة البشرية كما ورد في سفر التكوين هو تصنيف لينيوس للإنسان في نظام تمت تسميته ذي الحدين مثل الإنسان العاقل والأنسان الشاذ والإنسان المتوحش (فيدلر 1978، 240). وقد استنتج فيدلر أن في تصنيف لينيوس كان "افتراض وجود نظام هرمي، والذي يبدأ بـ" الرجل مشهوه الخلقة" ثم يتصاعد إلى" الرجل الوحشي "، ويستمر في الصعود مرورًا بالرجل الأسود والبني والأصفر والأحمر إلى أن يصل إلى الذروة عند الأوروبيين البيض. وكانت النتيجة نظامًا تصنيفيًا ساهم في نشأة "أسطورة العرق" التي لاحقا بلغت ذروتها مع الداروينية الاجتماعية عبر العنصرية البيولوجية (فيدلر 1978، 240).

أحد تلاميذ لينيوس - يدعى فابنكوس - حاول تفسير أن "دونية الزنوج" كانت نتيجة "التزاوج بين البشر والقرود (السياميين).... من ناحية أخرى فإن مزيدًا من التزاوج بين السود والبيض - وهذا يعني تهجين من الدرجة الثانية - أنتج - وفقا لعلم الانسان في القرن التاسع عشر - خلاسيين[2]. وهم نسل عقيم مثل ما ينتج من تزاوج الخيول والحمير" (فيدلر 1978، 240).

---

(1) الانجلوسكسونيون: هم القبائل الجرمانية التي غزت وسكنت بريطانيا في القرنين الخامس والسادس. هم قبائل الأنغلز، والسكسون، واليوت. موطنهم الأصلي ألمانيا وهولندا والدنمارك. استُخدم هذا المصطلح للتفريق بين الغزاة والسكان الأصليين لبريطانيا ما قبل مجيئهم (الناشر).

(2) :الخلاسيين: يقال : وَلَدٌ خلاَسِيّ وهو من وُلِدَ بيْنَ أَبوَيْنِ أَبيَضَ وأَسْوَد (المعجم الوسيط) – الناشر

وقد ساهم مفكر آخر بمساهمة كبيرة في المفهوم الحديث للعرق يدعى فولتير. في أواخر القرن السابع عشر، قال إن "الرجل الأبيض بالنسبة للرجل الأسود مثلم الأسود للقرد" (مقتبس في فيدلر 1978، 240). واستنتج فيدلر أن: "مثل هذه الأساطير العنصرية لم تلعب دورا رئيسيا في تصور [العنصريين الجدد] لغير الأوروبيين بواسطة الأوروبيين حتى انتصار نظرية التطور العضوي في كتاب داروين "أصل الأنواع عن طريق الحفاظ على الأعراق المفضلة في صراعها من أجل الحياة" وامتداده قياسًا إلى الأنثروبولوجيا التنموية المبكرة. أوضح داروين أنه دون الانحراف والتكيف و"البقاء للأصلح" فإن التطور لن يحدث أبداً (فيدلر 1978، 240). لقد فهم أكثر قراء داروين الأوائل بأنه استنتج أن الصراع من أجل البقاء لا يتوقف عند انتقال الإنسان من المستوى البيولوجي إلى المستوى الاجتماعي أو الثقافي. هذا الثاني "ارتقاء الإنسان" في علم الأنثروبولوجيا الحديث قد نقل الإنسان من "البدائية" أو "الوحشية" إلى "الحضارة"، ومن ثقافة دون أبجدية أو عجلة إلى ثقافة يوجد فيها صحافة وتقنيات متقدمة، باختصار؛ من حياة "بغيضة وبهيمية وقصيرة" بالكاد تُعاش في غالبية أنحاء العالم إلى النوع المستمتع به في أوروبا (فيدلر 1978، 240-241).

واستنتج فيدلر أن نظرية العنصرية البيولوجية الجديدة كانت مشتركة بين "داروين وماركس ومؤسسي الأنثروبولوجيا الحديثة". وقد أصبحت هذه العنصرية البيولوجية أكثر شيوعًا بعد عام 1859، وقد صُورت بوحشية في رواية "ليوبارد سبوتس" أصدرها توماس ديكسون جونيور. ونشرت عام 1902، واستخدمت في عام 1915 في فيلم جريفيث العظيم "ولادة أمة"، والذي يمثل قصة رومانسية عن عبءالرجل الأبيض - 1865-

1900 وفقًا لعنوانه الفرعي، يسعى الفيلم لتبرير سلوك كو كلوكس كلان في مشهده العظيم حيث يقول الأب الأبيض :إلى "الخلاسي" المتعلم في هارفارد الذي طلب يد ابنته، "لقد أدركت حقيقة هامة وهي أن رجلاً أو امرأة من أصل زنجي، على الرغم من مرور قرن، سيتكاثرون فجأة وينتجوا طفل زنجي خالص وجلده سميك وذو رأس غريب وبأنف مسطحة وذو بشرة سوداء. ويمكن لقطرة واحدة من دمك في عائلتي أن تدفعنا إلى الخلف ثلاثة آلاف سنة "(فيدلر 1978، 241-242). و على العكس من ذلك، فقد نصّت تعاليم المسيحية [وجميع الديانات السماوية] (وهو ما اعتقده غالبية العالم الغربي على مدار التاريخ) على أنه بغض النظر عن السمات الجسدية التي يمتلكها الشخص، فهو أو هي لا يزال جزءًا من الأسرة البشرية الواحدة (هام وآخرون 1999). وبالقدر ذاته من الأهمية، نصّت الأديان كذلك على أن قيمة الشخص يحددها مافي قلبه[وما يقوم به من أعمال] ولذا فإنّ السمات الجسدية لأفراد العائلة لا تقوم بتقسيمها، ولكن يمكن للصفات السلوكية أن تفعل ذلك أحيانًا.

حتى أثناء التطور المبكر لأميركا - على الرغم من وجود صراعات واضحة بسبب الجنسية والمنافسة والاختلافات اللغوية - كان من النادر وجود انقسامات بسبب "العرق". عاش عدد كبير من السود في الولايات المتحدة في بداياتها. في عام 1800، تم احصاء حوالي 20٪ من السكان على أنهم "زنوج"، وبدأنا الآن فقط في إدراك المساهمة الهامة التي قدموها في التاريخ الأمريكي المبكر.

كان كريسبس أتوكس من أحد الرجال الأوائل الذين ماتوا في الحرب الثورية الأمريكية وهو رجل أسود — وهي حقيقة نادرًا ما كانت تذكر لسنوات عديدة على

الأقل من قبل الشماليين - والسبب في ذلك أن لون بشرته لم يكن أكثر أهمية من سماته البدنية الأخرى، لكن ما فعله هو ما كان جديرا بالاهتمام. وطبعا لم يكن الوضع كذلك في الولايات الجنوبية.

وتكمن صعوبة معرفة لون بشرة الشخصيات التاريخية الهامة في حقيقة أن لون البشرة لم يكن معتبرًا في أغلب الأحيان وبالتالي نادرا ما يُذكر. حتى بالنسبة للأشخاص الذين نعرف عنهم الكثير فلا نعرف كثيرًا عن السمات التي تساعدنا في تصنيفهم وفقًا للانقسامات البيولوجية "العنصرية" الحالية. توجد بعض الأدلة على أن مجموعة متنوعة من الأشخاص المعروفين قد يكون لديهم ما نعده اليوم صفات زنجية مثل هانيبال[1] وغريمالدي[2] وشيوبوس (تبرز شهرته بسبب النصب التذكاري هرم شيوبيس العظيم، والذي يعد واحدًا من عجائب الدنيا السبع في العالم القديم) وربما حتى موسى وغيرهم.ومن الواضح أن العيلاميين (وربما بعض الفرس والفينيقيين) كان لديهم بعض سمات "الزنوج." ويتضح بشكل خاص من خلال اللوحات التاريخية والتماثيل أن الأشخاص الذين لديهم سمات "زنجية" موجودون في مراكز أصول الثقافة الغربية. ولعل أشهر مثال على ذلك هو تمثال أبو الهول في مصر. لا أحد يعرف على وجه اليقين

---

(1) حنبل بن حملقار برقا شهرته حنا بعل أو هانيبال. هو قائد عسكري قرطاجي من عائلة بونيقية عريقة ينسب إليه اختراع العديد من التكتيكات الحربية التي ما زلات معتمدة حتى اليوم. قاد جيوش قرطاج في الحرب البونيقية الثانية واجتاز جبال الألب حتّى وصل إلى حوض نهر البو بإيطاليا متفوقًا على الإمبراطورية الرومانية (الناشر).

(2) فرانسوا غريمالدي: ما يُعرف عنه أنه استولى على قلعة موناكو يوم 8 يناير (كانون الثاني) عام 1297 إثر تغلبه على غريم إيطالي، وذلك بعد تستره بزي كاهن فرنسيسكاني وقيادته جيشا صغيرا من الأعوان نجح في احتلال القلعة باسم الولاء للكرسي البابوي. وظلت عائلة غريمالدي تحكم إمارة موناكو لسنوات (الناشر).

السمات العرقية للعيلاميين لأنه لم يُنظر إليها على أنها ذات صلة بتاريخهم.

وفي كل العصور، كان يحدث تزاوج بين مختلف "الأجناس" والمجموعات إلى حد أن كافة البشر جاءوا من سلالة عنصرية مختلطة. عندما أخرج موسى بني إسرائيل من مصر أخذوا "خليطًا متعددًا" معهم. وبالرغم من الإسرائيليين الذين تعرضوا للتوبيخ الشديد في السجل التوارتي بسبب زواجهم من "زوجات أجنبيات" وتفسير سقوط الملك سولومون أنّه بسبب اتخاذه العديد من الزوجات أو السراري الأجنبيات [الإماء]، فإنّه مع ذلك، لم يكن القلق أبدًا في مايخص "الاختلاط العنصري"، بل كان القلق دائمًا هو الأثر السلبي للثقافات الوثنية ومعتقداتها على بني إسرائيل.

وفي حقيقة الأمر، فقد حدث الكثير من الاختلاط العرقي على مدار التاريخ فحتى لو طُبق هذا التصنيف المفيد اليوم، فإن أعداداً كبيرة من السكان سيكونون ما كان يوصف سابقًا بـ "الخلاسيين" (روجرز 1970). فما يسمى بخلط الأعراق (التزاوج المختلط) كان شائعاً حتى في بدايات أميركا. وربما هذا مثال بارز وهو أن الرئيس الثالث للولايات المتحدة، توماس جيفرسون - أو أخوه أو أبناء أخيه - من الواضح أنه كان والدًا للعديد من الأطفال الخلاسيين (روجرز 1970، 8). كان اختلاط الأعراق موجودًا لدرجة أن بعض المؤرخين قد قدروا أن إجمالي سكان أميركا البيض اليوم هو بنسبة 5٪ من السود (ستيوارت 1973). وفي دراسة عن الزواج بين الأبيض والأسود في الولايات المتحدة في الفترة من 1864 إلى 1965، وجد "بروس" و"رومان" (1973) أنه كان مقدرًا بالآف، حتى عندما حظر القانون مثل هذا الزواج!

لا توجد "أعراق" بيولوجية

ويؤكد استخدام ما أُقتبس فيما يخص مصطلح "العرق" في العنوان إلى حقيقة أن الأبحاث الخاصة بعلم دراسة الإنسان قد أظهرت اليوم أن العرق بالمعنى البيولوجي الدقيق، لا وجود له (كوتاك 2004). فقد لاحظ بارزون أنه: "خلافًا للرأي العام، لا توجد مجموعة من الخصائص الثابتة في البشر كعلامة مميزة ثابتة للعرق. فمن يعرفون ب"النورديين" يتميزون بالجماجم الطويلة، وكذلك يتميز بها العديد ممن يطلق عليهم الزنوج والأسكيمو والقردة الشريانية. يولد "المنغوليين" بين البيض، وكثيراً ما ظهر على الأينو[1] اليابانيون صفات تجعلهم يمكن أن يصنّفوا "نورديين" (بارزون 1965،8).

وفي دراسة واسعة النطاق للعرق، استنتج فيليب إف. توبييس من جامعة ويتواترسراند في جوهانسبرغ، جنوب أفريقيا، أنّ: "مصطلح عرق ما هو إلا مجرد ملخص للعديد من السمات الفسيولوجية والوراثية التي تثبت الاختلاف بشكل كبير وذلك بعد فحصها بدقة" (اقتبس في بلوج 1970، 196).

وحتى تحديد العرق محفوف بالمشكلات. أحد الأسباب هي أن الفرق بين "الأجناس" المختلفة للبشر صغير مقارنة بالكثير من الحيوانات (أنواع الكلاب المختلفة على سبيل المثال). إن مقارنة حتى أكثر البشر تباعدًا مثل الأستراليين الأصليين والسويديين، سيتضح أن المجموعتين متشابهتين بالنسبة لما لو قارنّا لاسا أبسو وشيواوا

---

(1) سكان اليابان الأصليين قبل وفود أسلاف اليابانيين من البر الصيني. يتميز الأينو بملامح ولغة وثقافة مختلفة عن مثيلتها اليابانية. ويظهر الاختلاف في الملامح الشكلية في أنّ الأينو يتميزون بأجساد أكثر طولا وضخامه من اليابانيين كما يتميزون بكثرة الشعر في أجسادهم مقارنة باليبانيين الحاليين (الناشر).

أو الكلاب السلوقية والبيكيني[1].

صورة توضح الفرق بين السلالتين في الهيئة

يرى الناس اختلافات كبيرة بين بعض المجموعات البشرية، ولكن المقارنات الفيزيائية الموضوعية للسمات في الحيوانات (مثل أصغر وأكبر كلب) تكشف عن اختلاف أكثر مائة مرة من الموجود بين البشر - كما لو قارنّا العرق قصير القامة فإنّ متوسط الأطوال تكون حوالي أربعة أقدام والعرق الطويل فإنّ أكثرهم طولًا على الاطلاق هو فوق عشرة أقدام في المتوسط. حتى ملامح الوجه في الكلاب تختلف بشكل كبير. قارن أنف الكلاب البكيني - الذي يكاد يكون غير موجود - مع أنف الكولي الطويل، الذي يبلغ طوله ثماني مرات أو أكثر طول أنف البكيني.

إن الاختلافات بين البشر قليلة للغاية لدرجة أن البشر جميعهم "سلالة" واحدة فقط على النقيض، هناك أكثر من 206 سلالة من الكلاب. علاوة على ذلك، فإنّ الاختلافات الجسدية بين السكان الأصليين الأستراليين والأميركيين الأفارقة - مثلا - أكثر منها بين نموذج الأمريكيين الأفارقة والأمريكيين الأوروبيين.

فكرة أن هناك ثلاث "أعراق" من البشر، إنما أصّلها علماء الأنثروبولوجيا

---

(1) (لاسا أبسو) - (شيواوا) - (الكلاب السلوقية) - (البيكيني): سلالات مختلفة من الكلاب تظهر فروق كبيرة فيما بينها من حيث السمات الجسدية والسلوكية (الناشر)

الفيزيائيين الذين اعتقدوا أنه في الأصل كان هناك مجموعات متباينة من الزنوج والقوقاز والمغول، وأن الأنواع الوسيطة التي لا تعد ولاتحصى والتي تربط الآن بين الأعراق المتباينة قد نشأت نتيجة التهجين" (لينتون 1955,21). لقد رأوا أن العديد من الأعراق المعينة، مثل "الزنوج" هم "الحلقة المفقودة" بين القردة والبشر (هاسكارل 1988).

وقد سمحت الأنواع البشرية "الوسيطة اللامعدودة" - والتي لا تتوافق مع أي من الأعراق النمطية الثلاثة - بالقبول بمفهوم الأعراق الثلاث مع الحد من تعدد الاستثناءات الموجودة. أدركنا هذه الأيام أن هذه الفكرة خاطئة - فهناك الكثير من الاستثناءات - ولايوجد دليل على وجود ثلاثة "أعراق" أو الانحدار من ثلاثة أنواع رئيسة، كما كان شائعًا (مونتاجو 1999 ووليامز 1997).

منذ قرن من الزمان، استخدم نظام الأعراق الثلاث وهو ما يسمى بالأعراق البيضاء والسوداء والصفراء. بعد ذلك أجبرت الأنثروبيولوجيا الباحثين على إضافة عدة فئات جديدة، بما في ذلك البولينيزية والهنود الحمر والإسكيمو والأستراليين الأصليين والقبيلة الأفريقية وغيرها. وبالمزيد من البحوث ثبت وجود12 عرقًا، ثم أصبحوا 18، وسرعان ما تطلب الأمر وجود 27 عرقًا مختلفًا لتصنيف كافة البشر الذين كانوا معروفين آنذاك.

في نهاية المطاف، معرفتنا التي زادت كثيراً جعلت من مفهوم العرق وسيلة غير قابلة للتطبيق لتصنيف البشر (كوتاج 2004). وكان هذا واضحا في ما قالته عالمة الأنثروبولوجيا الشهيرة روث بينيدكت: "قصة الكتاب المقدس لآدم وحواء، أب وأم كافة الجنس البشري، حكيت منذ قرون مضت... كانت تتعلق بالحقيقة ذاتها التي أظهرها العلم اليوم؛ أن كافة شعوب الأرض هم عائلة واحدة ولهم أصل مشترك" (1943، 171).

جادل بعض المسيحيين بأن الخلق من أجناس منفصلة قد حدث، ولكن: "كان هذا هجومًا على المؤمنين الذي فضلوا ما كان متوافقًا مع الزوج الأصلي التوراتي" (بريس و ليفنجستون 1999، 209). وقد وصف بارزون "العرق" بأنه "خرافة" وأضاف أنه في الماضي، دعم غالبية العلماء للأسف "التفكير العرقي". ومن الأمثلة على ذلك السير آرثر كيث، الذي قضى "قدرًا كبيرًا من وقته ومجهوده للتشديد على قيمة التعصب العرقي في الحياة الحديثة، كما حث على ضرورة الصراع بين الأعراق كوسيلة لتحسين الأنواع" من خلال البقاء للأصلح عبر التطور (بارزون 1965,5).

ويقر البروفيسور ريتشارد جولدزبي (1971) بحقيقة أن التنوع موجود بين البشر، ولكنه توصل إلى أن النظام الذي يعمل على أفضل وجه من أجل تقسيم الأشخاص إلى أعراق يستخدم سمات يمكن قياسها علميًا، فلون البشرة أسلوب شائع ولكنه ينهار عند فحص المزيد من الأشخاص. فمثلا يمتلك ما يقرب من ثلث سكان العالم بشرة سوداء داكنة وسميكة، ولكن ملامح وجوههم تكون "بيضاء" للغاية، وبالتالي يُصنفون على أنهم "بيض". وهذا يشمل الأشخاص في الهند وسريلانكا والعديد من الدول الأخرى ذات البشرة الداكنة. (كوتاك 2004).

تمكن الآلاف من الأمريكيين الأفارقة ذوي البشرة الفاتحة قليلا من "المرور" كل عام والعيش في العالم "الأبيض" لتجنب التمييز وذلك بسبب العنصرية الأمريكية قبل عام 1960. وتوجد مشكلات مماثلة مع أي سمة أو في الطريقة نستخدمها (حتى الوراثية منها) لتصنيف البشر إلى أعراق، ويستنتج جولدزبي أنه لكي نكون علميين، فإن التصنيف يجب أن يستخدم نظام فصائل الدم، لأن علم فصائل الدم قدم لنا أكثر

المؤشرات الموثوقة والموضوعية عن "الهوية العرقية". هذا بالكاد ما يعتقده غالبية الأشخاص اليوم عندما يشيرون إلى العرق.

وأصبحت صعوبة التصنيف العرقي بارزة بشكل خاص في البلدان التي سعت إلى إرساء الوقع القانوني على أساس العرق - مثل ألمانيا النازية التي تُحدد بموجب القانون أن الشخص يهودي إذا كان: "ينحدر من ثلاثة أجداد على الأقل ذوي الأصول اليهودية بالكامل [أو]... شخص ينحدر من أبوين يهوديين بالكامل إذا (أ) كان ينتمي إلى جماعة يهودية وقت إصدار هذا القانون أو انضم إلى المجتمع فيما بعد (ب) إذا كان متزوجًا من شخص يهودي في الوقت الذي صدر فيه هذا القانون أو تزوج بعد ذلك (ج) إذا كان من ذرية زواج يهودي وفقًا للقانون لحماية الدم الألماني والشرف الألماني. (د) إذا وُلد خارج نطاق الزواج - علاقة غير شرعية - من نسل يهودي(نقلاً عن غولدسبي 1971، 6-7).

كان من المستحيل تقريباً تطبيق هذا القانون بشكل ثابت وموضوعي حيث أنّه هو القانون الذي حدد العرق حسب الأصول وكذلك المشاركة الاجتماعية الحالية. وبما أن هذا القانون لم يحدد إلى أي مدى يحتاج المرء إلى الرجوع لسنوات عديدة لتحديد ما إذا كان هذا المرء لديه ثلاثة أجداد يهوديين" من أصول عرقية يهودية بالكامل" لذا فإن الجزء الأول من التعريف ينطبق على عدد كبير من الأوروبيين.

وهناك مثال آخر له صلة بخلفية المؤلف العرقية الفنلندية -"العرق" المختلط مع المنغوليين الأصليين من مونغوليا - أناس ليسوا أوروبيين تمامًا كما هو مفترض في بعض الأحيان. هؤلاء الشرقيون الذين بقوا في أوروبا لتكوين عائلات بعد الغزوات المنغولية في

أوروبا، اختلطوا مع الشعوب الأصليين ونتج عنهم الفنلنديين المعاصرين. غالبية الأشخاص ليسوا على علم بهذه الحقيقة لأن غالبية الفنلنديين اليوم وبسبب التزاوج بين الجنسين لا يملكون سوى مؤشرات ضعيفة على أن أصلهم منغولي. وينطبق الشيء ذاته على الهنغاريين (والتي تسمى تاريخيًا باسم ماجيار كوزتارسارس)

أصل مفهوم "العرق" البيولوجي

لقد افترض أنصار التطور العديد من النظريات المتباينة لشرح التنوع البشري. وإحدى النظريات التي كانت مقبولة بشكل عام لسنوات كانت تشير إلى أن السود هم الأقل تطوراً بين البشر بينما البيض هم الأكثر تطوراً من كافة الأجناس البشرية. إن كتاب علم الأحياء لهنتر، وهو كتاب أميركي شائع استخدمه جون سكوبز لتدريس نظرية التطور عندما كان يدرس كبديل لعلم الأحياء، ثم احتل مكانًا بارزًا في تجربة سكوبز وبهذه الطريقة صنف الأعراق البشرية.

أحد العوامل الرئيسة التي تم استخدمها قديمًا لتصنيف العرق كان حجم المخ. وبالبحث الدقيق حول استنتاج أن الأجناس تختلف في هذه السمة (خاصة القشرة الدماغية) يتضح أنّه وعلى الرغم من أن حجم المخ مرتبط بشكل واضح بحجم الجسم والعمر، فإنّ الاختلافات بين أفراد العرق أكثر من الموجودة بين الأعراق المختلفة (بلوج 1970) وقد كشفت الأبحاث التي أجريت على الأشخاص الموهوبين فكريًا أن حجم المخ يختلف بشكل كبير بينهم (بلوج 1970,196-197).

يعتقد العديد من أنصار التطور أن لون بشرة الأسلاف كان بنيًا داكنًا في الأساس ولم يتطور إلا مؤخرًا الي درجات أخف. عندما يرسم الفنانون أسلاف الإنسان المفترضة

مثل أوسترالوبيثيكس وآخرون، عادة ما يقومون برسمهم بلون بشرة بني داكن وصفات الوجه النمطية "الزنجية". وفي الواقع ليس لدى العلماء أية فكرة عن ألوان البشرة للمخلوقات التي يُفترض أنها أسلاف بشرية. وإذا قمت بحلاقة شعر الغوريلا أو الشمبانزي أو إنسان الغاب، فستجد أن بشرتهم بيضاء!

اللون الداكن للبشرة والشعر هو حماية من سرطان الجلد؛ فكلما كان لون البشرة أخف زاد احتمال الإصابة بسرطان الجلد. وعلى الرغم من أن العديد من سرطانات الجلد مثل الحرشفية والقاعدية، ليست قاتلة في أحيان كثيرة، فإنّ ورم الميلانوم قاتل. تصبّغ البشرة باللون الداكن هو استجابة الجسم للأشعة فوق البنفسجية الخطرة، حيث يحمي اللون الداكن البشرة من هذه الأشعة، والتي تعد السبب الرئيسي لسرطان الجلد. إذا تطورت البشرة للأفتح، فسيكون ذلك مثالاً على التراجع، لأنه فقد لنظام الحماية البيولوجي الموجود عند أولئك الذين يعيشون قرب خطوط العرض الساخنة والمشمسة.

لا ترجع الاختلافات في لون البشرة بين "الأجناس" إلى عدد الخلايا الصبغية (الخلايا التي تنتج صبغة الميلانين)، ولكن إلى فرق في مستويات إنتاج الميلانين. فالبيض والسود على حد سواء لديهم العدد ذاته من الخلايا الصبغية والفرق يكون فقط في كمية الميلانين التي تفرزها (يعتبر أطباء الأورام لون البشرة الفاتح "نقصًا في الميلانين"). ومما يزيد من صعوبة تصنيف الأشخاص على أساس لون البشرة هو أن اللون يتغير بسبب النضج أو المرض أو التغيرات الهرمونية: "يولد العديد من الأطفال من كافة الأعراق ببشرة أفتح من تلك التي يتمتعون بها كبالغين. ويولد الكثير من الأطفال بعيون فاتحة وشعر أشقر أكثر مما يكون لديهم عند النضج. تتحول بعض عيون الأطفال إلى

اللون البني في الأشهر الأولى من حياتهم، في حين أن شعرهم قد يزداد تدريجيًا خلال الفترة الأولى وحتى خمس سنوات من مرحلة الطفولة. والذين يصلون إلى سن المراهقة بشعر بني فاتح سيكون لديهم شعر بني داكن في منتصف العمر، ويبقى مجموعات قليلة للغاية ذوي شعر فاتح طوال حياتهم. من ناحية أخرى لا يولد الأطفال العاديون ببشرة أو عيون أو شعر داكن ثم يصبح أفتح تدريجيًا عند نموهم" (جورني 1973,611-612).

لماذا العرق بهذه الأهمية البالغة بالنسبة للتطور؟

العنوان الكامل للكتاب الأكثر شهرة لداروين هو: أصل الأنواع عن طريق الانتقاء الطبيعي أو الحفاظ على الأجناس المفضلة في الصراع من أجل الحياة. لم يكن مفهوم العرق مفهومًا بالغ الأهمية للنظرية الداروينية بأكملها فحسب، بل كان يستند كذلك إلى استنتاج مفاده أن بعض الأجناس كانت متفوقة وبالتالي ستنتصر في نهاية المطاف في الصراع من أجل الحياة. ناقش داروين أولا التطور البشري في كتابه أصل الإنسان والاختيار فيما يتعلق بالجنس والذي نُشر عام 1871. وقد بنى استنتاجه هذا على حقيقة أن هناك اختلافات بيولوجية ملحوظة ليس فقط بين أنواع الحيوانات ولكن كذلك بين أفراد النوع الواحد.

اتجهت النظرية إلى أبعد من ذلك وذهبت إلى أن مثل هذه الاختلافات يمكن أن تمنح ميزة تطورية تساعد في النضال ضد الحيوانات الأخرى مدى الحياة، سواء من نوع الحيوان الخاص بها أو أنواع أخرى من الحيوانات. وبعبارة أخرى، فإن الأرنب الذي يمكن أن يسير بسرعة أكبر أو يتمتع بسمع أفضل قليلاً من الأرانب الأخرى من المرجح أن يهرب من أعدائه، ونتيجة لذلك من المرجح أن يبقى على قيد الحياة وينقل هذه الميزة إلى نسله.

تعد نظرية "البقاء للأصلح" هي الداعم الرئيسي للتطور وتمثل المساهمة الرئيسية التي قدمها داروين لنجاح مفهوم التطور. وكان أحد الجوانب الرئيسية للتطور هو الاعتقاد بأن الأجناس المتفوقة ستنتصر في منافستها على الطعام والأقران وكل شيء آخر مطلوب للحياة، بينما يكون "الأقل صلاحية" من الناحية التطورية أكثر عرضة للموت، وسيترك عددًا أقل من الذرية، ونتيجة لذلك سينقرض في النهاية. فنحن كما أكد أنصار التطور نسل الناجين في الصراع من أجل الحياة. فإذا لم يكن هناك اختلافات بين الأعراق فلن يحدث التطور والسبب أنه يجب أن توجد اختلافات كبيرة حتى يكون للاختيار الطبيعي شيئًا يمكن الاختيار منه. ويلخص جون كوستر وجهة نظر داروين بشأن العرق على النحو التالي: "لم يعتبر داروين أبدًا أن "الأجناس الأقل تحضراً إنسانًا أصيلًا.... كتاباته مملوءة بكافة أنواع الازدراء للشعوب "البدائية". وقد نمت العنصرية في ثقافة الفيكتوريين المتعلمين من خلال بعض الحيل "العلمية" مثل قياس مورتون للدماغ باستخدام طلقة BB لإثبات أن الأفارقة والهنود لديهم أدمغة صغيرة وبالتالي لديهم قصور في العقل والذكاء (1988,50)".

كلمات داروين نفسه كانت واضحة حول هذه النقطة عندما كان يقارن ما سماه "الأجناس البدائية" مع الأوروبيين فقال: "ما كنت لأصدق هذا الفرق الشاسع بين الإنسان الهمجي والمتحضر؛ حيث إنه أكبرمن الفرق بين الحيوانات البرية والحيوانات الأليفة.... رؤية مثل هذا الرجل تجعل من الصعب على المرء أن يصدق أنهم مخلوقات تشبهنا تسكن العالم نفسه".

استنتج داروين أن "الأعراق الهمجية" تشمل الزنوج والأستراليين الأصليين

(الأبوريجينيون) وغيرهم، جميعهم كانوا أدنى مستوى وبالتالي سينقرضون في النهاية (بيرجمان 1993). ورأى الكثيرون أنّ اكتشاف "الشعوب الغريبة" الناتج عن الاستكشاف العالمي الذي حدث في القرنين السادس عشر والسابع عشر على أنّه تأكيدًا للتطور - لم تكن "الحلقة المفقودة" مفقودة حقيقةً، ولكنها كانت حية وموجودة في أستراليا وأفريقيا.

الداروينية عنصرية للدرجة التي تجعل العنصرية مرادفة للفكر التطوري. والمصطلح المستخدم الآن هو "من قبيل المصطلحات الجديدة"، على الرغم من أن بعض أنصار التطور يستخدمون مصطلحات أكثر احتراما مثل "البقاء التفاضلي". في نهاية المطاف تنص الداروينية على أن سبب وجودنا يحتوي على الطفرات، وأن الأجناس الدنيا ستنتهي بالإنقراض وذلك نتيجة لحقيقة أن أعضاء هذه المجموعات أقل صلاحية، وهذه هي الدونية. وذهب كثير من أنصار التطور إلى أبعد من داروين، وفي الواقع فإنّ كافة أنصار التطور تقبلوا فعليًا فكرة الدونية البيولوجية وذلك حتى وقت قريب (هولر 1971). أدرك العديد من مؤرخي العلوم اليوم أن كافة العلماء تقريباً كانوا من أنصار حقيقة الخلق قبل ظهر التطور (جولد 1980، 43).

وبعد أن فقدت فكرة الخلق هيمنتها في مجال العلوم؛ تمكنت الأفكار العنصرية البيولوجية من التطور إلى الحد الذي وصلت إليه على مدار التاريخ. وُجدت العنصرية التي أسسها داروين تقريبا في كل كتاب علمي ظهر في الفترة ما بين منتصف القرن التاسع عشر وحتى ثلاثينات القرن التاسع عشر. باختصار: "أدت الداروينية إلى العنصرية ومعاداة السامية[1]، وكانت تستخدم لإظهار أن الجنسيات والأعراق "المتفوقة"

(1) تطلق السامية على الشعوب الشرق أوسطية والذين يتكلمون بلغات متقاربة وإن كان اليهود ليسوا أصحاب أرض في =

فقط كانت صالحة للبقاء على قيد الحياة" (وولبنك وتيلور 1961,361). كان ذلك فقط في أربعينيات القرن العشرين، وبسبب أعمال مثل كتاب مونتاجو عام 1953، الأسطورة البشرية الأكثر خطورة: مغالطة العرق انخفضت العنصرية البيولوجية بشكل كبير.

على الرغم من أن كتاب داروين كان هامًا للغاية في تعميم التطور، فقد نوقشت الأفكار التطورية على نطاق واسع من قبل العلماء قبل أن ينشر كتابه الكلاسيكي "أصل الأنواع" فقد طور جدّ داروين، "إيراسموس داروين"، في كتابه الكلاسيكي "زنوميا" نظرية تطور تشبه إلى حد كبير نظرية داروين التي صاغها في النهاية. وكما قال كينغ - هيلي: "إن الفضل في تقديم نظرية التطور بشكل جيد مع أمثلة ودعملها لا يرجع إلى تشارلز داروين ولكن إلى إيراسموس داروين" (1963، 67). واستنتج الكاتب ذاته أن إيراسموس "آمن بالتطور لسنوات عديدة، ربما منذ عام 1771" (1963، 67).

لهذا السبب إلى حد ما، كان الدليل على التسلسل الهرمي التطوري للأجناس موضوعًا بارزًا في اللعديد من الكتب والمقالات قبل نشر أعمال داروين. ويشير بريس وليفنجستون إلى أن محاولات اثبات عدم المساواة الاجتماعية على أساس الاختلافات البيولوجية الفطرية يمكن أن تعود إلى عصر النهضة، ويرجع ذلك جزئياً إلى تطوير ما قبل الداروينية "شكل من أشكال التطور عن طريق تخيل غير دقيق لنوع من الانتقاء الطبيعي"(1999، 209). رفض العديد من المسيحيين هذه الآراء العنصرية، على الرغم من أن البعض حاول التوفيق بينهم وبين المسيحية لأنهم شعروا بأن العلم "أثبت" أن ذلك حقيقة.

=

الشرق الأوسط إلا أن هذا المصطلح يُدخلهم في هذا المسمى وعلى كل حال فهو مصطلح غير دقيق (الناشر)

تطبيق التطور على السياسة الاجتماعية

كانت النتيجة النهائية للعنصرية التي علّمها داروين هي محاولة تطبيق استنتاجات العلماء الداروينيين على الحكومة. أفضل مثال على ذلك هو أدولف هتلر الذي سعى إلى إنتاج عرق متفوق بمنع الأجناس المتدنية من التناسل مع تلك "المتفوقة". وتشمل الأجناس المتدنية كما رأى هتلر "الزنوج واليهود والغجر" ومجموعات أخرى على حد تعبير تيننباوم: "الفلسفة السياسية للدولة الألمانية قامت على أفكار الكفاح والانتقاء والبقاء للأصلح، وكافة الأفكار والملاحظات التي وصلت إليها بواسطة داروين" (1956، 211).

كانت للداروينية دور حساس بالنسبة للنازية، "وعلى الرغم من أنه ليس من السهل تحديد الدوافع المتضاربة لهتلر وحزبه، إلا أنّه من الواضح أن علم تحسين النسل لعب دورًا هامًا. لو كان الحزب النازي قد اعتنق تمامًا وعمل دائما بناءا على الاعتقاد بأن جميع البشر أخوة، متساوون أمام الله ... ربما لم تحدث المحرقة (الهولوكوست) مطلقًا"

لقد أدرك الكثير من العلماء على مدار التاريخ نقطة الصراع المباشر بين المسيحية [والأديان السماوية بشكل عام] وبين الداروينية في مجال أبحاث السلالات. وأكد السير آرثر كيث – وهو عالم أحياء بيولوجي بريطاني حارب لأجل مساهماته العلمية – : "لا تفرق الأديان بين العرق أو اللون. إنها تسعى إلى كسر كافة الحواجز العرقية. وفي هذا الصدد تعد المسيحية ضد طبيعة [التطور][1]. أوليست أعراق البشرية هي الحصاد

(1) جدير بالذكر أن النصرانية تعاني من بعض النصوص التي تظهر فيها العنصرية واضحة وفي قصة المرأة الكنعانية في الأناجيل دليل على ذلك انظر انجيل متىٰ الإصحاح الخامس عشر من العدد 21 وحتىٰ 28 ، ومنها أن المسيح قال للمرأة الكنعانية " :«لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَىٰ خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ». 25 فَأَتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ قَائِلَةً:«يَا سَيِّدُ، أَعِنِّي!» 26 فَأَجَابَ وَقَالَ:«لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ

التطوري الذي كدّت الطبيعة عبر العصور الطويلة لإنتاجه؟" (1946، 72).

كانت معارضة العديد من العلماء في الماضي للدين هي بسبب حقيقة أنهم يؤمنون بأن المسيحية تعمل ضد التطور من خلال مساعدة الأجناس المتدنية ومناهضة العنصرية. فقد رأى علماء التطور يوما ما أن الانتقاء الطبيعي قضى على الضعفاء، مما قلل من احتمالية استنساخهم ونقل جيناتهم الدنيئة إلى النسل. وعلى النقيض، ركزت المسيحية على دعم الضعفاء ومساعدة المحتاجين وحماية أولئك الذين لا يستطيعون حماية أنفسهم. ولقد أعرب هتلر في الواقع عن ازدرائه للمسيحيين نظرًا لمساعدتهم "الزنوج" في أفريقيا، واعتقد أن الزنوج كانوا "مسوخ ما بين البشر والقردة" ثم "انتقد حقيقة أن المسيحيين ذاهبون إلى "وسط أفريقيا" لإقامة "بعثات الزنوج"، مما أدى إلى تحول "البشر الأصحاء إلى أوباش فاسدين" (هامبر 1987، 2).

ناقش هتلر هذا الموضوع على نطاق واسع في أحد فصول كتابه بعنوان "الأمة والعرق"، حيث استنتج فيه أن الأقوى يجب أن يسيطر على الأضعف. وأدان الزواج بين

=

لِلْكِلاَب» " وهذا بلا شك تمييزًا عرقيًا بين اليهود وغيرهم إذ بُعث المسيح في اليهود وكان منهم ، وبحسب النصرانية المُحرفة لم يكن يبذل شيئًا من دعوته إلىٰ لمن اعترف بأفضلية اليهود علىٰ غيرهم كفضل البشر علىٰ الكلاب ، وحتىٰ إن قبل إن المسيح بعث لليهود فحسب ، فهذا ليس مبررًا ولا دليلًا يدل علىٰ جواز احتقار غيرهم أو منع الدعوة عمن يريدها من غير اليهود ، والنصوص الدالة علىٰ ذلك كثيرة في العهد القديم والجديد ، ولم يكن من ذلك شيء في الكتاب الذي أنزله الله علىٰ الأنبياء وإنما ذلك من تحريف المحرفين ، لذلك تجد في كتاب الله جل وعلا وسنة نبيه صلىٰ الله عليه وسلم أن الناس كلهم لآدم وآدم من تراب وأنه من آمن وعمل صالحًا سواء كان عربيًا أو كان أعجميًا سواء كان من نسل اسرائيل أو من غيرهم فإن الله يقبل منه وربما بلغ مالم يبلغ غيره من أصحاب الأنساب والأحساب في الآخرة بعمله (الناشر)

الأجناس المتدنية، وأعتبر أن الحق الدارويني "الطبيعي" للأعراق العليا هو استعباد الأجناس الدنيا. وهذا هو السبب في دفع هتلر إلى سن تشريع واسع النطاق لمنع "الآريين" من "التزاوج" مع "الأجناس الدنيا"، بما في ذلك "اليهود والزنوج وغيرهم" (هامبر 1987، 2).

طبعة **1934** لكتاب هتلر (كفاحي)

استنتج النازيون أن نظريتهم قد أثبتها العلم، والذي كان أحد الأسباب وراء معارضتهم للمسيحية (بيرليه 2000). وقام علماء ألمان بنشر 13 مجلداً علمياً مكرساً لـ "التطهير العرقي"، كما أنشأت العديد من "المؤسسات العلمية" ارتبط العديد منها بجامعات كبرى أو مراكز أبحاث مكرسة "للعلوم العرقية" (بروكتور 1988). ولم تجذب العنصرية اهتمام ألمانيا وحدها. وفي الواقع، اعتمد علماء تحسين النسل الألمان بشكل كبير على العلماء الذين يجرون أبحاثًا في بريطانيا وأميركا نظرًا لأن أبحاث تحسين النسل كانت أكثر تقدمًا في الولايات المتحدة (على الرغم من الاهتمام الهائل الذي أعطته الحكومة الألمانية له). كان أحد محاور التركيز الرئيسة لهذا البحث هو تحديد أي من الأجناس كان لديه "السمات العرقية البدائية" وأي تلك السمات التي كانت بارزة في الأجناس الدنيا مثل الإنسان البدائي.

الزواج بين الأعراق وعلم الأحياء

لقد أدان غالبية أنصار التطور يومًا ما ، ما كان يُسمَّى الزواج المختلط (الزواج بين الأجناس) لأنهم اعتقدوا أن الزواج من أحد أفراد "العرق الأدنى" من شأنه أن يُنتج

أطفالًا أقل شأناً وستؤدي اختلاط الدماء فقط إلى تلويث الأعراق، فقد كانوا يخشون التراجع. كان الحد من الاختلاط جزءًا من حركة تحسين النسل (المولود الحسن). وقد قبل غالبية العلماء في أوائل القرن العشرين هذا الاستنتاج، ونظرًا لهذا الاعتقاد، أصدرت العديد من الدول قوانين ضد الزواج بين الأجناس. حتى أن العديد من المجتمعات أدانت الاختلاط بين الأعراق (جولاغير 1999).

نعلم الآن أن ما يسمى بالزواج بين الأعراق ينتج أطفالا أكثر صحة جسديًا من المتوسط. والسبب هو أنه كلما اقترب الزوجين وراثيًا كلما ازدادت احتمالية أن يكون لدى كلاهما ذات الطفرات المتنحية (التي قد تظهر في النسل كمرض). ومع ذلك إذا تزاوج شخصين مختلطين – عرقيًا فلأنهما يختلفان جينيًا عن بعضهما البعض فإن احتمال حصول كل منهما على طفرة من الجين ذاته تكون ضئيلة للغاية. إن فقر الدم المنجلي، وهو مشكلة رئيسية بين السود، نادر للغاية في الجيل الأول من التزاوج بين أعراق مختلفة. مرة أخرى أظهرت الأبحاث العلمية أن نظرية العرق الداروينية كانت خطأ.

للأسف يتأثر المسيحيون في كثير من الأحيان بالمجتمع من حولهم لذلك، ولسنوات، أدانوا الزواج بين الأعراق. هذا هو السبب في أن الكتاب المقدس يعلم المسيحيين أنه يجب أن يكونوا "بلا دنس من العالم" (رسالة بطرس الأولى 1: 19)(1) وحياتهم تسترشد بالكتاب المقدس. بالإضافة إلى ذلك يدين البعض الزواج بين الأعراق

(1) وهذا بلا شك ما يدعو إليه الإسلام ، وهو ما دعا إليه المسيح عليه السلام بلا شك ، غير أن بولس المدعو رسولًا ، في العهد الجديد كان له رأي آخر إذ قال في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس في الإصحاح التاسع منها : " فَإِنِّي إِذْ كُنْتُ حُرًّا مِنَ الْجَمِيعِ، اسْتَعْبَدْتُ نَفْسِي لِلْجَمِيعِ لأَرْبَحَ الأَكْثَرِينَ. 20فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِيٍّ لأَرْبَحَ الْيَهُودَ. وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ." اهـ (الناشر)

لسبب عملي للغاية، وهو بالتحديد أنه إذا استمر تواتر الزواج بين الأعراق مرتفعًا فسيؤدي في النهاية إلى اندثار الاختلافات الجسدية الفريدة لكل مجموعة. ولأن سمات البنيّة تكون سائدة، فإن الزواج بين الأعراق سينتج أشخاصًا يغلب فيهم الشعر البني والبشرة البنية والعيون البنية. ولقد أدى التزاوج بالفعل إلى الحد من العديد من الاختلافات العرقية التي كانت موجودة أصلاً بين الأمريكيين. غالبية الأمريكيون هم خليط من عدة أجناس – وهو شائع بشكل خاص في الأجناس الداكنة –.

ما الذي يخبرنا به هذا التاريخ ؟

ما تمكنت من استنتاجه هو أنه إذا كان السجل التوراتي للأصول البشرية مقبولاً بشكل كامل ووُضع موضع التنفيذ، فإن الكثير من الحزن والأسى الذي نجم عن النزاع "العرقي" في أميركا وألمانيا وفي أماكن أخرى لم يكن ليحدث مطلقًا: "آدم وحواء هما الزوجان التقليديان للإنسان في العالم المسيحي، لكنهما لا يساعدان كثيرًا عند البحث عن أعراق مختلفة في الجنس البشري. ومن الواضح أن زوجًا واحدًا من الأسلاف سيجعلنا جميعًا جنسًا واحدًا. كيف يمكن اعتبار "الاختلافات المذهلة" التي لفتت انتباهنا في وقت سابق مشكلة؟" (بارزون 1765,9)

إن فكرة العرق البيولوجي هي فكرة حديثة تطورت جزئياً من الطبيعة التطورية "وكانت طريقة تفكير مستأصلة في الحضارة الغربية و[هي] ظاهرة غربية"(بارزون 6). لسوء الحظ: "فان أعظم وأضعف العقول من القرن الماضي قد استسلمت لإغرائه"(بارزون، 6). كان من الممكن تفادي مأساة العرق والمحرقة وذبح ما يقرب من مليار شخص منذ عام 1900 فقط في الحروب والتطهير والإبادة الجماعية وغيرها من عمليات القتل

المنظمة، وذلك إذا استوعب الأشخاص تمامًا التعاليم التوراتية بأن كافة البشر أبناء آدم جميعهم أخوة وأخوات. فقط عندما ندرك أن الأجناس البيولوجية غير موجودة – وأن كل البشر نوع واحد يتجلى فيه الكثير من التنوع – سيتحقق الانسجام "العرقي" الكامل(هام وآخرون 1999). العرق هو البناء الاجتماعي.

المراجـــع

- جاك بارزون(Barzun, Jacques) 1965. "العرق: دراسة في الخرافات". نيويورك: هاربر ورو.

- روث بنديكت(Benedict, Ruth) 1943. العرق والعلوم والسياسة. الطبعة الثانية. نيويورك: مطبعة فايكنج.

- جيري برغمان(Bergman, Jerry) 1992. "علم تحسين النسل وتطوير سياسة العرق النازي." وجهات نظر حول العلوم والإيمان المسيحي، 44 (2): 109-123

- 1993 "تطور وأصول نظرية العرق البيولوجي." مجلة التكنولوجيا 7(2): 155-168.

- بريس سي لورنج وفرانك ليفينجستون (Brace, C. Loring, and Frank Livingstone) 1999 "عن الزحف الجينسيني" في مونتاجو 1999.

- بروس جيمس دي وهيمان رودمان(Bruce, James D., and Hyman Rodman) 1973. "الزواج بالبيض والسود في الولايات المتحدة: مراجعة للأدبيات التجريبية". الفصل التاسع في ستيوارت وأبت 1973.

- مايكل بيرلي(Burleigh, Michael) 2000. الرايخ الثالث؛ تاريخ جديد. نيويورك: هيل ووانج.

- كروكشانك اف جي(Crookshank, F.G) 1924 المغول بيننا :دراسة للرجل ووجوهه الثلاثة. نيويورك: إي. بي. داتون وشركاه.

- 1931 المغول بيننا: دراسة للإنسان ووجوهه الثلاثة، نُقح بشكل كبيرالإصدار. لندن كيجان باول – ترينش تروبر والشركة

- تشارلز داروين(Darwin, Charles) 1959 رحلة البيجل. نيويورك: هاربر ورو.

- يوليوس إيفولا(Evola, Julius) 1970 العرق كفكرة ثورية. العربية،ال ايه معهد بحوث الوحدة الغربية

- ليسلي فيدلر(Fiedler, Leslie) 1978 النزوات: الخرافات وصور الذات السرية. نيويورك: سايمون وشوستر

- نانسي جالاجر(Gallagher, Nancy)،1999 تربية أفضل لفيرمونتيرس. مشاريع تحسين النسل في ولاية الجبل الأخضر هانوفر في تي مطبعة جامعة نيوانجلاند

- ريتشارد أ جولدسبي(.Goldsby, Richard A) 1971 – العرق والأعراق نيويورك: شركة ماكميلان

- رودريك جوروني(.Gorney, Roderic) 1973 جدول الأعمال الإنساني. نيويورك: كتب بانتام. كامبريدج، ماساتشوستس: بيلكناب هارفارد.

- ستيفين جي جولد(.Gould, Stephen J) 1977" اونتوجيني و فيلوجوني" كامبريدج ام ايه بيلكناب هارفارد

- 1980" والاس والعيوب القاتلة" التاريخ الطبيعي، يناير 89(1)

- 1996 القياس الخطأ للانسان – نيويورك نورتون

- جون اس هوولر دجونيور(.Haller, John S., Jr) 1971 المنبوذون من التطور - المواقف العلمية للدونية العرقية، 1859-1900 اوربانا اي ال مطبعة جامعة الينوس

- هول ومارشال وساندر(Hall, Marshall, and Sander). 1977. العلاقة بين التطور والنظرية والعنصرية .ليكلاند اف ال الناشرون بي ار

- كين وهام وكارل فيلاند ودون باتن.(Ham, Ken, Carl Wieland, and Don Batten)
1999. دم واحد: الجواب الكتابي على العنصرية. جرين جرين، أركنساس: ماستر بوكس.

- جي اتش هاسكارل(Hasskarl, G.H.)،1898 الرابط المفقود؛ أو الوضعية العرقية للزنوج شامبريسبيرج بي ايه الأخبار الديموقراطية

- بول هامبر(Humber, Paul)،1987 "صعود العنصرية" التاثير فبراير 1-4

- اتش بي ايشهروود(Isherwood, H.B.) 2000. مانز العنصرية الطبيعة ميتريني ال ايه أبناء الحرية

- فيليب جونسون(Johnson, Phillip)،2000اصل الحقيقةدونيرز جروف إلينوي: انترفاريستي

- آرثر كيث(Keith, Arthur)،1946 التطور والأخلاقيات. نيويورك: ج. ب. بوتنام وأولاده.

- ديسموند كينج هيلي(King-Hele, Desmond)،1963 ايراسموس داروين: جد تشارلز داروين. نيويورك: أبناء تشارلز سكريبنر.

- جون كوستر(Koster, John)،1988 مرض الإلحاد برينتوود تي ان الناشرون ويلجمث وحياة

- كونراد كوتاك(Kottak, Conrad)،2004الأنثروبولوجيا: استكشاف التنوع البشري. نيويورك: مكجرو هيل.

- لينتونرالف(Linton, Ralph). 1955شجرة الثقافة. نيويورك: الفريد أ. كنوبف.

- آشلي مونتاجو(Montagu, Ashley)1953مانز الأسطورة الخطرة: مغالطة

العرق. نيويورك: هاربر.

- (محرر). 1999.العرق ومعدل الذكاء نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد.

- فريد بلوج(Plog, Fred)،1970"الأنثروبولوجيا"، في الكتاب السنوي للكتاب لعام1971 شيكاغو اي ال. مؤسسة المشروعات التعليمية الميدانية.

- روبرت إنبروكتر(Proctor, Robert N)،1988 النظافة العنصرية. الطب تحت سيطرة النازيين. كامبريدج، ماساشوستس: مطبعة جامعة هارفارد.

- جيه ايه روجرز(Rogers, J. A.)، 1970. "100 حقيقة مذهلة عن الزنوج: مع إثبات كامل". نيويورك: هيلجا م. روجرز.

- ايرفينغ آر ستيوارت، ولورانس إي. (Stuart, Irving R. And Lawrence E. Abt) 1973. "الزواج بين الأعراق: التوقعات والواقع". نيويورك: جروسمان ناشرون.

- جوزيف تيننباوم (Tennenbaum, Joseph)،1956 العرق والرايخ. نيويورك: توبني الناشرون.

- تي والتر ولبنك والاستير م تيلور(Walbank, T. Walter, and Alastair M. Taylor) 1961 الحضارات السابقة والحاضرة. الطبعة الرابعة. نيويورك: شركة سكوت فورمان.

- ديفيد ويليامز(Williams, David)،1997 "العِرق والصحة: أسئلة أساسية، اتجاهات ناشئة"، حوليات علم الأوبئة. 7: 322-333

الفصل الثالث

ابن عم داروين، السير/ فرانسيس جالتون، وحركة تحسين النسل

كان علم تحسين النسل ركيزة هامة في النازية والشيوعية وغيرها من الحركات الاستبدادية الشمولية (بيرجمان، 2012). وكانت اليوجينيا، وهي علم تحسين أعراق الإنسان بالتحكم العلمي في التناسل، وقد تم عرضها من قبل نسبة كبيرة من علماء الحياة، والأساتذة والمصلحين الاجتماعيين لأكثر من قرن باعتبارها وسيلة هامة، إن لم تكن وسيلة رئيسية لتحقيق الجنة علي الأرض(سيويل 2009).

المؤسس الرسمي لهذا العلم الجديد هو السير فرانسيس جالتون، وهو ابن عم تشارلز داروين وأحد المقربين منه. وكان عمل جالتون حاسماً في توفير الأساس للحركة التي بلغت ذروتها في المساهمة في خسارة عشرات الملايين من الأرواح، وما يصاحبها من معاناة مئات الملايين من الأشخاص.

نشأت حركة اليوجينيا المشينة من مجموعة من المفاهيم الأساسية للتطور البيولوجي – تلك الأفكار التي طرحها تشارلز داروين في المقام الأول – (جولد 1996، هيملفارب 1959، شانون 1920، هولر 1971، بارزون 1958). في الواقع ليس فقط جالتون وإنما كل الشخصيات الرائدة في حركة اليوجينيا – بمن فيهم بيرسون ودافنبورت وفوريل وبلويتز وشالمير وغيرهم – كانت الداروينية دائما هي الأساس في علم تحسين النسل بالنسبة لهم.

سيطرت فكرة تحسين النسل على غالبية دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة، حيث تُرجمت إلى سياسة اجتماعية، ولا تزال البقايا موجودة في فلسفة أكاديمية تسمى "علم البيولوجيا الإجتماعية" (ساهلينز 1977). علم تحسين النسل هو "الابن الشرعي

للتطور الدارويني، وهو بلاشك نمو طبيعي لا مفر منه للتيارات الفكرية التي تطورت بسبب نشر كتاب تشارلز داروين" أصل الأنواع" في عام 1859 (هوللر 1984، 3). وأفضل مثال على ذلك هو مقتبس من كتاب داروين " أصل الإنسان "1871: "نحن - الرجال المتحضرون نبذل قصارى جهدنا للتحقق من عملية التطهير؛ نبني المصحات..... ونضع قوانين ضعيفة.... لقد حمى التلقيح الآلاف من ذوي البنية الجسدية الضعيفة الذين كان يمكن في السابق أن يموتوا بمرض الجدري. هؤلاء الأعضاء الضعفاء في المجتمعات المتحضرة يتكاثرون ويزيدون من نوعهم. لا أحد ممن شهدوا تربية الحيوانات الأليفة سيشك في أن هذا يمكن أن يكون ضارًا للغاية بالجنس البشري. إنه لأمر مثير للدهشة كيف أن الرغبة في الرعاية أو توجيهها بشكل خطأ يؤدي إلى انحطاط السلالة المستأنسة؛ ولكن باستثناء حالة الإنسان ذاته، لا يوجد أحد جاهل بالقدر الذي يجعله يترك أسوأ حيواناته تتكاثر." (1871، المجلد رقم 1، 168).

وفي الاقتباس التالي - من نص كان مستخدمًا في علم الحيوان على نطاق واسع في عام 1920- مثال على العنصرية التي أنتجها داروين: "إن الفجوة بين الأجناس الأكثر تحضراً وقدرة من الأوروبيين وبين الأقزام الأفارقة أشباه البهائم هائلة جدا لدرجة دفعت بعض الجهات إلى الاقرار بأنها تنتمي إلى أنواع مختلفة، أو على الأقل إلى أنواع فرعية." (نيومان 1925، 403).

في نهاية المطاف ساهم التطبيق المأساوي للداروينية - وقد يجادل البعض بأنه سوء تطبيق - في المحرقة النازية وغيرها من الحركات الاجتماعية المدمرة مثل علم تحسين النسل (بروكتور 1988). وكان لفرانسيس جالتون ابن العم الأصغر لتشارلز داروين -

دورًا هامًا للغاية في هذه الحركة (1822–1911). كان ثريًا ولم يشغل أي منصب علمي أو تدريسي. اشتهر بعمله كمؤسس لعلم تحسين النسل(اليوجينيا)، لقد زعم أن علم الوراثة ("الطبيعة") هو الذي حدد العقل البشري عمومًا، لذلك فإن مصيرنا كان مبنيًا على هذا التصور. ولاعتقاده بأن بعض الأشخاص كانوا متفوقين، فقد دعا بقوة إلى التحكم في التكاثر للحفاظ على الطبقات السائدة (تايلور 2001).

بدأت حملة جالتون العنيفة لتحسين النسل المستادم بقبوله للتطور الكبير(الماكروي). (بينوم 2002، 379). أدى نشر "أصل الأنواع" لداروين إلى تغيير حياة جالتون والتخلص من "أي مشاعر دينية باقية" كانت لديه قبل قراءة كتابات داروين (بينوم 2002،379). كتب جالتون في سيرته الذاتية ما يلي: "لقد أحدث كتاب أصل الأنواع – لتشارلز داروين – نقطة تحول مميزة في تطوري العقلي الخاص كما فعل في فكر البشر بشكل عام. فقد كان تأثيره هو هدم العديد من الحواجز العقائدية بضربة واحدة، وإثارة روح التمرد ضد كل السلطات القديمة التي تتناقض تعاليمها المفروضة والغير المصدق عليها مع العلم الحديث" (1908، 287).

اعتقد بيرسون أن جالتون كان مخلصًا لأفكار داروين "بولاء نادر جدا" مقارنة بما هو موجود حاليًا (1914، ص 7). فقد قبل جالتون الداروينية لعدة أسباب قائلاً عن نظرية داروين: "لقد قادتني بعيدا عن خرافاتي القديمة وجعلتني أقبل بعقيدة علمانية خالصة في التطور. إن المعتقدات الروحية التقليدية في الخلق المتدني والخلاص الإنساني من خلال نعمة إلهية قد أفسحت المجال للفكرة المادية بأن الإنسانية ترتقي بالتطور التدريجي." (لارسون 1995، 18–19).

لكي نفهم السبب وراء نمو حركة "اليوجينيا" بهذا القدر وبهذه السرعة علينا أولًا أن نفهم كيف كان يُنظر إلى التطور في أميركا وأوروبا في أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر. استخدم العديد من العلماء التحليل الداروينى لتقييم مختلف "الأعراق" البشرية، وخلصوا إلى أن بعض الأعراق قد تطورت أكثر من غيرها. ثم بعد ذلك زعموا أن وجود بعض المجموعات العرقية في الولايات المتحدة وأوروبا يشكل - على المدى البعيد - خطرًا على الجودة البيولوجية وصحة الأمة، واستنتجوا من ذلك أن التكاثر الانتقائي هو خطوة ضرورية لحل الكثير من المشكلات الاجتماعية الكبرى. (هوللر، 1984، 10)

المزارع وليام دونتا يحمل بندقية بعد مسيرة كو كلوكس كان وإحراق الصليب على منزله في مقاطعة جاكسون. أوهايو. 1987

ندرك الآن تمامًا النتائج المأساوية لهذا الاعتقاد حتى أن أغلب الناس يشعرون بالذهول من مثل هذه التصريحات عندما تصدر من المؤمنين بسيادة البيض والجماعات العنصرية المعاصريين مثل الأمة الآرية وحركة كو كلوكس كلان. ومع ذلك فإن العديد من الجماعات المتطرفة اليوم غالبًا ما يقتبسون ومن ثم يعيدون نشر وتوزيع المؤلفات الأدبية والعلمية ذات الصلة بعلم تحسين النسل (اليوجينيا) من ذلك الوقت.

بالرغم من أن اليوجينيا تعود إلى عمل داروين الأصلى إلا أن العديد من الاكتشافات عام 1880 جعلتها محترمة علميًا. فبعد الفهم الأساسي لآلية الوراثة، وإعادة اكتشاف علم الوراثة المندلية بعد فترة وجيزة من بداية القرن العشرين، أصبح

الكثير من العلماء - أكثر من أي وقت مضى - مقتنعين أنهم قد كشفوا سر الوراثة وبالتالي أوجدوا مفتاح التطور. (كرافنس 1978، 39-47)

لقد أدت هذه الاكتشافات إلى فهم جديد كامل عن مكان البشر في الطبيعة، وكانت المفتاح لمنهج جعل الكثيرين يشعرون بوجود إمكانات كبيرة لتحسين المجتمع. فكما أن الاختلافات في الأنواع الحيوانية جعلتها أكثر أو أقل قدرة على البقاء التطوري، جادلوا في أنه كذلك فإن الاختلافات بين المجموعات العرقية البشرية جعلت مجموعة أكثر أو أقل قدرة على البقاء التطوري من المجموعات الأخرى - فكرة ترجمت إلى تصنيف الأعراق إلى أدنى أو أعلى (هوللر، 1984، 10-11)

مؤسس نظرية تحسين النسل، فرانسيس جالتون ابن عم داروين

في آواخر خمسينات القرن التاسع عشر عندما كان فرانسيس جالتون في آواخر الثلاثينات من عمره، بدأ بحثه علي طول حياته لتحديد السمات البشرية التي جمعها في "الأعراق". وكان هدفه هو تحسين الجنس البشري وراثياً. وقد استنتج جالتون، الذي كان متأثرا بشدة بابن عمه الأكبر سنًا، تشارلز داروين، أن مفتاح التقدم البشري هو التطبيق المباشر للداروينية في المجتمع بموجب القانون والبرامج الوطنية (غلاغير1999).

كان مذهب تحسين النسل بالنسبة لجالتون مهمًا لدرجة أنه في غضون ست سنوات من نشر أصل الأنواع: "توصل جالتون إلى العقيدة التي عليه أن يبشر بها ما تبقى من حياته... لقد أصبحت بالنسبة له أخلاقيات جديدة ودين جديد." (هوللر 1984,10). ثم شرع في تقديم أدلة مقنعة عن "دينه الجديد" علم تحسين النسل. وقد سمحت له الثروة التي ورثها جالتون عن والده في سن مبكرة عن عمر 22 عام: "بتوسيع

نطاق معرفته بالعديد من الأنواع العرقية من خلال الرحلات العالمية الواسعة التي شملت استكشاف أجزاء من أفريقيا غير معروفة للأوروبيين.... حيث عاد جالتون من أسفاره باقتناع قوي بأن هناك تسلسلاً هرمياً طبيعياً للأعراق البشرية التي وضعت الانجلوسكسونيين فوق الآخرين كافة. حيث حفزه كتاب ابن عمه أصل الأنواع... للتحقيق في كيفية تطور النوع البشري من خلال التباين والاختيار والوراثة التي كانت القوى المحركة للتطور الداروينى." (لارسون 1995، 18).

وفي عام 1865، نشر جالتون أفكاره لأول مرة عن تحسين النسل في سلسلة من المقالات المكونة من جزأين لمجلة ماكميلان، والتي توسعت في النهاية إلى كتاب بعنوان العبقرية الوراثية (1869). ركزت مقالاته على مصدر السمات الإنسانية المختلفة بما في ذلك الفكر والشخصية وحتى الصفات الأخلاقية، خاصة تلك التي مكنت المرء من أن يصبح قائدًا فعالاً. كما بحث في المهارات اللازمة للتفوق في الفنون والعلوم والأدب، وفي المساعي الإنسانية الإيجابية بشكل عام.

صرّح جالتون علناً بأن هدفه كان "إنتاج جنس موهوب الى أقصى حد من البشر عن طريق الزواج الحكيم خلال عدة أجيال متعاقبة". وكان السبب لديه هو أن الإنسان يمكنه أن "يحصل عن طريق الاختيار الدقيق على سلالة دائمة من الكلاب أو الخيول الموهوبة بقدرات غريبة على الجري، أو من القيام بعمل أي شيء آخر، لذلك سيكون من الممكن عمليا إنتاج جنس موهوب من البشر عن طريق الزواج الحكيم خلال عدة أجيال متتالية." (جالتون 1869، 1).

اقترح جالتون في مقالته في ماكميلان عام 1865 أن الدولة تقوم برعاية "اختبارات"

تنافسية لتحديد "أفضل" البشر وأن الفائزين الذكور سيحصلون على الفائزين الإناث كعروس. حتى أنه ذهب إلى أبعد من ذلك إذ اقترح أن تصنف الدولة الأشخاص حسب مستويات التفوق التطورية، ثم تستخدم المكافآت النقدية لتشجيع أولئك الذين احتلوا مرتبة عالية على إنجاب المزيد من الأطفال. ومن يصنفون في مكانة أدنى يُعزلون في الأديرة لمنع نوعهم هذا من التكاثر." (كيفليس 1985، 4). وأحد الأسباب التي جعلت جالتون محافظاً في تعليقاته مقارنةً بالنازيين أنه أدرك - كما فعل داروين - أن المطالب الجذرية سوف تؤدي إلى إخفاق قضيتهم التي تخص تحسين النسل.

"لم تكن طريقة جالتون في التبشير بتحسين النسل صالحة لدى" شو"؛ فقد كان متطرفًا للغاية واستفزازًيا بطريقة متعمدة بينما كان جالتون يدعو إلى الحذر للحصول على قبول الرأي العام." (فورست 1974، 258).

كان جالتون يعلم أنه لكي تكون أهدافه ناجحة؛ فعليه تجنب ما يعتبره عامة الأفراد تصريحات متطرفة. لذا فقد اعتمد في أبحاثه على منهجية لدراسة العبقرية ، والتي استخدمها العديد من الآخرين منذ ذلك الحين (انظر جيورتزيل وجيورتزيل 1962). وكانت الموسوعة البيبليوغرافية "قاموس رجال من الزمن" والتي نشرت في 1865 هى المصدر الثاني لعينة السكان التي امتدت على مدى قرنين. وعلى غير المتوقع وُجد أن العديد من أولئك المدرج أسماؤهم في هذا العمل المرجعي الضخم - ويفترض أنهم من أبرز رجال الدولة والعلماء والرسامين ورجال القانون في عصره - كانوا أقرباء.

واستنتج جالتون أن العائلات ذات الأعضاء المتفوقين كانوا أكثر احتمالًا من غيرهم لإنتاج ذرية ذات كفاءة وفقًا لعلم الوراثة. بعد ذلك استنتج الباحثون، مثل كارل

بيرسون، أن 90% من ذكاء الشخص موروث بالكامل (هوفستاتر 1955)، والنسبة المتعارف عليها اليوم هي 70%، مما يعني أن البيئة الجيدة يمكن أن ترفع معدل ذكاء الطفل من المتوسط (معدل الذكاء 100) إلى 130، مما يؤهل الطفل للبرامج المخصصة للأطفال الموهوبة في غالبية المدن.

كان هدف جالتون النهائي هو إنتاج جنس متميز للتحكم في عالم الغد، وهو حلم لم يكتبه فقط، بل روج له بنشاط طوال حياته. لوصف استخدامه للتطور من أجل تحسين البشر، صاغ جالتون كلمة اليوجينيا (من كلمتين يونانيتين تعني مولود جيد). كما طرح مصطلحات "الطبيعة" و"التغذية" للمناقشات العلمية، مما أثار جدلاً حول الطبيعة/التغذية مازال هذا النقاش قائمًا حتى اليوم. ومصطلح تحسين النسل كان هامًا لأنه: "- من خلال إعطاء اسم شعبي للنظريات التي بدأ بالفعل في تطويرها من المفاهيم التطورية لابن عمه تشارلز داروين - أسس جالتون حركة اجتاحت أوروبا وأميركا الشمالية لنصف قرنٍ من الزمان" (لارسون، 1995، 18).

وأسس جالتون في عام 1901 (المجتمع التعليمي لعلم تحسين النسل) في قسم الإحصاء في كلية لندن الجامعية (جونز1980). وازدهرت هذه المنظمة حتى أنها أنتجت مجلة بيومتريكا، التي أسسها وحررها جالتون، ثم كارل بيرسون لاحقاً. وعلى الرغم من أن المجلة مازالت رائدة إلى اليوم، إلا أن محرريها رفضوا - منذ ذلك الحين - الفلسفة الأساسية وراء تأسيسها.

واستنتج جالتون أنه ليس فقط الذكاء بل كذلك العديد من السمات الإنسانية هي نتاج الوراثة بالمقام الأول،إن لم يكن الأول والأخير ، وبالتالي تحددها "الطبيعة".

كما أنه يعتقد أن كل سمة بشرية يمكن تقييمها إحصائيًا، وأن البشر يمكن مقارنتهم كمياً باستخدام عدة مئات من السمات، واقتنع جالتون تمامًا بأن قانون البقاء للأصلح ينطبق على البشر، وأن التكاثر يجب أن يقتصر على أولئك الأكثر ذكاءًا والأكثر مسئولية (بيرسون 1914، 1924، 1930).

كانت الطبقة الاجتماعية ترى أن ابن العامل لا ينبغي أن يطمح إلى حياة أفضل لأن غالبية عائلات العاملين يفترض أنها أدنى وراثيًا.

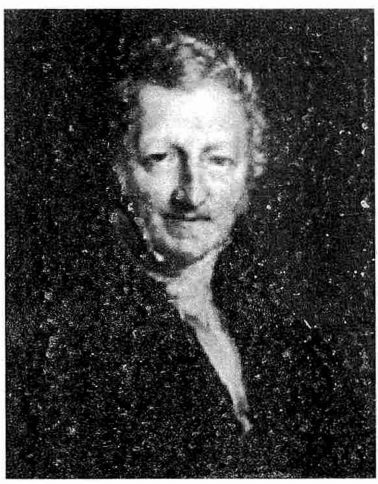

صورة لتوماس مالتوس سنة 1833

وقد استنتج جريين مباشرة بعد أن لاحظ أن العديد من البريطانيين تأثروا بشدة بكتابات البعض مثل آدم سميث وتوماس مالتوس: "ليس من قبيل المصادفة أن كافة الرجال الذين توصلوا إلى بعض الأفكار حول الانتقاء الطبيعي في النصف الأول من القرن التاسع عشر - مثل ويليام ويلز، وباتريك ماثو، وتشارلز ليل، وإدوارد بليث، وتشالز داروين، وأيه. آر. والاس، وهربرت سبنسر - جميعهم كانو بريطانيين. وإن كان هناك في تاريخ العلم مثال واضح جدًا على تأثير السلوك الشعبي في التفكير على تطوير النظرية العلمية فسيكون هذا." (جريين 1981)

وسرعان ما بدأ جالتون - وهو طفل خارق في حد ذاته - يبحث عن بشر متفوقين آخرين لدراستهم من خلال قياس حجم رؤوسهم وأجسادهم وأدمغتهم. ولقد ابتكر جهاز قياس متطور لهذا الغرض من المفترض أنه كان لا يقوم بقياس الدماغ

والذكاء فحسب، ولكن أيضًا كل سمة بشرية أخرى يمكن قياسها دون جراحة. بل إنه صمم صافرة لقياس النطاق الأعلى من السمع البشري تسمى الآن بصافرة جالتون، وهي أداة لا تزال من معدات القياس في المختبر الفسيولوجي.

كان عمله عادة دقيق للغاية واعتمد بشكل كبير على الطريقة التجريبية والتقنيات الإحصائية المعقدة التي طوّر بعضها خصيصًا لعمله في علم تحسين النسل. في الواقع، يعد جالتون وزميله - كارل بيرسون - مؤسسي مجال الإحصاء الحديث وكلاهما قدم مساهمات كبيرة، فقد كانت أبحاثهم الدقيقة والمفصلة مقنعة للغاية خاصة للأكاديميين. وكان الأساتذة الألمان من بين الأوائل الذين اهتموا بكل إخلاص ليس بالتطور الداروينى فحسب، بل كذلك بالنظرة العالمية إلى تحسين النسل التي أدت في النهاية إلى المحرقة. أعاد إيليوت سلاتر - وهو طبيب نفسي - صياغة هَوَس جالتون بقياس كل نشاط بشري يمكن تصوره. ووضح ذلك في محاضرته عن جالتون عام 1960 (سلاتر 1960).

تحسين النسل في أميركا

تم دعم تحسين النسل ليس فقط من قِبل العلماء البريطانيين؛ ولكن كذلك العلماء الأمريكيين. فقد كان عدد مشتركي المجلة الخاصة بعلم تحسين النسل - بيومتريكا - في الولايات المتحدة أكثر بكثير منه في بريطانيا العظمى. حتى أنّ اختصاصي علم تحسين النسل - كارل بيرسون (1857-1936)- في وقت ما فكر في الانتقال إلى الولايات المتحدة حيث ظنّ أنّ أفكاره حول تحسين النسل ستلقى احترامًا أكثر هناك. وكان الهدف الأول للمؤسسين منذ استقرار أميركا هو تجنب تكرار الحروب التي مزقت أوروبا لقرابة 500 عام وذلك في محاولة منهم للحد من الاختلافات الثقافية، وبعد 1890

تقريبا، تم القيام بجهود قوية للتأكد من أن المجتمع الأمريكي متجانس وغالبا ما يكون من البيض والانجلوسكسونيين والبروتستانتيين (تايلور 2001). "إذا دُعمت نظريات العرقية عن طريق العلم، فلن يكون هناك تعصب. وبالتالي كان تحسين النسل هو الحل المثالي وتم تطبيقه بقوة في موانئ الهجرة – في نيويورك على سبيل المثال – وكان المهاجرون غالباً ما يُمنعون من الدخول على أساس قياس حجم الرأس، أو قياس المسافة بين طرف الاصبع والرضفة[1] (إذا كانت قصيرة جدا هذا معناه أن هذا الشخص لم يتطور بما يكفي!)." (تايلور 2001، 1).

فكرة أن البشر يستطيعون تحقيق تقدم بيولوجي يؤدي في النهاية إلى إنتاج جنس متفوق لم يكن يُنظر إليها على أنها هرطقة أو أن لها هذه الآثار الرهيبة في النازية بالنسبة للفكر الفيكتوري كما هي الآن. شهد جالتون ثمار التطورات الحديثة في التكنولوجيا ونتائج الثورة الصناعية، وكلاهما أثبت له أن البشر يستطيعون التفوق على الطبيعة غير الحية (كيفليس 1985,2). لقد أدرك البشر أن المزارعين يمكنهم الحصول على سلالات أفضل من كل من النبات والحيوان عن طريق الانتقاء الدقيق للانتخاب، ولذلك كان من المنطقي أن يُحَسَن الجنس البشري بالمثل بالطريقة ذاتها(جونس 1980).

كانت النتيجة التي توصل إليها جالتون هي: أنه من أجل مستقبل البشرية؛ يجب وقف تلويث مجموعة الجينات الثمينة المتفوقة لبعض الفئات عن طريق منع تزاوجهم مع السلالات الأدنى. وكانت الخطوة التالية هي أن البشر يجب أن يُوجّهوا بذكاء تطور

---

(1) الرضفة: هي عظمة رأس الركبة، هي عظمة سمكية مستديرة ومثلثة الشكل تتمفصل مع عظم الفخذ وتغطي الجزء الأمامي لسطح مفصل الركبة.

جنسهم بدلاً من ترك مثل هذه العملية الحيوية للصدفة وحدها. ومن المثير للاهتمام أن جالتون لم يكن وحده في استنتاجه هذا، بل كان هناك أيضًا كافة المؤيدين الرئيسيين للتطور، بمن فيهم تشارلز داروين، وألفريد رسل والاس (المعروف في كثير من الأحيان بالمؤسس المشارك في نظرية التطور الحديثة)، وإي. راي لانكستر، وإيراسموس داروين، الذين كانوا يعتقدون أن "التطور يُقر برنامج تكاثر للإنسان" (هولر 1984، 17).

"الطريق إلى إنتاج جنس بشري موهوب هو استخدام العلم للتحكم في من يتزوج من." (جالتون 1869، 1). وفي مسعاه إلى أن يكون لبقاً في مناقشاته حول التناسل العرقي، استخدم جالتون مصطلحات مثل "الزواج الحكيم" و"تثبيط التناسل عند السلالات الأدنى". لم يرَ نفسَه وحشياً - على الأقل في كتاباته - بل آمن بأن مقترحاته كانت من أجل الخير للبشرية على المدى الطويل.

رفض جالتون تماما ما جاء في العقيدة المسيحية عن مساعدة الضعفاء والإحسان إلى الفقراء وهاجمها وكتب ضدها الكثير. وعلى خلاف ما حدث مع كارل بيرسون أحد مؤسسي علم تحسين النسل)؛ حيث وُصف بأنه رجل رياضياتيّ بارد بلا مشاعر أو تعاطف، تلقى جالتون العديد من الألقاب الشرفية على عمله بما في ذلك ليس فقط الميداليات المرموقة لداروين والاس، ولكن كذلك ميداليات هوليكس وكوبلي. حتى حصل على رتبة فارس من قبل الحكومة البريطانية، وبالتالي أصبح لقبه السير فرانسيس جالتون (جالتون 1908).

حجم المخ والذكاء

لإثبات نظريته، اضطر جالتون أن يثبت أولًا كيف أن أجناس البشرية تختلف

جذريًا عن بعضها البعض. وكان عليه أن يثبت أن هذه الاختلافات كانت موروثة. لقد تأثر جالتون بشكل كبير بالطبيب الفرنسي بول بروكا الذي أكد أن الذكاء البشري يرتبط بشكل مباشر بحجم المخ. وكان جالتون يدرك أن بعض الرجال الأذكياء لديهم رؤوس صغيرة وأن العديد من الرجال الجهلة لديهم رؤوس كبيرة، لكنه حاول أن يفسر هذه الحالات مشددًا على أن هذه العلاقة بصفة عامة موجودة.

يجب النظر إلى العلاقة ما بين هذه الآراء والمناخ العلمي السائد في ذلك الوقت (كيفليس 1985،8). إذا كانت العلاقة بين حجم المخ أو العرق والذكاء موجودة، فهي ليست للأسباب العنصرية التي افترضها جالتون. أدت الأنظمة الغذائية والظروف البيئية الجيدة إلى إنتاج أطفال أكبر حجماً جسديًا؛ وبالتالي كان لديهم أدمغة أكبر. لذلك فقد كان الأطفال من الطبقات العليا غالباً ما يكونوا أفضل تغذية وأفضل تعليماً ولديهم وقت فراغ أكبر لمتابعة المؤسسات الفكرية. أمّا الأطفال الذين تربوّا في الأحياء الفقيرة فكانوا يتمتعون بنظام غذائي فقير ويعيشون في بيئات عقلية وجسدية سلبية. ونتيجة لذلك، غالباً ما كانوا يتمتعون بقوام أصغر وبالتالي عانَوّا عيوباً أخرى. وكما هو معروف اليوم، فإن الأطفال من العائلات المرموقة لديهم فرصة أكبر بكثير من غيرهم في الحصول على بيئة منزلية مُحفزة فكريًا، والذهاب إلى مدارس أفضل، وتلقي تعليم أفضل، وقد يكون لديهم كذلك المزيد من الدعم والتشجيع، والدافع لتحقيق التفوق.

لهذه الأسباب؛ وُجد العديد من الحالات التي استخدمها جالتون لدعم نظريته في تحسين النسل. وجود علاقة بين حجم المخ والذكاء لا يثبت أن أحدهم تسبب في الآخر وهي مغالطة إحصائية واضحة جدا ولكن جالتون تجاهلها. وعلى الرغم من أن

متوسط حجم المخ يختلف بشكل عام، فإنه يميل إلى أن يرتبط بشكل أساسي بالنضج وحجم الجسم. وباستثناء حالات المرض أو التطور غير الطبيعي فإن حجم المخ الإجمالي لا علاقة له بالذكاء أو أي سمة أخرى يمكن ملاحظتها، وبالتالي فمن الواضح أنه خاصية غير وظيفية لا تؤثر في البقاء على قيد الحياة. هناك عدد من أكثر الرجال ذكاء في التاريخ لديهم أدمغة صغيرة للغاية، في حين أن آخرين لديهم أدمغة كبيرة وكانوا متخلفين عقليا، وهي حقيقة لم تثن جالتون عن الترويج لنظريته كما لوحظ (بيردزيل 1972–516 ولوربر 1980).

يعتقد جالتون أن الذكاء أو "الموهبة" وراثية (فطرية) وأنها ستتطور بغض النظر عن البيئة، لأنه يعتقد أنه "نادرًا ما يضعف الذكاء من خلال الحرمان الاجتماعي". لقد افترض أن الطفل لا يحتاج إلى عائلة متميزة لتطوير ذكائه أو مواهبه ولإثبات أن الموهبة نادرا ما كانت تنقصها العوائق الاجتماعية؛ اختار جالتون أمثلة من أفراد جاءوا من عائلات متواضعة لكنهم كانوا ناجحين (كيفليس 1985–4). واستنتج أنه نظرًا لأن عددًا قليلاً من الأطفال الذين ينتمون إلى خلفيات متواضعة قد حققوا نجاحًا، فمن الممكن أنّ غالبيتهم لم تكن لديهم الجينات المطلوبة. جالتون لم يتعامل بشكل كاف مع احتمال أن يكون الأشخاص ذوي القدرات العالية الذين ينشؤون في الفقر يمكن يحققوا نتائج أفضل بكثير لو أنهم ولدوا في عائلة متميزة ولديهم مزايا اجتماعية أخرى.

وأحد "البرهاين" على نظرية علم تحسين النسل كانت أميركا حيث خَلص جالتون إلى أنّ الهيكل الطبقي الجامد الذي كان موجود في بريطانيا العظمى قد تم القضاء عليه فعليًا. فإذا كانت الثقافة تمنع الأشخاص الموهوبين من تحقيق إنجازات أكبر فإن عدد

الأشخاص في مجال الفنون والعلوم في أميركا سيفوق بالتأكيد عدد الأشخاص في بريطانيا لكن استنتج جالتون إلى أن العدد لم يكن كذلك، وبالتالي "لو أن عوائق صعود العبقرية قد أزيلت من المجتمع الإنكليزي تمامًا كما أُزيلت من أميركا"، فلن تصبح بريطانيا أكثر ثراءًا فيما لديها من شخصيات مرموقة.(جالتون 1986 -40-43)

كانت المشكلة الخطيرة في هذا التعميم هي الاختلاف في الحكم على "الطبقة الأولى من الأعمال الأدبية أو الفلسفة أو الفن". تجاهل جالتون إلى حد كبير حقيقة أن أميركا وأوروبا يمتلكان قيمًا وقواعد فنية مختلفة - وهي حقيقة منعت صعود الأشخاص المولودين في الطبقات الاجتماعية الدنيا في أوروبا -. وأنتج العديد من الأمريكيين الفن الذي كان موضع تقدير في الولايات المتحدة ولكن ليس في بريطانيا. لن يتوصل الكثير من البريطانيين إلى أن أميركا لديها فنانين أو كتاب أكثر تميزًا وما إلى ذلك (تشيس 1980).

نشأة جالتون

دحضت تنشئة فرانسيس جالتون نظريته من نواح متعددة. فقد ولد في عام 1822 لعائلة عريقة اكتسبت ثروتها في الأصل من خلال تصنيع الأسلحة النارية، وكان والد جالتون مصرفيًا عندما تزوج من ابنة إيراسموس داروين، جد تشارلز داروين. استثمرت عائلته الكثير من الوقت والطاقة في تنميته الفكرية. وعلى الرغم من أن فرانسيس جالتون كان طفلاً موهوبًا بشكل واضح، لكن الفضل الكبير في تفوقه يرجع إلى أخته، التي كانت تبلغ من العمر 12 عامًا حيث درَّست جالتون بطريقة فعالة منذ أن كان في عمر سنتين ونصف حتى أتقن القراءة الأساسية. وفي عمر الرابعة استطاع الكتابة. وعلى عكس فرانسيس جالتون، لم يقدم شقيقاه أداءً جيدًا كبالغين، فقد كان الوحيد

في عائلته الذي حقق هذا القدر من النجاح.

وقد أعجبت عائلة جالتون بإيراسموس داروين وكثيراً ما أشادوا بتميزه في مجال الطب والبيولوجيا. كانت عائلته تنتمي إلى جمعية الأصدقاء الدينية (كويكرز)[1] ، لكن والد فرانسيس تحول إلى الكنيسة الأنجليكانية[2] بناءًا على إصرار زوجته فيوليتا. عمل ذلك لصالح فرانسيس لاحقًا حيث جعله قادراً على الذهاب إلى الجامعات الرائدة في إنكلترا، والتي كانت في ذلك الوقت مقتصرة فقط على الأنجليكانيين.

على الرغم من أن جالتون كان طفلاً سابقًا لعصره، إلا أن أداءه لم يكن جيداً في المدرسة. التحق بكلية طبيّة في عمر 16، لكنه لم يؤدي جيدًا هناك (بيرسون 1914). ذلك لأنه كان يشعر بالملل وغياب التحفيز، وغالباً ما كان يحضر العديد من اللقاءات الاجتماعية في وقت متأخر من الليل. لقد سافر كثيرا في محاولة لإيجاد نفسه. وفي عام 1844، وعندما كان فرانسيس في الثانية والعشرين من عمره توفي والده وترك له ميراثًا كبيرًا.

وحتى مع وجود العالم في انتظاره، وتوفر الإمكانيات المالية لاستكشافه؛ فإن رغبة جالتون في القيام بذلك لم تكن من جيناته ولكن من تأثير من يحيطون به. كان جالتون مطرِقًا، ومكتئبًا، وبدون أهداف. قام جالتون باستشارة عالم في فراسة الدماغ،

---

(1) الكويكرز أو جمعية الأصدقاء الدينية: جماعة من المسيحيين البروتستانتيين نشأت في القرن السابع عشر في إنكلترا على يد جورج فوكس. (الناشر)

(2) الكنيسة الأنغليكانية: باللاتينية (ecclesia anglicana وتعني الكنيسة الإنكليزية. ويقصد بها كنيسة انكلترا والكنائيس المرتبطة بها تاريخيًا. ويستخدم هذا المصطلح لوصف الناس والمؤسسات والتقاليد الدينية المتعلقة بهذه الكنائس. تأسست في القرن السادس عشر على يد هنري الثامن. من المرجح أنها تتبع المذهب البروتستانتي لكن البعض يزعم أنها كاثوليكية معدلة.(الناشر)

هذا العالم ذكر أن الرجال ممن لهم نوع رأس جالتون يكونون أكثر ملاءمةً للأنشطة مثل الاستعمار والاستكشاف (كيفليس 1985-6). واقتناعًا بأن هذه النصيحة - التي من الواضح أنها خاطئة - قد تكون صحيحة؛ قام جالتون في عام 1850 باستكشاف جزء من العالم كان في ذلك الوقت غير معروف إلى حد كبير للأوروبيين وهو أرض أفريقيا السوداء.

عاد جالتون إلى إنكلترا بفضول متجدد حول العالم الطبيعي وترتيب الأعراق من الأدنى إلى الأعلى. وكان ذلك فقط بعد قراءة كتاب داروين "أصل الأنواع" في عام 1860، حيث وجد دعوته الحقيقية وقضى بقية حياته واضعًا كافة طاقاته الهائلة لتطوير علم تحسين النسل. على الرغم من أن علم تحسين النسل كان خطأ وتسبب في الكثير من الأذى، لكن مساهماته في علم الإحصاء وخاصة في مجال بصمات الأصابع كانت انجازات علمية فارقة. وسرعان ما حصل على ميدالية ذهبية من الجمعية الجغرافية العالمية وانتُخب زميلًا للجمعية الملكية نتيجة لإنجازاته. وقادته هذه التجربة كذلك إلى إلقاءالمحاضرات والكتابة حيث برع فيهما، وطُبعت غالبية كتبه عدة طبعات أثناء حياته.

ومن هذه النقطة فصاعدًا تطورت أفكار جالتون حول تحسين النسل بشكل سريع. وقد ساعدت الانطباعات التي حصل عليها خلال رحلاته الإفريقية في تأكيد معتقداته حول الأجناس المتدنية وكيفية تحسين المجتمع. وهذا الاستنتاج يؤيد بقوة مؤلفات كل من جده وابن عمه تشارلز داروين. ولأن جالتون كُرّم لاسهاماته العلمية، فقد اعتقد أنّه من المحتمل أن تكون أعماله في مجال تحسين النسل طريقة أخرى تمكنه من تحقيق المزيد من الأوسمة. وخلص إلى أن هذا العمل يعتبر أكثر أهمية من ذلك الذي

أكمله عن المجتمعات الجغرافية المختلفة، بل وأكثر أهمية حتى من بحثه الذي ساعد في جعل نظام بصمات الأصابع جزءًا من نظام التحقيق الجنائي في بريطانيا.

ترتبط نظرية تحسين النسل ارتباطًا وثيقًا بتاريخ التطور. قال هولر (1984، 9) – وهو مؤلف لواحدٍ من أكثر الأعمال الحاسمة في تاريخ حركة تحسين النسل -: "نشأ علم تحسين النسل من نظرية التطور الداروينى محاولًا تطبيقها على البشر. انطوت نظرية تحسين النسل على التطبيق - أو سوء التطبيق - للعديد من الاكتشافات في علم الوراثة التي أحدثت تحولًا بعد ذلك في الفهم العلمي للكائنات الحية والطرق التي يحدث بها التطور." وكتب جالتون في رسالة إلى داروين: "شكّل ظهور كتابك "أصل الأنواع" أزمة حقيقية في حياتي" مما أدى إلى هدم مسيحيته "كما لو كانت كابوسًا، وكان أول ما منحني حرية الفكر" (مقتبس من هوللر 1984–198). جانب آخر من دوافع جالتون - باعتباره محايدًا دينيًا -: "أنه وجد في علم تحسين النسل عاملًا عاطفيًا مكافئًا للدين. "الحماس لتحسين العرق هدف نبيل للغاية" وصرح أنه: "قد يزيد من الشعور بوجوب الالتزام الديني." (مقتبس من هوللر 1984–17).

بل إن جالتون أيّد وجهة النظر القائلة بأنه ينبغي استخدام "القانون والعرف" لدعم نظرية تحسين النسل لتحقيق "تحسين الأعراق" (هوللر 1984 -17). وهذا بالضبط ما فعله الحزب الاشتراكي القومي (النازي) بعد عدة سنوات في ألمانيا.

أصبحت طريقة تحليل السلالات التي طورها جالتون - والتي أطلق عليها "إحصائيات من خلال المقارنة"- فيما بعد نظامًا شائعًا لتقييم الاختبارات النفسية. سمح هذا المقياس لجالتون "بإعداد عدد من البيانات العامة حول مقارنة قدرات

الأعراق المختلفة، تلك البيانات التي كانت تتوافق مع" – في نواحٍ كثيرة كانت مجرد إعادة تعبير عن الانحيازات الموجودة في عصره "(ستينجلر 1986، 272).

ومن المثير للاهتمام أن جالتون صنف قدرة الأثينيين[1] القدماء بأنها: "تقريبا درجتين أعلى من درجتنا نحن – أي بقدر ما تتفوق سلالتنا على السلالة الأفريقية الزنجية" (جالتون 1869، 342). ولكن الطريقة التي مكنت جالتون من ذلك لم تكن واضحةً تماماً، لكن من المتحمل أنه اعتمد كلياً على مؤلفات المتثقفين الأثينيين القدماء.

على الرغم من أن علماء الأحياء في عصر جالتون قدموا الكثير من الدعم الفكري والتجريبي للنظرية لكن دُعمت حركة تحسين النسل بشكل أكبر من خلال عمل مُدراء المصحات المخصصة لمن يعانون من التأخر العقلي، والمجانين، ومدمني الكحول، بالإضافة إلى حراس السجون والأطباء وعلماء الاجتماع والأخصائيين الاجتماعيين وغيرهم من المشاركين في رعاية الأشخاص الذين يعانون من مشكلات عقلية أو جسدية (هوللر 1984 –5). ويعتقد أعضاء هذه المهن عموماً أن المجتمع يتحمل مسؤولية رعاية هؤلاء الأشخاص، لكنهم شعروا كذلك أن المجتمع ينبغي أن يمنع هؤلاء الأشخاص من تلويث أجناس المستقبل.

ومفهوم هذا الاستنتاج أن: أولئك الذين يعملون مع المتخلفين عقليًا، والمجرمين ومصابي المتلازمة المؤسسية[2]، والفقراء، وغيرهم اكتشفوا أن عملهم الذي قاموا به

---

(1) الأثينيون: نسبة إلى أثينا. إحدى أقدم المدن في العالم، كانت عاصمة الحضارة اليونانية في العقد الأول قبل الميلاد.(الناشر)

(2) 2- المتلازمة المؤسسية: يصبح الشخص مصابًا بهذه المتلازمة عندما يفقد تدريجيًا القدرة على التفكير والتصرف بشكل مستقل بسبب العيش لفترة طويلة بموجب قواعد مؤسسة ما، كالسجن والمستشفى والمدارس الداخلية وغيرها.(الناشر)

محبِط بشكل لا يصدق (دورنر 1981). غالباً ما يكون من الصعب للغاية مساعدة الأشخاص على تغيير طرقهم عن طريق المحادثة أو النصح. لقد ادّعوا أن الفشل العام في مساعدة هؤلاء الأشخاص ليس بسبب قصور أو ضعف كفائة العاملين (الأخصائيين الاجتماعيين والمؤسسات والأطباء المشاركين)، ولكن سببه أنّ حالة المريض كانت في المقام الأول نتيجة للوراثة، وبالتالي كان هناك القليل الذي يمكن القيام به لمساعدتهم؛ وعليه فإخفاق مقدم الرعاية لم يكن ناتجا عن خطأه.

على افتراض أن ظروف المرضى كانت بسبب الوراثة فالخطوة المنطقية التالية هي إيجاد طرق لتقييد انتشار هؤلاء الأشخاص وتمرير العديد من القوانين التي تتطلب تعقيم مجموعة واسعة من الأفراد الذين – لأسباب مختلفة – ووجدوا أنفسهم في نوع معين من المؤسسات. إذا نظرنا إلى الوراء الآن، فإننا سندرك أسباب إخفاق العديد من العلاجات المزعومة ونظام المؤسسات ككل (فالينستين 1986 ودورنر 1981).

وفي نحو عام 1900 تم الاعتراف بشرعية علم تحسين النسل بشكل كامل من قِبَل الطبقة المتعلمة (بلاكر 1952). ونتيجة لذلك "أصبح معتقد جالتون جزءا – بنفس أهمية جنون آينشتاين – في الحركات العلمانية في عشرينات القرن العشرين" (كيفليس 1985، 59). أصبحت كتب علم تحسين النسل من أكثر الكتب مبيعًا، كتب ألبرت إي. ويجام أربعة كتب شهيرة عن علم تحسين النسل، وجميعها كانت تباع بشكل جيد للغاية (ويجام 1922، 1924، 1925، 1927)، وارتبط اسم عائلة داروين المرموق بحركة تحسين النسل لسنوات، كان الرائد ليونارد داروين – ابن تشارلز – رئيسًا لجمعية تحسين النسل البريطانية في الفترة من 1911 إلى 1928.

كان تأثير حركة تحسين النسل على القانون الأمريكي عميقًا على نحو خاص. ففي عشرينيات القرن العشرين، مرر الكونجرس العديد من القوانين التي تهدف إلى تقييد تدفق "الأجناس الدنيا"، بما في ذلك أولئك القادمون من جنوب وشرق أوروبا وكذلك الصين. كما انعكست معتقدات تحسين النسل على كل شيء من الكتب المدرسية إلى السياسة الاجتماعية. وقد واجه الأمريكيون السود بشكل خاص وطأة هذه القوانين (ستانتون 1960). ويحظر القانون الزواج بين الأعراق في غالبية الولايات ويمنعه الضغط الاجتماعي في كافة الولايات.

وأضاف أن "الأنف العريض المفلطح، والمظهر المائل للوجه الزنجي، متوسط سعة الجمجمة الأصغر - كما قيل - جعلت الزنوج أقرب إلى الأنثروبويدين[1]" (هوللر 1984-52)، وبما أنهم كانوا أقل شأناً فقد اعتُبِر اختلاط الأجناس هو "الطريق إلى الانحطاط العرقي". وخلص علماء تحسين النسل إلى أن الاعتقاد الأمريكي بأن التعليم يمكن أن يفيد كل فرد كان غير علمي وأنه كان من الخطأ الاقتناع بأن الإصلاح الاجتماعي والعدالة الاجتماعية يمكن أن تقلل بدرجة كبيرة من البؤس البشري الذي كان خطرا معلنًا (هوللر 1984، 6).

وقد كان ذلك بين الأعوام 1870 و1900 حيث توجّه المثقفون الأمريكيون لقبول الأشكال المختلفة للعنصرية القائمة على تحسين النسل (هوللر 1984، 6). وقد كان عام 1870 تاريخًا هامًا وذلك: "بسبب عدم وجود فلسفة عنصرية متطوّرة بما يكفي في العالم الغربي قبل الحرب الأهلية، وكذلك الاعتقاد العام بأن كافة البشر ينحدرون من

(1) الأنثروبويدين: هم الحيوانات أشباه البشر مثل القردة.(الناشر)

آدم وحواء، كل هذا كان يؤخر نمو المفاهيم العرقية. كانت النظريات العرقية ذات أهمية فقط بالنسبة لأولئك الذين يدافعون عن عبودية الزنوج من الهجوم المريع المتزايد عليها. أما في فترة ما بعد الحرب الأهلية، فإن الخلفية العامة للفكر التطوري وكتابات العنصريين الأوروبيين قد وفروا المناخ اللازم لتغذية التفكير العرقي" (هوللر 1984، 50 – 51).

وخلال سفرياته المتوسعة؛ لم يقض جالتون الكثير من الوقت في دراسة الأجناس فحسب، بل أيضًا في القراءة بتوسع في مجال الأنثروبولوجيا، كما كان مشاركًا رسميًا في المعهد الملكي للأنثروبولوجيا، حيث تمكّن من أن يتقابل مع علماء آخرين مهتمين بالأعراق. واستنتج أن الأنجلوساكسون كانوا أعلى بكثير من الزنوج الذين كانوا بدورهم متفوقين على السكان الأصليين الأستراليين (جالتون 1880، 17). وفي حين أن جالتون لم يؤيد الانقراض المتعمد للأعراق، إلا أنه صرّح بأنّ وجهة النظر المناهضة لانقراض العرق الأدنى غير عقلانية؛ مما يمهد الطريق بوضوح للإنتهاكات اللاحقة (جالتون 1879، 605–606). كان جالتون صريحًا للغاية في آرائه حول الدونية الفكرية للزنوج، حيث كتب أن:

"عدد الزنوج – الذين يجب أن نسميهم معاقين ذهنيًا – كبير للغاية. جميع الكتب التي جاءت على ذكر الخدم الزنوج في أميركا مليئة بالأمثلة. لقد تأثرت كثيرًا بهذه الحقيقة خلال رحلاتي في أفريقيا. كانت الأخطاء التي ارتكبها الزنوج في أمورهم الخاصة طفولية وغبية وبالسذاجة التي جعلتني في كثير من الأحيان أشعر بالخجل من نوعي الخاص." (مقتبس في جريفز 2001، 96).

كما لاحظ جريفز أن جالتون يعتقد أن "سلالات مختلفة من الكلاب كانت أعلى في الفكر من بعض أجناس البشر" (2001، 96).

وقد روج كثير من المفكرين اليهود للرسالة ذاتها، على سبيل المثال: أعرب الحاخام هنري ماي ماير عن قلقه في خدمة في مدينة كانساس سيتي حيث قال: "دمائنا تُغَش بتسرب دماء من الدرجة الأدنى إليها" - أي الزنوج - (مقتبس من كيلفيس 1985، 61) حتى أن بعض الوزراء البروتستانت والكاثوليك انضموا إلى هذا العمل، مشيرين إلى أن الإنجيل قد نصّ على علم تحسين النسل. وأننا ملزمون أمام الله بتطبيق "القوانين" التي اكتشفها علماء تحسين النسل. بالطبع نص الإنجيل على أن كافة البشر من نسل آدم وحواء، وبالتالي فإن كافة البشر مترابطون، ولا توجد مجموعة عرقية أدنى (فيلاند 2011).

كثير من أولئك المتورطين كانوا "متحررين من دين التوراة، وبعضهم كانوا من المتعصبين، والبعض الآخر بشكل افتراضي أو في حالة يأس قد اعتنقوا دين العلم" (كيلفيس 1985-68). و "مع المعجزات الحديثة ذهب الكهنوت الحديث إلى أن: العلماء المختصين في علم الوراثة عددهم ليس صغير. وفي أميركا تضمن كهنوت تحسين النسل الكثير من القيادة المبكرة المسؤولة عن امتداد المندلية" (كيلفيس 1985، 69).

مثالًا على تحليلات جالتون هي " دراسته للانحرافات عن المتوسط " حيث استخدم البيانات حول سمات مثل طول القامة، وأنتج رسمًا بيانيًا باستخدام خط ونقط نمطية لتمثيل كل حالة. تمثل كل نقطة قامة رجل واحد، سيظهر النمط النقط مركزة في الوسط وهناك نقاط قليلة حادت عن الوسط. وفي الوقت الحالي يُعبر عن المفهوم ذاته بالمنحنى العادي.

وبحلول عام 1875، طور جالتون طريقة جديدة لعرض هذه البيانات التي أطلق عليها اسم منحنى تكراري، وهو مصطلح استوحاه من مجال العمارة. ونشير الآن إلى هذا التوزيع على أنه دالة توزيع تراكمية عادية عكسية. ولأن هدفه هو إظهار اختلاف الأعراق، فقد بدأ جالتون في استكشاف طرق تقييم هذه الاختلافات. وأعطيت الدرجة الوسطى (أو المتوسطة) قيمة صفر والرقم الأعلى قيمة واحدة والرقم الأدنى يمثل قيمة سالب واحد. وتطورت هذه الطريقة فيما بعد إلى مفهوم الانحراف المعياري (كووان 1985).

الاستنتاجات

إدّعى البعض أن الداروينية أُسيء استخدامها لدعم علم تحسين النسل، وأنه لا ينبغي انتقاد داروين ولا جالتون بسبب إساءة استعمال نظرياتهم، لكن مثل هذا الادعاء لا يتوافق مع التاريخ. علاوة على ذلك، "فإنّ العنصرية على بعد خطوة واحدة فقط من علم تحسين النسل، تلك المدرسة الداروينية التطبيقية التي أسسها فرانسيس جالتون بهدف تحسين لياقة الجنس البشري من خلال تطبيق "نظرية الوراثة والاختلافات ومبدأ الانتقاء الطبيعي". ولم تكن قفزة كبيرة للإبادة الجماعية بعد علم تحسين النسل" (هسو 1986، 11).

أخفقت حركة تحسين النسل جزئيًا في النهاية نظرًا للتجاوزات الناجمة عنها مثل – النازية –. وفي البداية شجع جالتون فقط الرجال الأصلح للزواج من النساء وإنجاب أطفال، وهو اقتراح أصبح يُعرف باسم "تحسين النسل الإيجابي". ثم اقترح لاحقاً فصل غير الصالح في الأديرة لمنعهم من التكاثر، وهو اقتراح يسمى "تحسين النسل السلبي". (لارسون 1995، 19). وبمرور الوقت أبدى تلاميذ جالتون اهتمامًا متزايدًا بتحسين

النسل السلبي، ويعود ذلك جزئيًا إلى أنه كان يمكن تطبيقه بسهولة أكبر.

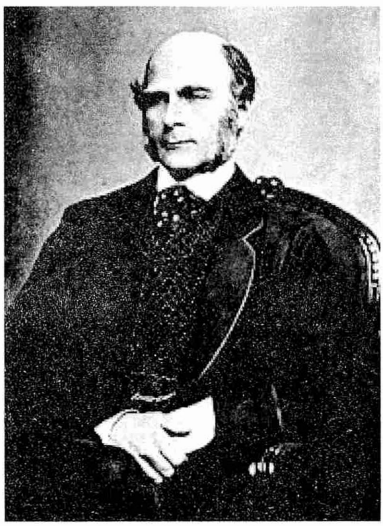

السير فرانسيس جالتون (1822 – 1911)
في عمر 66 عامًا

والحقيقة أن تحسين النسل السلبي أصبحت محورًا أساسيًا للعديد من علماء تحسين النسل بعد ذلك مما أدى إلى استفحال برنامج هتلر لتحسين النسل، والذي أدى في النهاية إلى فقدان ملايين الأرواح وانتهاكات واسعة النطاق لحقوق الإنسان. على حد تعبير عالم الأحياء في جامعة هارفارد، إرنست ماير: "لقد صمم مؤسسو علم تحسين النسل كوسيلة للارتقاء بالبشر نحو الكمال الأسمي. ومن المؤسف أن هذا الهدف الأصلي النبيل قد ادى في النهاية إلى بعض ابشع الجرائم التي شهدتها البشرية على الإطلاق" (1988، 80). وعلى الرغم من أن جالتون أسس حركة تحسين النسل، لكنه لم يفِ شخصياً بالتزاماته الخاصة بتحسين النسل؛ كان سليل عائلتين إنكليزيتين بارزتين وتزوج من بنت ثالثة لكن لم يكن مطلقًا له ذرية من نسله (تيلور 1987؛ جيلهام 2001).

المراجع

جاكبارزون، 1958. داروين و ماركس و واغنر. وجاردن سيتي وكتب دبلداي انكور.

جيري برجمان، 2012. هتلر ونظرية العالم الداروينية النازية: كيف أحدث الحملة الصليبية النازية لتحسين النسل لعرق متفوق أكبر محرقة في تاريخ العالم. كيتشنر – أونتاريو – كندا:مطبعة جوشوا.

جيهبيبيرديسيل،1972 – تطور البشر، اي ال،راند ماكنيلي وشركاه.

تشارلز بلاكر 1952، تحسن النسل:جالتون وتابعيه. كامبريدج مطبعة جامعة هارفرد.

دبليو اف بينوم 2002 – "فرانسيس جالتون"، في موسوعة التطور. حرره مارك باجيل. أوكسفورد، المملكة المتحدة؛ نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد.

آلان تشيس، 1980. تراث مالتوس: التكاليف الاجتماعية للعنصرية العلمية الجديدة. نيويورك: الفريد كنوبف.

روث ششوارتزكوان، ششوارتز1985. السير فرانسيس جالتون ودراسة الوراثة في القرن التاسع عشر. نيويورك: جارلاند للنشر.

هاملتون كرافينز، . 1978. انتصار التطور: العلماء الأمريكيون والوراثة.

الجدل حول البيئة 1900–1941. بيتسبرج، بنسلفانيا: مطبعة جامعة بنسلفانيا.

تشارلزداروين، 1871. أصل الإنسان، والاختيار فيما يتعلق بالجنس. لندن: جون موراي.

كلوس دورنر،1981، جنون الرجال والبرجوازية، التاريخ الاجتماعي للجنون والطب النفسي، اكسفورد، المملكة المتحدة، بلاكويل.

دي دبيلو فورست،1974فرانسيس جالتون: حياة وعمل عبقرية فيكتوريا. نيويورك:

تابلينجر.

نانسي جالاجر، 1999. تربية أفضل لمن يقيمون في فيرمونت، هانوفر، مطبعة جامعة نيو إنغلاند.

فرانسيسجالتون،. 1865. "موهبة وراثية وشخصية." ماكميلان، مجلة ام جي اتش 12:157-166-318-327

1869عبقرية وراثية. لندن: ماكميلان.

1880الاستعلامات في كلية الإنسان وتطورها. الطبعة الثانية. نيويورك: إي. بيداتون، إنك.

1897 "معدل التغيير العنصري الذي يرافق درجات مختلفة من الخطورة في الاختيار – الطبيعة." 55-605-606.

1908 ذكريات حياتي. لندن: ميثون.

نيكولاس رايت جيلهام، 2001. حياة السير فرانسيس جالتون. نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد.

فيكتور جورتزيل وميلدرد جورتزيل 1962،مهد الإيمان. بوسطن، ماجستير: ليتل براون.

ستيفين جي جولد،1996 الخطأ في قياس الأنسان، نيويورك دبليو دبليو نورتون.

جوسيف ال.جونيورجريفز 2001، ملابس الإمبراطور الجديدة: النظريات البيولوجية للأعراق في الألفية، نيوبرونسويك، ان جي،مطبعة جامعة روتجرز.

جون سي جرين، = 1981 العلوم والأأديولوجيا وعرض العالم، بيركلي، سي ايه، جامعة كاليفورنيا.

جون س حي ار هوللر،1971، منبوذة من التطور: المواقف العلمية للدونية العرقية، 1859–1900، اوربانا اي ال،مطبعة جامعة الينوس.

مارك هوللر،1984، تحسن النسل المواقف الوراثية في الفكر الأمريكي، نيو برونسويك، ان جي،مطبعة جامعة روتجر.

جيرترودهيملفارب،1959. داروين والثورة الداروينية. نيويورك: دوبليداي.

ريتشاردهوفستاتر،1955الداروينية الاجتماعية في الفكر الأمريكيبوسطن، أم ايه مطبعة بيكون.

كينيث هسو،1986. الموت الكبير: الكارثة الكونية الديناصورات ونظرية التطور. نيويورك: مطبعة هاركورت جوفانوفيتش.

جريتا جونز، 1980. الداروينية الاجتماعية والفكر الإنكليزي: التفاعل بين النظرية البيولوجية والاجتماعية. المرتفعات الأطلسي، نيوجيرسي: مطبعة الإنسانيات.

دانيال جي كيفليس ،1985، باسم تحسين النسل،تحسين النسل واستخدامات الوراثة الإنسانية، نيويورك، الفريد أ،نوبف.

إدوارد لارسون، 1995. الجنس، والعرق، والعلوم. بالتيمور، دكتوراه في الطب: مطبعة جامعة جونز هوبكنز.

جون لوربر، 1980. "هل دماغك ضروري حقا؟" العلم، 210: 1232.

إرنست ماير، 1988. "أصول الأخلاق البشرية،" في نحو فلسفة جديدة من علم الأحياء: ملاحظات من التطوري. كامبريدج، ماساشوستس: مطبعة جامعة هارفارد.

هوراشيو هاكيت نيومان، 1925. الخطوط العريضة للعلم الحيوان العام. نيويورك:

ماكميلان.

كارل بيرسون، 1914. حياة ورسائل وعمال فرانس جالتون. المجلد. 1، 1914؛ المجلد. 2، 1924؛ و 3، 1930. مطبعة جامعة كامبريدج، جامبردج.

روبرت ان بروكتر، 1988. النظافة العنصرية: الطب تحت النازيين. كامبريدج، ماساشوستس: مطبعة جامعة هارفارد.

مارشال ساهلينز، 1977. استخدام وإساءة استخدام علم الأحياء: نقد أنثروبولوجي لعلم الاجتماع الاجتماعي. آن أربور، ميتشيجان: مطبعة جامعة ميتشيجان.

دينيسسيويل، 2009. الجين السياسي: كيف غيّرت أفكار داروينالسياسة. لندن: بيكادور.

اليوت سلاتر،1960" ارث جالتون" مراجعة تحسن النسل 52(2)91-103.

ويليام ستانتون 1960،مواقع ليوبارد، الاتجاهات العلمية نحو الأعراق في أميركا،1815 -1859، شيكاغو اي ال، مطبعة جامعة شيكاغو.

ستيفين ام ستيجلر،1986، تاريخ الاحصاء، قياس عد اليقين قبل 1900، كامبردج أم ايه، مطبعة بيلكناب جامعة هارفارد.

إيان تايلور، 1987. في عقول الرجال.، مينيبوليس أم ان، الناشر تي اي اف....2001 المراسلات الشخصية.

اليوت اس فالينستين،1986العلاجات الكبيرة اليائسة، نيويورك: ناشرو الكتب الأساسية.

كارل ويلاند، 2011عائلة بشرية واحدة: الكتاب المقدس والعلم

والثقافة.اطلانطا، ناشرو الكتب الإبداعية.

ألبرت إدوارد ويغام، 1922. الحوار الجديد للعلوم، جاردن سيتي، ان جي، جاردن سيتي، شركة الناشر.

1924فاكهة شجرة العائلة. انديانابوليس، شركة بوبس ميريل.

1925علامات رجل متعلم، انديانابوليس شركة بوبس ميريل.

1927العصر القادم للإنسان، انديانابوليس شركة بوبس ميريل.

الفصل الرابع

تفسير كبار الداروينيين للعنصرية لأكثر من قرن

مقدمة

كانت الآراء العنصرية للداروينيين في وقت مبكر مدعومة على نطاق واسع، ليس فقط من قبل عدد قليل من العلماء المتمردين، ولكن من قبل غالبية علماء الأحياء البارزين حتى خمسينيات القرن الماضي على الأقل. يوضح هذا الدعم من المجتمع العلمي العالمي أن الداروينية قدمت تبريرًا علميًا للأحقاد المسبقة التي سمحت بتصنيف الأشخاص وفقًا للصفات الجسدية بناءً على معايير تطورية على مستوى لم يسبق له مثيل في التاريخ.

مفهوم العرق

كان الباعث الحديث على المفهوم البيولوجي للعرق - كما نعرفه اليوم - هو اعتناق العديد من العلماء والإصلاحيين الاجتماعيين لما يسمى الآن "بالداروينية الاجتماعية" في النصف الأول من القرن التاسع عشر (توباخ وآخرون 1974؛ وديفيدهيسير 1969). الداروينية الاجتماعية هي الاعتقاد بأنه يمكن تحسن المجتمع والبشرية عن طريق تطبيق أفكار داروين، وتحديدًا فكرة "البقاء للأصلح". كان الاعتقاد السائد هو أن التطور يتحسن من خلال التخلص من الأقل صلاحًا والإبقاء علي الأصلح ليتكاثروا، وبالتالي تحسين العرق، والمجتمع، والبشرية.

أصبحت نظرية داروين وبالتحديد الاعتقاد الذي كان لدى الكثيرون في أيامه أن بعض الأجناس مثل السود كانوا أدنى من الآخرين، وأصبح مقبولًا على نطاق واسع من قبل المجتمع العلمي أن "موضوع الدونية العرقية كان أكثر من حساس في أواخر القرن

التاسع عشر" (هوللر 1971، 132). وفي بداية القرن العشرين كانت المناقشات حول المشكلات الاجتماعية تتضمن عادة المفاهيم الداروينية عن الطبقة والعرق، فقد كان تقريبا "لكل واحدة من هذه النظريات بعض التطبيق العملي ولها نتيجة طبيعية في المجالات: السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية. في هذه الأثناء كان البحث في المجالات البيولوجية والأنثروبولوجية، وعلوم اللغة تجري بشكل مكثف، لكن هذا لم يقلل من استخدام التفكير العرقي" (بارزون 1958، 19).

في فترة ما قبل الحقوق المدنية كانت العديد من الكتب المدرسية الرئيسية عنصرية بشكل علني. على سبيل المثال عرّف نيومان (1932، 190) التطور على أنه "تغيير عنصري"، مضيفًا أن "الأجناس هي الوحدات التطورية للحياة" (التأكيد في النص الأصلي)، وإذا "لم يوجد اختلاف، فلا يمكن أن يكون هناك تطور" (1932، 539). واستنتج (ص 539) أن الأجناس ليست متساوية، وحالة المساواة "غير مرغوب فيها بشكل كبير من وجهة نظر تطورية بحتة، لأن التطور العضوي يعتمد على النضال بين المخلوقات التي تملك اختلافات متعددة وما يترتب على ذلك من اختيار تلك الاختلافات التي تشكل حيازتها الأفضلية في التكيف أو التتلاؤم مع بيئة محددة" مما يعني بقاء العرق الملائم. ويمكن لأي شخص يجمع كتب البيولوجيا القديمة أن يلاحظ سريعًا أن هذه الأمثلة كثيرة جدًا، وخاصة في تلك الكتب التي تركز على التطور.

وكما ذكرنا من قبل، كان ابن عم داروين - السير فرانسيس جالتون - مؤسس حركة تحسين النسل. والذي لعبت كتاباته دورًا حاسمًا في نمو العنصرية البيولوجية، لا سيما في تعزيز الحتمية البيولوجية (جالتون 1880). والحتمية البيولوجية هي فكرة أن

مصير الشخص في الحياة يتحدد بشكل كبير عن طريق الجينات وليس البيئة. وعلاوة على ذلك، فقد افتُرض أن وجهات نظره حول الدونية العنصرية قد لاقت - إلى حد كبير - قبولًا من العلماء والعامة على حد السواء. وكان نتيجة هذه العوامل أن العديد من الداروينيين الأوائل - إن لم يكن كلهم - قد أصبحوا عنصريين صريحين. يدعي المؤرخ ريتشارد فيكيرت أنه قبل تسعينيات القرن التاسع عشر؛ اعتنق كافة العلماء ذوو النفوذ من الأنثروبولوجيين وعلماء الأجناس الداروينيين - وأيضًا غالبية علماء الأحياء الداروينية ومبسطين العلوم - العنصرية العلمية. وفي الواقع كان الماديون الداروينيون والأحاديون[1] هم الرسل البارزين للعنصرية العلمية في ألمانيا. بالرغم من أن العنصرية العلمية لا تعتمد بشكل رسمي على النظرية الداروينية، إلا أنّها استعانت بالداروينيين بسبب تشديدها على الحتمية البيولوجية وعدم المساواة (2004، 114). ونتيجة لذلك، لم يكن علم تحسين النسل (اليوجينيا) ولا العنصرية البيولوجية محل نقاش أو قلق من قبل غالبية العلماء (هيكرافت 1895؛ وستانتون 1960). ولاحظ ماركس قوة العنصرية

عندما قام عالِم الأنثروبولوجيا أشلي مونتاجو بنشر أبحاثه المبكرة ضد العنصرية في علم الأحياء (1941)، حيث واجه غضب "أقوى علماء الأنثروبولوجيا الفيزيائية وعلماء البيولوجيا في منتصف القرن" (ماركس 1999-11).

تأصلت العنصرية التطبيقية في حركة تحسين النسل بشكل جيد بين علماء الأحياء وغيرهم في المجالات الأخرى ذات الصلة، وخاصة في ألمانيا، فقد لاحظ المؤرخ إدوارد

---

(1) 1- الفلسفة الأحادية: هي نظرية فلسفية تقول أن الأشياء المتنوعة الموجودة في الكون تتكون من مادة واحدة وتنكر وجود أي اختلاف أو ازدواجية بين الأشياء فلا فرق بين المادة والعقل ولا فرق بين الإله والعالم.

لارسون أنه حتى في الولايات المتحدة "أيد علماء الأحياء بشكل عام أو على الأقل لم يعارضوا علانية، حركة [تحسين النسل] خلال سنوات تكوينه" (1995، 30). وأضاف أن "الجمعيات المهنية" العلمية اتبعت الأسلوب ذاته بشكل نموذجي وأن "عدد قليل من النخبة من الأفراد والمؤسسات الخيرية" – بما في ذلك معهد كارنيجي ومؤسسة روكفلر – قدمت الكثير من الدعم المالي للحركة (1995، 30).

استنتج عالم الأنثروبولوجيا – بيير فان دن بيرغ – أن الذكاء الغربي بأكمله "قد أصيب بعدوى العنصرية والداروينية الاجتماعية" وذلك منذ منتصف القرن التاسع عشر عندما نشر داروين كتابه أصل الأنواع (1859) حتى عشرينيات القرن العشرين (1967، 2). ولاحظ أن أحد الاستثناءات القليلة كان عالم الأنثروبولوجيا فرانز بواس.

كما استنتج المؤرخ جون هوللر أن "العلم أصبح أداة أثبتت الدونية المفترضة للزنوج، وبررت سياسات التهميش والفصل العنصري بجعلها مصطلحات علمية اجتماعية" وأن فهم "سلوك الدونية العرقية في سياق العلوم والعلوم الاجتماعية في القرن التاسع عشر هو الخطوة الأولى لمعرفة مدى عمق التحيز العنصري في يومنا هذا" (هوللر 1971، 10).

وأضاف أن الإيمان بدونية بعض الأعراق "كان في الأساس ضمن إطارها التطوري وظلت كذلك حتى تحولت من أسطورة اليقين العلمي إلى قمة "الحقيقة". والطريق لرؤية التعصب من وجهة نظرهم العلمية هو فهم لماذا استمر سلوك الدونية العرقية في التفشي في الثقافة الغربية؟" (هوللر 1971 ، 10–11).

وعلى الرغم من أن العنصرية البيولوجية لم تصل إلى حد الإبادة الجماعية إلا في ألمانيا، لكن تأثير علم تحسين النسل كان قويًا على السياسات الحكومية العنصرية

وقرارات المحاكم في أميركا وأماكن أخرى (جولاغير 1999). حتى أن المؤرخ مايكل بيرلي قال أن: "السمة المميزة لألمانيا النازية كانت هوسها بالعرق" وأن "النخبة المثقفة، بمن فيهم: علماء الأنثروبولوجيا والأطباء والاقتصاديين والمؤرخين والمحامين والأطباء النفسيين" تعهدوا بالعنصرية الداروينية للحد الذي يجعلهم متورطين في "تشكيل وتنفيذ السياسات النازية" (بيرليغ2001-507).

كانت العنصرية موجودة في الغرب من قبل داروين، ويرجع ذلك بشكل كبير إلى الأفكار التي انبثقت عن الحركة العلمانية المناهضة للمسيحيين -"التنوير"[1]-. وكما

وضّح فيكارت أن: فكرة التعددية كانت إحدى ثمار التنوير التي أدت إلى العنصرية العلمية، وفكرة أن "الأجناس البشرية لم تنحدر من أسلاف مشتركة"، هي فكرة نشأت في القرن الثامن عشر حيث تعارضت مع الفلسفة الأحادية، والتي كانت مسيطرة لعدة قرون، ذلك لأن تعاليم المسيحية حتى هذا الوقت كانت تُلحق كل سلف البشرية بزوج واحد مخلوق في الماضي غير البعيد. وقد استخدم فولتير - وبعض المفكرين الآخرين في عصر التنوير - التعددية[2] كسلاح لمهاجمة العقائد المسيحية المزعومة والتي عفا عليها الزمن. واستمرت التعددية مسيطرة خلال القرن التاسع عشر حتى أواخره عندما

---

(1) 1- التنوير: هي حركة فكرية أوروبية ظهرت في أواخر القرن السابع عشر وامتدت للقرن الثامن عشر، كانت تؤكد على مذاهب العقل والفردية بدلًا من التقاليد. كانت متأثرة بشدة بفلاسفة القرن السابع عشر مثل: ديكارت ولوك ونيوتن، ومن أبرز أنصار هذا المذهب: كانط وغوتة وفولتير وروسو وآدم سميث.(الناشر)

(2) 1- النظرية التعددية: هي النظرية القائلة بأن البشر لهم أصول متعددة، على عكس النظرية الأحادية. وهي -على عكس ما يعتنقه اليهود والمسيحيون والمسلمون أن البشر من نسل زوجين فقط (آدم وحواء)- تنص على البشر ينحدرون من أكثر من "شخص أول".(الناشر)

دحضتها التفسيرات الداروينية لأصل الأجناس (2004، 104).

وعلى العكس من هذه النظرة البيولوجية؛ كانت النظرة البيئية التي تبناها كثير من مفكري القرن التاسع عشر، وقد زعموا أن "العقل البشري كان عبارة عن صفحة فارغة (سجل نظيف، كما سماه لوك)"، وأن تفاوت البشر يرجع إلى الاختلاف في الخبرات والتدريب والتعليم. ولهذا فإنّ الأجناس "غير المتحضرة" يمكن أن ترتقي إلى مستوى الأوروبيين ذاته من خلال التعليم. وقد عكف العديد من قادة الأنثروبولوجيا الألمان في أواخر القرن التاسع عشر – وخاصة الشخصيات البارزة كرودولف فيرشو وأدولف باستيان ويوهانس رانك – على إعادة النظر في هذا المنظور الليبرالي، وعارضوا بقوة توغل العنصرية البيولوجية – وأيضًا الداروينية – في مجالهم (فيكارت 2004، 104).

وفي النهاية خسر هؤلاء المفكرون المعركة أمام الداروينية.

أهمية مؤلفات داروين وأفكاره

كانت مؤلفات داروين حاسمة في تطوير نظرية التطور، وأفكاره حول تطبيق نظريته أيضا هامة جدًا لفهم تاريخ العنصرية. وعلى الرغم من أنه كان معروفًا عنه بأنه رجل لطيف ونبيل، لكن داروين دعم علانية العديد من أفكار تحسين النسل وكذلك العنصرية التي تولّدت منها نظريته. لقد كان مقتنعًا تمامًا أن نظرية النسل كانت صالحة و"امتدح جالتون قائلًا: "نحن الآن نعلم من خلال عمل السيد جالتون المثير للإعجاب أن تلك العبقرية أقرب إلى أن تكون موروثة"." (كيلفيس 1985، 20). الوراثة هي أحد العوامل في تطوير بعض السمات مثل القدرة الموسيقية. لقد قام جالتون وعلماء تحسين النسل بتوسيع أثر عامل الوراثة هذا إلى ما هو أكثر من سمة واحدة منفصلة ليشمل

مجموعة كبيرة من العوامل المنفصلة والمحددة والتي من الواضح أن البيئة تلعب دورًا رئيسيًا في تكوينها. وعلى الرغم من أن داروين كان أقل عنصرية بكثير عن العديد من تلاميذه (مثل سبنسر وهيجل وهوتون وبيرسون وهكسلي)، لكن نظريته قدمت الأساس لعنصريتهم المتطرفة إلى الحد الذي ظهر في حركة تحسين النسل، وهي الفكرة التي دعمها علنا رغم أنه عارض الأشكال المتطرفة من اليوجينيا مثل التعقيم القسري الذي دعّمه كثيرون في عصره. أنهى داروين كتابه عن التطور البشري، مشيراً إلى أن: "النهوض بمصلحة البشرية أمر معقد للغاية". وكما لاحظ السيد جالتون أنه: إذا تجنب العاقل الزواج بينما تزوج الطائش؛ فإن الأعضاء الأدنى يميلون إلى استبدال الأعضاء الأفضل في المجتمع. لا شك أن الإنسان – كأي حيوان – آخر تطور إلى حالته الراقية الحالية من خلال الصراع من أجل البقاء. ونتيجة لتضاعفه السريع، لأنه لا زال يريد التقدم أكثر من ذلك، فيُخشى أنه يجب أن يبقى مستمرًا في صراع حاد. أما إذا غرق في الجمود فلن يتفوق البشر الأكثر موهبة على الأقل موهبة في معركة الحياة. ويجب أن تكون هناك منافسة مفتوحة لكافة البشر وألا يُمنع الأكثر قدرة منهم بالقوانين أو العادات من التفوق وتربية أكبر عدد من النسل (1896، 618).

هذه الفكرة نالت تدريجيًا قبولًا داخل المجتمع العلمي في أوروبا والولايات المتحدة وكذلك في أماكن أخرى. ونظرية الخلق – العرق الواحد – فقدت صلاحياتها تدريجيًا. فمثلًا، ما زال داروين يعتقد أن كافة البشر لديهم أصل مشترك، ولكن هذا الاعتقاد لا يعني بأية حال المساواة العرقية، ففي الواقع أدعى العديد من الدارسين أن الداروينية أثبتت عدم المساواة بين البشر بما في ذلك عدم المساواة العرقية. فقد أكد داروين وغالبية

الداروينين على التنوع البيولوجي داخل كل نوع. وعند تفسير التطور البشري كان داروين في حاجة إلى الرّد على أولئك الذين أصروا على أن العقلانية البشرية والكلام والأخلاق أمور يتفرد بها البشر، ولا يمكن أن تكون نتاج التطور (فيكارت 2004، 105).

من أجل التعامل مع هذه المخاوف الصحيحة، حاول داروين أن يبيّن أن الحيوانات - خصوصًا القرود - لديها كذلك مستوى معين من القوة المنطقية والكلام وحتى الأخلاق. وفي المقابل أكد داروين أن بعض الأعراق تمتلك مَلَكات فكرية وأخلاقية أدنى بكثير من تلك التي يمتلكها الأوروبيون. ومن ثم فإن التأكيد على عدم المساواة العرقية قد أدّى وظيفة هامة في محاولة داروين سد الفجوة بين القرود والبشر. وعلى الرغم من أنه عارض العبودية وأبدى أحيانًا تعاطفًا مع الأجناس غير الأوروبية، لكنه اعتقد أن هناك فجوة واسعة تفصل بين "الأعراق العليا" و"الهمج الدونيين" - كما أطلق على الذين كانوا أقل شأناً من الأوروبيين من الناحية الفكرية والأخلاقية -. لم تكن هذه نقطة هامشية عابرة، فقد ذكر داروين في المقدمة بوضوح أن أحد الأهداف الثلاثة لكتابه هي النظر في "قيمة الاختلافات بين ما يسمى بسلالات الإنسان" (فيكارت 2004، 105).

كان داروين على علم تام بتداعيات العنصرية على أساس نظريته في التطور. في الفصل السادس من "أصل الإنسان"، توقع أن ضغوط البقاء للأصلح ستقضي في نهاية المطاف ليس فقط على عرق الزنوج، ولكن أيضًا على كافة "الأجناس الدنيا". واستنتج أنه "بالنسبة للهمج، فإنّ ضعفاء الجسم أو العقل سيتم القضاء عليهم بسرعة" (1896، 133) وأن "الأجناس المتحضرة قد امتدت، وهي الآن في كل مكان توسع

نطاقها حتى تحل محل الأجناس الدنيا" (1896، 135). أوضح داروين أن الانتقاء الطبيعي فعل ومازال يفعل الكثير "من أجل تقدم الحضارة" (1887، 316). أعطى مثالًا على ذلك: الخطر الذي تعرضت له أمم أوروبا، ولم يكن ذلك قبل عدة قرون من كونها تحت سيطرة الأتراك، الآن هذه الفكرة أصبحت سخيفة! لقد هزم الجنس الأكثر تحضرًا – المسمى بالقوقازيين – جنس الأتراك الأجوف في صراع البقاء. فإذا نظرنا إلى العالم في الماضي القريب مثلًا، فسنرى عدد لا نهائي من الأجناس الدنيا التي قُضِيَ عليها من الأجناس الأكثر تحضرًا في كافة أنحاء العالم (داروين 1887، 316).

كان عالم الأحياء إرنست هيجل هو المتحدث الرسمي باسم داروين في ألمانيا، وهو يعد "الجد الأكبر" لعلماء الأحياء النازيين (بولياكوف –284 1974). وقد أوضحت أبحاث جرت خلال أربعة عقود حول النازية أن "الهوس النازي مع المثالية العنصرية كان متأصلاً في الداروينية" (لاكوير 2001 –282). ومن المهم أن نلاحظ أن داروين لم يفعل الكثير لمعارضة استنتاجات العنصريين في أعماله وكتاباته التي انتشرت بسرعة بين الطبقات المتعلمة (انظر الفصل رقم 7، "عن أجناس البشر" في كتابه "أصل الإنسان").

عنصرية داروين

استنتج داروين أن أحد أقوى الأدلة على التطور هو وجود "الأجناس البدائية" الحية التي يعتقد أنها كانت تطوُّرًا بين "الأجناس البشرية المتحضرة" والغوريلا وذلك على الرغم من أنه عارض شخصيًا كافة أشكال العبودية. كما أنه يعتقد كما ذُكر أعلاه، أنه في المستقبل غير البعيد فإن الأجناس البشرية "المتحضرة" المتطورة ستقوم بالقضاء تمامًا على الأجناس الهمجية واستبدالها في كافة أنحاء العالم وأيضًا سيتم إبادة القردة التي

تشبه البشر. ستكون الفجوة بين الإنسان وأقرب الأنواع الأخرى إليه أوسع. ذلك لأنه ستتدخل بين البشر في الدول الأكثر تحضراً، فنأمل أن يصل الفرق إلى ما بين القوقازيين وبعض القرود الدنيا مثل السعدان بدلاً مما عليه الآن بين الزنجي أو الأسترالي والغوريلا (داروين 1896، 156).

كما يوضح هذا الاقتباس رأي داروين حول أن"الأجناس الهمجية" تقع بيولوجيًا بين القرود والبشر. ولهذا السبب استنتج العديد من أنصار التطور في ذلك الوقت أن الحلقة المفقودة لم تكن مفقودة، بل كانت موجودة في أستراليا والأراضي البعيدة الأخرى (دي لوبينفيلز 1949). كان داروين ينظر إلى وجود هذه الأجناس صراحة كدليل لا يمكن نكرانه على تدرج الكائنات الحية؛ أي "ربط" البشر بالقرود والتعبير المستخدم اليوم هو "ربط البشر مع أسلافنا من الرئيسيات الأساسية" بدلاً من القرود. وفُسر هذا "الاستشهاد العلمي" بوصفه دليلًا مقنعًا للتطور ونتيجة لذلك فقد ناقشت غالبية كتب علم الأحياء في ذلك الوقت "التسلسل الهرمي للأجناس". وكما يلاحظ جون كوستر، لم يَعُدّ داروين "الأجناس الأقل تحضراً" من البشر أصلًا. وفيما يخص كافة كراهيته للعبودية فإن كتاباته كانت تتخللها كافة أنواع ازدراء الأشخاص "البدائيين". وقد كُييفت العنصرية ثقافيًا للفيكتوريين المتعلمين من خلال بعض الحيل العملية مثل قياسات مورتون للدماغ لإثبات أن الأفارقة والهنود لديهم أدمغة صغيرة، وبالتالي لديهم عقول ومفكرين غير كاملين. كتب داروين بعد مقابلة مع الهنود البسطاء في تييرا ديل فويجو: "لم أكن أصدق الفرق بين البشر الهمج والمتحضرين، إنه أكبر من الفرق بين الحيوانات البرية والأليفة، وبالنظر إلى مثل هؤلاء البشر، يصعب تصديق أنها

كائنات رفيقة وأنهم سكان من العالم ذاته" (1988، 50).

واستنتج داروين كذلك إلى أن القرَدة الأكثر تقدمًا وأن "القردة الشبيهة بالإنسان" ستنقرض كذلك.

معاصرو داروين

كان الكثير من التطوريين الذين عاصروا داروين أيضًا عنصريين. ألفريد راسل والاس، والذي له نفس الفضل في التنظير لنظرية التطور من خلال الانتقاء الطبيعي تمامًا مثل داروين. تبنى نفس أفكار داروين لكن فقط تلك الأفكار المتعلقة بغير البشر (بروكس 1984، والاس 1890). في كلماته: "عمومًا، الأصلح يعيش، وهذه العملية الذاتية قد "تحسن العرق" لأنه في "كل جيل، سيتم حتمًا قتل الأفراد الدنيا" و"الأصلح" سيبقى وهذا هو "البقاء للأصلح" (مقتبس من وارد 1927، 288). هذا هو خلاصة الداروينية، والكفاءة النسبية الناجمة عن الاختلافات (العنصرية) هي جوهرها.

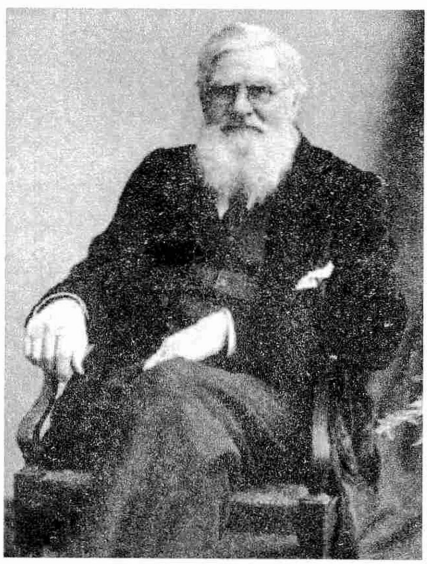

عالم الأحياء والطبيعة والجغرافيا البريطاني ألفريد راسل والاس، 1895

ذكر روبرت تشامبرز في كتابه "أثار التاريخ الطبيعي للخلق" والذي قال عنه داروين أنّه من دون هذه الأثار ربما لم يكن بمقدوره تأليف كتابه "أصل الأنواع" مطلقًا. الزنوج "أدنى من" المغول (السلالة الصفراء) والقوقازيون كانوا في القمة (كروكشانك 1931، 4 – 6).

وأوضح تشامبرز كذلك أن "مختلف الأجناس البشرية، هي ببساطة مراحل التطور للأعلى أو للقوقازيين" وأن الزنوج كانوا الأقل تطورًا، والقوقازيين هم أعلى السلالات تطوراً (كروكشانك 1931، 4). وقد أشار فيكارت إلى أن العلاقة بين "الداروينية والعنصرية العلمية تبدوا أكثر إثارة للدهشة عندما نقارن بين علماء الأنثروبولوجيا الدراونة والإثنولوجيين مع نظرائهم غير الدراونة. كان كلا من رودولف فيرشو، وأدولف باستيان، ويوهانس رانكي من أبرز الشخصيات المسيطرة في المجتمع الأنثروبولوجي الألماني في آواخر القرن التاسع عشر حيث كانوا أشهر أخصائي علم الأمراض (وزعماء السياسيين ليبراليين) وجميعهم عارضوا النظرية الداروينية" (2004، 114-115).

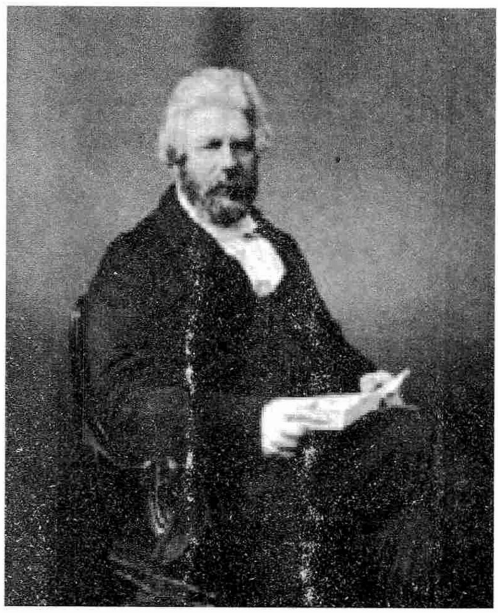

روبرت تشامبرز، محرر الاسكتلندي وبائع كتب وعالم. حوالي عام 1863.

وأضاف أن فيرشو أغضب تلميذه السابق هيجل عام 1877 "من خلال التشكيك في مدى ملاءمة تدريس التطور في المدارس، حيث كانت النظرية مجالًا للتأمل" و لرفضه أن الإنسان البدائي كان سلفا للإنسان مدعيًا أنه كان مجرد عينة مرضية. كان رانكي معروفًا كذلك بموقفه المناهض للداروينية، وقد أذهل هرمان كلاتش في مؤتمر الأنثروبولوجي في عام 1899 عندما وصف وجهات نظره الداروينية حول تطور الإنسان

أنها خيال وليست بعلم. وبجانب رفض الداروينية فإن كلًا من فيرتشو وباستيان ووارنكي قد رفضوا أيضًا العنصرية البيولوجية. بل وأكدوا على المساواة العرقية وأحادية المنشأ وتأثير البيئة والتعليم على الأشخاص، وأن علم الأنثروبولوجي العلمي لم يُوَلّد بالضرورة نظريات عدم المساواة البيولوجية كما تُظهر الأنثروبولوجيا الألمانية (2004، 115-114).

لماذا أصبح الكثير من العلماء "عنصريين" بشكل صريح ؟

إن النجاح في تربية الأبقار والكلاب والحيوانات الأخرى ذات الخصائص المرغوبة قد أعطت دعمًا تجريبيًا لمفهوم "التكاثر العنصري" كما دعا إليه في البداية علماء تحسين النسل، ثم وضعه هتلر وآخرون في السياسة العامة (ستاين 1988؛ وفيندنج 1989). لاقت فكرة "تحسين النسل" - وهو الفكرة القائلة بإن البشر يمكن أن يحسنوا السلالة عن طريق التربية الانتقائية - قبولًا واسعًا خاصة في أوروبا والأمريكاتين (غلاغير1999، وتشيس 1980، وكرافينز 1978، وكامبل 1955). والأهم حركة تحسين النسل التي دعمها غالبية العلماء الأكثر شهرة بعد داروين(كيلفيس 1985 وهوفستادتير 1955).

من السمات الرئيسة للداروينية أن هناك الكثير من الأمثلة التي توضح كيف يمكن تصنيف البشر الأحياء من الأكثر إلى الأقل تطوراً. وأحد الأمثلة النموذجية كان استجابة للعالم أوستن إتش. كلارك - عالم الأحياء في معهد سميثسونيان - الذي اقترح أن يعمل التطور على شكل "طفرات" (فونك 1929، 28). ولاحظ أن الاقتباس يستخدم كدليل إنسان بلتداون "Piltdown Man " - الذي لم يعد يصدّق به الآن - وكذلك الإنسان البدائي (نياندرتال) وكروماجنون[1] حيث أنّ جميعهم أظهروا اختلافات

(1) إنسان بيلتداون: في عام 1912 قُدمت بقايا عظام جمجمة جمعت من منجم حصى في بلتداون في إنكلترا. كانت =

عديدة عن البشر.

– إنسان نياندرتال وكروماجنون: أنواع منقرضة من البشر والفرق بينهم أن: النياندرتال عاش قبل الفيضان العالمي بينما الكروماجنون عاش بعده، الكروماجنون هم الأوروبيون الأوائل. وتستند هذه النتائج إلى نتائج تحليل الحمض النووي الخاص بالبقايا التي عثر عليها، وتشير النتائج إلى أن الكروماجنون أقرب إلى الحمض النووي للإنسان الحالي.

بهدوء خالف د. كلارك القول القديم بإن الطبيعة لا تتطور من خلال طفرات، وأكد أن هذه هي الطريقة الوحيدة لها. ومع ذلك، فإن الإنسان تطور بخطى بطيئة – كما يبين لنا تاريخ الجمجمة بوضوح – فقد تدرج من الإنسان المنتصب[1] مرورا بإنسان بلتداون ونياندرتال وأخيرًا كروماجنون الذي يمثل بوضوح النوع الحديث منه (فونك 1929، 28).

ردًا على كلارك جادل فونك أنه إذا استمر التطور في قفزات واسعة – كما ادعى د. كلارك – فإنه كان يجب أن يُظهر الإنسان الأول نوع الإنسان شديد التحضر اليوم. ولا نحتاج العودة إلى الحفريات، فإن أقل نوع من البشر الذين يعيشون الآن هم الهمج الأستراليون والذين لا ينتمون بأي شكل إلى النوع المتحضر مما يسقط نظرية د.

=

موضع جدل حتى عام 1953 حين ظهرت حقيقة أنها مزورة فالفك السفلي هو لقرد الغاب وبقايا الجمجمة تعود لجمجمة إنسان حديثة. (الناشر)

(1) الإنسان المنتصب: باليونانية (Pithecanthropus erectus) وتعني الإنسان القرد المستقيم أو المنتصب. كان يعتقد أن هذا الإنسان قد بدأ في الانقراض عندما بدأت الأنواع الأخرى في الظهور أي ما يقارب من 400 ألف سنة، لكن بعض الدراسات والأحافير وخصوصا تلك التي تمت على جزيرة جاوة الأندونيسية أثبتت بأن هذا الإنسان عاش إلى ما يقارب الخمسين ألف سنة مضت، مما يعني أنه عاصر الإنسان الحالي. (الناشر)

كـلارك والـذي بـدلًا مـن أن يجمـع النقـاط الجيـدة في نظريـات الخلـق والتطـور؛ جمـع الصعوبات من كل منهما (راجع، فونك 1929، 28).

كتب توماس هكسلي - العالم الذي كان مسؤولا في المقام الأول عن القبول الواسع للداروينية في القرن التاسع عشر - أنه بعد فترة وجيزة من تحرير العبيد السود في أميركا "لا يوجد أي رجل عقلاني مدرك للحقائق يعتقد أن متوسط الزنوج يكافئ متوسط البيض حيث أنه لا يزال أقل تفوقًا. وإذا كان هذا صحيحًا، فمن غير المعقول أن نفترض أنه

عند إزالة كل ما يعوقه سيكون قادراً على التنافس بنجاح مع منافسه ذو العقل الأكبر والفك السفلي الأصغر حجماً وفي منافسة يتم تنفيذها بالأفكار وليس بالأسنان" (1871، 20).

كان أنصار التطور ينظرون إلى الزنوج على أنهم أقل شأناً من القوقازيين، وذلك من عدة جهات (منتز1972-387). وأشارت أحد الأعمال التي وثقت هذه الحقيقة إلى أبعد من ذلك وهو أنه بعد عام 1985 أثارت الخطة التطورية أسئلة إضافية، خاصة إذا لم يستطع الأمريكيون من أصل أفريقي البقاء في المنافسة في علاقاتهم القريبة مع البيض. كانت الإجابة العظيمة [من العلماء] لا. كان الأفريقي أدنى حيث كان يمثل الحلقة المفقودة بين القرد والتيوتون[1] (برنهام 1972، 506-507).

لم تركز العنصرية التي نمت في أميركا من الداروينية على الأفارقة الأميركيين فقط. بل استنتج تشارلز دافنبورت - وهو واحد من العنصريين الأمريكيين البارزين والمتعلم في

(1) 1- التيوتون: أحد قبائل جرمانيا الشمالية كانت تسكن في جزيرة يوتلاند، لكن يستخدم هذا المصطلح لوصف الشعوب التي تتحدث بلغة جرمانية في العموم.

جامعة هارفارد، وهو المؤسس والمدير للمختبر البيولوجي "كولد سبرينغ هاربور"- أن الأجناس التي كانت أدنى من القوقازيين تشمل "البولنديين والأيرلنديين والإيطاليين... العبرانيين" وحتى الصرب واليونانيين والسويديين والبوهيميين (كيفليس 1085، 46-47). وأرجع ذلك الى مجموعة واسعة من الخصائص العنصرية السلبية لكل مجموعة من المجموعات التي استنتج أنها كانت أقل شأنًا: فقد كان البولنديون يميلون إلى

الاستقلال (على الرغم من التواكل)، بينما كان الإيطاليون يميلون إلى ارتكاب جرائم العنف الشخصي، كذلك السويديون والألمان والبوهيميون. أحد أكبر مخاوفه أن المهاجرين الذين يتهافتون للوصول إلى الولايات المتحدة سيتسببون بسرعة في جعل الأمريكيين أكثر قتامة في اللون وأصغر في المكانة وأكثر تورطًا في جرائم السرقة والاختطاف والاعتداء والاغتصاب والقتل.

وأوضح البروفيسور دافنبورت أنّ المرأة لا يجب أن تتزوج دون معرفة دقيقة بتاريخ خاطبها البيولوجي ونسبه. فقد شعر أن المرأة يجب أن تتصرف مثل مربي الماشية الذي عليه أن يتحقق بدقة من نسب مهره أو عجوله. جادل دافنبورت بأن على الدولة تحدد من يستطيع أن يتكاثر،مبررًا ذلك بأنه إذا كان للدولة الحق في أن تأخذ حياة الشخص فمن المؤكد أنها يمكن ألّا تعطي الإذن بالتناسل. وكعالم يحظى باحترام كبير، كانت أفكار دافنبورت ضرورية في ذلك الوقت ولم تكن أكثر راديكالية من تلك التي نادى بها العديد من العلماء والمثقفين الآخرين كما هو موثق في الفصول الأخرى. كانت السياسات التي دعت إليها ألمانيا حيث كانت من بين أكثر الدول تقدمًا في العالم في أواخر الثلاثينات من القرن العشرين متشابهة للغاية (كيفليس 1985-46-47).

صرح السير آرثر كيث - وهو أحد علماء علم الانسان التطوريين الرائدين في العالم في القرن العشرين - بأنه كان فخوراً بأن "القائد الألماني" كان "تطوريًا" وأنه "سعى بشكل واعي لجعل ممارسة ألمانيا تتوافق مع نظرية التطور" وذلك بتطبيق تحسين النسل على السياسات الحكومية (1946، 230). وقد توصل ستيفن جيه. جولد - وهو تطوري من جامعة هارفارد - إلى أن العنصرية البشرية كانت منتشرة في هذا الوقت بين علماء الأحياء، حتى أن ألفريد رسل والاس صديق داروين كان أحد القلة التطوريين الغير عنصريين في القرن التاسع عشر. واستنتج والاس أنه على عكس الحيوانات، يرجع أصل البشر إلى الله.

وأضاف جولد أنه نتيجة لهذا الاستنتاج اعتقد والاس بكل فخر "أن كافة المجموعات البشرية لديهم قدرات فكرية متساوية". ودافع والاس عن "مساواته غير التقليدية بحجتين؛ الأولى تشريحية، والأخرى ثقافية". وأبدى ادعاءات عكس ماكان سائدًا لدى غالبية التطويريين في عصره أن "أدمغة" الهمجيين "ليست أصغر بكثير ولا أضعف تنظيماً من أدمغتنا" وأنه في "دماغ أدنى الهمج - على حد علمنا - من أجناس ما قبل التاريخ، لدينا عضو أقل حجمًا وتعقيدًا من الأنواع الأعلى" (جولد 1981، 36).

وعلى عكس كل المعتقدات واسعة الانتشار من داعمى التطور من حوله استنتج والاس أن الاختلافات السلوكية بين الأجناس السوداء والبيضاء كانت بسبب التكييف الثقافي - الذي يمكن أن يجعل أكثر الهمج خشونة أن يتكييف في الحياة التي نعيشها نحن الآن -." وقد فسر جولد السبب وراء "المساواة غير التقليدية" لوالاس على النحو التالي: "والاس — الرجل الانتقائي الذي لام داروين لعدم رغبته في رؤية عمل الانتقاء

الطبيعي في كل شكل من الأشكال العضوية الدقيقة - توقف فجأة أمام الدماغ البشري. جادل والاس قائلًا: إن فكرنا وأخلاقنا لا يمكن أن يكونا انتقاءًا طبيعيًا. لذلك، بما أن الانتقاء الطبيعي هو طريقة التطور الوحيدة، فإن بعض القوى الأعلى - الإله - يجب أن تتدخل لبناء أحدث وأعظم الابتكارات العضوية (1981، 35).

كما لاحظ جولد أن داروين "أصيب بالاشمئزاز من التحول الكامل والمفاجئ لوالاس في النهاية" فيما يخص التطور وتحديدا في البشر (1981، 35). كتب داروين لوالاس في عام 1869 عن بدعته، قائلاً: "إنني أختلف بشكل كبير عنك، وأنا آسف للغاية على ذلك." كان والاس حساسًا للتعنيف حتى أنه أشار لاحقًا إلى نظريته غير العرقية عن العقل البشري قائلًا: "إنها بدعتي الخاصة".

نهاية العنصرية الداروينية

كان آشلي مونتاجو (1941) أحد الباحثين الرئيسيين الأوائل المناهضين للعنصرية التي كانت تهيمن على البيولوجيا والأنثروبولوجيا. بعد نشر أعماله الناجحة أصبحت الآراء العنصرية للعلوم السائدة تدريجياً أقل تأصيلا وذلك لأسباب عديدة اجتماعية وعلمية (ليونتن 1077). كانت حركة الحقوق المدنية وقرارات المحاكم عاملاً هامًا للغاية، واستغرق هذا التغيير أكثر من 30 عامًا ولكنه كان مكتملًا إلى حد أن علماء الأنثروبولوجيا البارزين مثل روث بنديكت وجين فيلتفيه ذكروا تحت عنوان "عرق بشري واحد" أن "شعوب الأرض هي عائلة واحدة ولها أصل مشترك". والسبب المنطقي خلف استنتاجهم هذا ينطوي على "تركيبة معقدة للجسم البشري" و"كافة أعضاءه المختلفة المتعاونة في حفظنا على قيد الحياة وتشريحه الغريب الذي لم يكن من الممكن أن

يحدث ليكون هو ذاته في كافة البشر إذا لم يكن لديهم أصل مشترك" (1951، 3-4).

إنهم يقدمون بنية القدم البشرية بوصفها دليلًا على استنتاجهم: "عندما تحصي عدد كل العظام والعضلات الصغيرة ومفاصل أصابع القدم من المستحيل تخيل أنها قد تتكرر. أو خذ مثلاً أسناننا: الكثير من الأسنان الأمامية والعديد من الأنياب والكثير من الأضراس. من ذا الذي يتخيل العثور على الترتيبات ذاتها في نوعين بشريين إذا لم يكونا من عائلة واحدة؟ وهذا يثبت حقيقة وحدة الجنس البشري في تشريحها. لم يؤثر أي اختلاف بين الأجناس البشرية على الأطراف والأسنان والقوة النسبية بحيث يكون أحد السلالات مُجهزًا بيولوجياً مثل الأسد وآخر مثل الحمل (1951، 4-5).

واستنتجوا أن "كافةالاختلافات العرقية تكون في الأشياء غير الضرورية مثل نسيج شعر الرأس وكمية شعر الجسم وشكل الأنف أو الرأس أو لون العينين والبشرة" (1951، 5).

كان أحد أسباب هذا التغيير هو الاعتراف بأن كل الاختلافات كانت ما كان يعده بنديكت "غير أساسي". هناك بعض الاختلافات الموجودة لكنها لا تميز بقاء عرق واحد على آخر. وأن وجود غير الأساسيات لا يؤثر علي الصلاحية؛ وبالتالي لا علاقة لها إلى حد كبير بالبقاء على قيد الحياة. فمثلا نسيج الشعر لا يتعلق بالبقاء، ولكنه على الأغلب سيعطي راحة شخصية في التكيف مع مناخات معينة - وهي ميزة تتأثر إلى حد كبير بالتكنولوجيا مثل الملابس والمنازل - لأن هذه الابتكارات كانت جزءًا من الثقافة منذ تسجيلات التاريخ الأولى، وهذه الصفات لم يكن لديها ميزة اختيار محددة (هوللر 1971).

يعد لون البشرة هو الفرق الأكثر وضوحًا بين الزنوج والقوقازيين (ومن ثم عبارة

"السود" و"البيض"). وتمنح البشرة السوداء الزنوج بعض الحماية من أشعة الشمس القوية وبالتالي سرطان الجلد وخاصة في المناطق المدارية، ولكن يمكن للبيض حماية أنفسهم من خلال عملية دباغة طبيعية وباستخدام الملابس والقبعات وخوذات الشمس وحاليًا باستخدام واقي الشمس. وهذا يساعدهم على البقاء على قيد الحياة مع بعض المشكلات في المناطق الاستوائية. يساعد الجلد الداكن على الراحة الفردية أكثر من البقاء على قيد الحياة (دونز و بليبترو 1969). لا تمثل الاختلافات في لون البشرة اختلافًا في الجودة، ولا توجد سوى اختلاف في الكمية فلون البشرة يكون أكثر قتامة إذا ازدادت كمية الميلانين التي تفرزها الخلايا الصبغية، ويكون لون البشرة أكثر صفارا نتيجة ازدياد إفراز الكاروتين (سبب الصبغة الصفراء).

لدى كل البشر تركيز الخلايا الصبغية ذاته في بشرتهم (هول 1990، 168). وترجع الاختلافات إلى حد كبير إلى كمية الميلانين التي تنتجها هذه الخلايا فكلما زادت كمية الميلانين التي تُفرز في الطبقات السفلية من البشرة، كان لون البشرة أكثر قتامة (جارن 1962). باستثناء المهق الذين يفتقرون تمامًا إلى الصبغة، وتظهر في كافة الأجناس ويتأثر كل شخص مهما كان داكنًا أو فاتحًا بالشمس بالطريقة ذاتها (كوماس 1976، وجولدسبي 1971).

ليس لكل هذه الصفات أي علاقة بالبقاء خلال سنوات الإنجاب أو قبلها، وبالتالي لا يفسرها التطور. ويبدو أن هذه الاختلافات موجودة في المقام الأول لزيادة التنوع الواضح في العالم الحي، وهو تنوع لا يجعل من إقامتنا على الأرض أكثر متعة فحسب بل يساعدنا كذلك على التمييز بين أعداد الأشخاص الذين يعيشون اليوم

(دى سوزا 1995، ودون 1959).

وتشمل الاختلافات العرقية الأخرى التي زُعم أنها مواد في الدم، وبالتالي التعبير "علاقات الدم" والتصنيفات "الدم الآري" أو "الدم الصيني" أو "دم الزنوج". توجد العشرات من أنواع الدم المعروفة في كل عرق و أنواع الدم الرئيسة هي (A وB وAB وO) وهي في كافة الأجناس على الرغم من اختلاف النسبة. وبالتالي يمكن نقل الدم دون اعتبار للعرق – لا يتطلب سوى تطابق نوع الدم –. وقد وجدت الدراسات على مخلوقات أخرى المشكلة ذاتها مع الانتقاء الطبيعي. على سبيل المثال فاجأ لي فان فالن – أستاذ علم الأحياء بجامعة شيكاغو – العالم العلمي من خلال توثيقه لعشوائية انقراض الأنواع من خلال العمل مع البيانات المجدولة من الكتب والأوراق العلمية لكثير من العلماء الأفذاذ. فقد قام فان فالين بتعداد الأنواع وحساب مدى حياتهم على مدى ملايين السنين. ووفقاً للنظرية الداروينية المعيارية، فيجب أن تستمر الأنواع المتكيفة بشكل أفضل لفترة طويلة وتموت تلك الأنواع غير المتكيفة بسرعة. كما توقعت النظرية أنه كلما طال بقاء الأنواع، انخفض احتمال انقراضها في الفترة الزمنية التي تليها. ومع ذلك، يشير التحليل الإحصائي لفان فالين لحياة الأنواع إلى أنه لا يوجد مثل هذا الاختلاف. تشير أبحاثه إلى أن عملية الانقراض لا تميز بين الأنواع (راب 1979، 208، أنظر كذلك راب 1991).

هذا البحث العلمي هدم ببطء الرأي القائل بأن بعض الأجناس تكون أقل بيولوجيًا من غيرها، مما يدل على الأخوة لكافة البشر كما ذكر في سفر التكوين[1].

---

(1) وهذا ما جاءت به جميع الأديان السماوية .(الناشر)

الاستنتاجات

وتعمل الأبحاث العلمية بشكل متزايد على دعم الرأي السائد الآن بين العلماء: السماح للبيئة، لا يوجد فرق فطري كبير بين السود والبيض (بالمر وسولوموس 1999). ولاحظ ريتشارد ليكي - ابن عالم علم الإنسان الشهير لويس ليكي - أن حياة والده أثبتت أن الاختلافات العرقية سطحية (ليكي ولوين 1978، 78).

ولهذا السبب استنتج بينديكت أن: "أعراق البشرية هم - كما يقوله الإنجيل - إخوة" (1957، 171). على الرغم من ذلك تتطلب الداروينية أن تكون الاختلافات حتى وإن كانت في مجموعة صغيرة للغاية من الأشخاص ستضفي على تلك المجموعة من الأشخاص ميزة البقاء على قيد الحياة (وولبوف وكاسبيري 1997). وبالتالي فإن هذه المجموعة ستصبح أكبر وأكبر ومع استمرار الاختيار ستصبح مختلفة بشكل متزايد عن السكان في خارج المجموعة.

وعلى الرغم من ذلك، لا يحدث هذا الآن مع البشر كما هو موضح في حقيقة أن السكان المنفصلين لا يتطورن من سكان رئيسيين. هذا الوضع يعني أنه من دون أي اختلافات واضحة لا يوجد شيء يمكن اختياره. ودون اختيار لا يمكن أن يحدث التطور. ويحاول العديد من التطوريين إنكار هذا المتطلب الهام لنظريتهم في محاولة لإنكار العنصرية (فيلاند،2011).

المراجـــع

جاك بارزون،1958. داروين و ماركس و فاجنر، جاردن سيتي، دبلداي انكور بوكس.

روثبنـديكت. 1957. العـرق والعلـوم والسياسـة. نيويـورك: مطبعـة فـايكنج.وجين ويلتفيش. 1951. أعراق الجنس البشري. نيويورك نشرة الشؤون العامة:، رقم 85.

جون لانجدون بروكس، 1984. فقط قبل المنشأ. نيويورك:مطبعة جامعة كولومبيا.

بلمبر مارتن وجون سولوموس (المحررين) 1999، العنصرية، اكسفورد نيويورك مطبعة جامعة اكسفورد.

مايكـل بـيرلي،2001. "العنصـرية"، في والترلاكويرموسـوعة المحرقـة (الهولوكوسـت). نيوهافين مطبعة جامعة ييل 507-514.

جـون سـي بيرنهـام،1972- منبـوذات التطـور (نظـرة عامـة علـي الكتـاب) علـوم (4021):506-507.

بيرام كامبل 1955نظريات العرق الأمريكية. نقد لأفكارهم وطرقهم. سان دييجو، كاليفورنيا - الباحثين عن الحقيقة.

آلان تشيس، 1980تراث مالثس. التكاليف الاجتماعية للعنصرية العلمية الجديدة. نيويورك: الفريد أ. كنوبف.

خوان كوماس،1976الأساطير العنصريةويستبورتمطبعة جرين وود.

هاملتون كرافينز،1978 انتصار التطور العلماء الأمريكيون جدل بينالوراثة - البيئة 1900-1941. فيلادلفيا، بنسلفانيا: مطبعة جامعة بنسلفانيا.

اف جـي كروكشـانك،1931 المغـول في وسـطنا. دراسـة للانسـان وجوهـه الثلاثـة.

الطبعة الثالثة. لندن: كيجان، بول، ترينش، تيربينر.

تشارلز داروين، 1896. هبوط الرجل، والاختيار في العلاقة بالجنس؛ أعمال تشارلز داروين. الطبعة الثانية. نيويورك، نيويورك ابلتون والشركة (أعادت طباعته مطبعة أ ام س 1972).

1887الحياة والحروف. حرره فرانسيس داروين. لندن: جون موري. المجلد1.

بولتون ديفيدهايزر، 1969. "الداروينية الاجتماعية." جمعية أبحاث الإبداع ربع السنوية 5 (4): 151.

ام.دبليو دي لوبنفلز،1949،مسابقة علوم الحياة، نيويورك، برينتزهول.

جيمس ف داونز وهيرمان ك بليبترو 1969، اختلاف البشر، مقدمة الي علم الإنسان الفيزيائي، بيفرلي هيلز، سي ايه، مطبعة جلينو.

دينيش دي سوزا،1995، نهاية العنصرية، نيويورك، المطبعة الحرة.

ال سي دون 1959 الوراثة والتطور في السكان البشريين، كامبردج أم ايه مطبعة جامعة هارفارد.

ال سي فنك،1929" نظرية الانسان الجديدة فلي الخلق" الندوة الادبية 16 فبراير 100 (7) 27-28.

ال سي جلاجر 1999، الفصل 3 – البحث عن تحسين نسل فيرمونت" 1925-1931 - تنشأة أفضل لسكان فيرمونت. مشروع تحسين النسل في ولاية الجبل الأخضر، هانوفر ولندن مطبعة جامعة نيو إنغلاند 71-126.

جالتون، فرانسيس. 1880. استفساراتفي طبيعةالإنسان وتطورها. الطبعة الثانية.

نيويورك، نيويورك: داتون.

ستانلي جارن،1962 العرق البشري. سبرينجفيلد، إلينوي: تشارلز سي توماس.

ريتشاردأ جولدسبي 1971، العرق والأعراق، نيويورك شركة ماكميلان.

ستيفن جاي جولد، 1981والاس والعيوب القاتلة" التاريخ الطبيعي، يناير 89(1)26.

جون اس جونيور هوللر 1971، منبوذات من التطور، الاتجاهات العلمية نحو الدونية العرقية 1859–1900،اي اي ال اوربانا ، مطبعة جامعة الينوس.

جون باري هايكرافت، 1895. الداروينية والتقدم العرقي. نيويورك: سكريبنير.

ريتشارد هوفستاتر، 1955. الداروينية الاجتماعية في الفكر الأمريكي. بوسطن، م ايه:مطبعة بيكون.

جون دبليو هول،1990 – التشريح البشري وعلم وظائف الأعضاءدوبوك اي ايه دبليو م براون بوب.

توماس هكسلي، 1871. عظات، عناوين ومراجعات. نيويورك: أبلتون.

آرثر كيث، 1946. التطور والأخلاقيات. نيويورك: ج. ب. أبناء بوتنام.

دانيال كيلفيس،1985؛ باسم تحسين النسل: علم الوراثة واستخدامات الوراثة البشرية. نيويورك، نيويورك: ألفرد أ. كنوبف.

جون كوستر، 1988.، مرض الالحاد، برينتوود ت انالناشرون ووالجماث وحياة.

والتر اكير، 2001. موسوعة المحرقة (الهولوكوست). نيو هافن، سي تي: مطبعة جامعة ييل.

إدوارد جون لارسون، 1995. الجنس، والعرق، والعلوم: تحسين النسل في أعماق الجنوب. بالتيمور، م دي: مطبعة جامعة جونز هوبكنز.

ريتشارد ليكي وروجر لوين. 1978. الأصول. نيويورك: إي. بي. بوتنام.

ريتشارد سي ليونتين وآخرون علم الأحياء كسلاح اجتماعي. مينيابوليس، مينيسوتا: بورجيس.

جوناثان ماركس، 1999 .اشلي مونتاجو يموت، تقارير المركز الوطني لتعليم العلوم 19(5):11.

سيدني دبليو مينتيس،1972 منبوذات من التطورنظرة عامة على الكتاب، عالم أمريكي 60 (3): 38.

آشلي مونتاجو، 1941. "مفهوم العرق في الأنواع البشرية في ضوء علم الوراثة." مجلة الوراثة 23-234-247.

هوراشيو نيومان،1932. التطور والوراثة وعلم تحسين النسل. شيكاغو،اي ال مطبعة جامعة شيكاغو.

ليون بولياكوف، 1974. الأسطورة الآرية. نيويورك: كتب أساسية.

ديفيد ام روب 1979" ثورة في التطور" جريدة كتب العالم للعلوم السنوية1980، شيكاغو اي ال، عالم الكتبز

1991 الانقراض – الجينات السيئة أم سوء الحظ ؟ نيويورك دبليو دبليو نورتون وكمباني.

ويليام ستانتون 1960، نقاط ليبورد :المواقف العلمية تجاه العرق في أميركا 1815-1859- شيكاغو اي ال مطبعة جامعة شيكاغو.

جورج ستين 1988" العلم البيولوجي وجذور النازية" العلماء الأمريكيين يناير – فبراير 76(1):50-58.

ايثيل توباخ وجون جياموسيس، هوارد ار توباوف و تشارلز ج جروس 1974، الفرسان الأربعة، العنصرية التحيز الجنسي والنزعة العسكرية والداروينية الاجتماعية نيويورك،المنشورات السلوكية.

بيير فان دي بيرجي،1967، العرق والعنصرية، نيويورك جون ويلي وأبناءه.

الفريد روسيل والاس،1890" الانتقاء البشري" العلوم العامة الشهرية نوفمبر 38(93).

هينشو وارد،1927. تشارلز داروين، الإنسان ورفاهيته — نيويورك شركة بوبس ميريل.

ريتشارد ويكارت،2004، من داروين الي هتلر الأخلاق التطورية، علم تحسين النسل، والعنصرية في ألمانيا - نيويورك بالجريف ماكميلان.

بول يبرهن، 1989. الصحة، العرق والسياسة الألمانية بين الوحدة الوطنية والنازية - 1870-1945. كامبريدج م ايه مطبعة جامعة كامبريدج.

كارل فيلاند، 2011. عائلة واحدة: الكتاب المقدس والعلوم والعرق والثقافة.اتلانتا جي ايه الناشرون كريبشن بووك.

ميلفورد ولبوف وراتشيل كاسبيري 1997العرق وتطور الإنسان. نيويورك: سايمون وشوستر.

الفصل الخامس

اتش. جي. ويلز: تلميذ داروين واختصاصي تحسين النسل الفذ

المقدمة

تحول هربرت جورج بعد تعرضه للداروينية في المدرسة، - كما ادّعى - من الشاب المسيحي المتدين إلى الداروينى المخلص ، وقضى بقية حياته في التبشير لداروين وعلم تحسين النسل. وقد وثّق رحلته على طول هذا الطريق وكذلك العوامل التي أثّرت في كتاباته (برومي 1951). خلال فترة طويلة من حياته دعا ويلز إلى مستوى من تحسين النسل كان أكثر تطرفًا من هتلر بالدرجة التي تجعل العقاب الصحيح الوحيد للانحراف الاجتماعي هو الموت.

خلفيته

كان اتش. جي. ويلز أحد أشهر كتّاب الخيال العلمي والعلوم في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وأوائله في العالم الناطق بالإنكليزية. زعم بعض المؤرخين أنّه غير عقل أوروبا والعالم ولذلك كان يُسمى "الحكيم العظيم" في عصره (آخينباخ 2001، 112). ولد ويلز في بروملي، كينت، إنكلترا، في 21 سبتمبر 1866 (ويلز 1924) توفي في لندن في 13 أغسطس 1946.

هربرت جورج (اتش جي) ويلز. كاتب بريطاني مشهور بكتاباته في الخيال، والروايات التي تناقش قضايا السياسة والاجتماعية والخيال العلمي.

على الرغم من أنه من عائلة فقيرة إلا أنّ ويلز قد درس في المدرسة العادية للعلوم في جنوب كنسينغتون تحت إشراف تلميذ داروين الكبير

ثوماس هنري هكسلي. وحصل على شهادة البكالوريوس في العلوم مع مرتبة الشرف الأولى في علم الحيوان ومرتبة الشرف الثانية في الجيولوجيا. وكانت أطروحة رسالة الدكتوراة التي حصل عليها من جامعة لندن بعنوان: "جودة الوهم في استمرارية الحياة الفردية في الميتازوا الأعلى مع الإشارة بشكل خاص إلى أنواع الإنسان العاقل بالإنكليزية: (Homo sapiens)". وبعد تدريسه في المدارس الخاصة لمدة أربع سنوات بدأ ويلز تدريس دورات في الكلية في عام 1891 وتزوج ابنة عمه إيزابيل في العام نفسه.

وبسرعة أصبح ويلز مؤلفا وكاتبا لأكثر من 100 كتاب في مسيرته الطويلة، ويشمل ذلك كلاسيكيات الخيال العلمي الأكثر مبيعاً (وهو نوع الذي جعله أكثر شهرة) مثل آلة الزمن (1895) والرجل الغير مرئي (1897) وحرب العوالم (1898) **والرجل الأول على القمر** (1901). كما نشر الكثير من كتب الخيال العامة ثم تفرع إلى مجالات أخرى بما في ذلك التاريخ والعلوم. وكان كتابه الأكثر مبيعاً (ولا يزال يطبع): الخطوط العريضة للتاريخ (1920) وكذلك كتابه علوم الحياة والذي يتألف من أربعة مجلدات (1931) وقد بيع بشكل جيد للغاية وقد تعاون فيه مع ابنه الأكبر جورج فيليب ويلز والسير جوليان هكسلي. وقد بيع أكثر من مليوني نسخة من ملخص التاريخ (ويست 1984، 82). وقد جاء كل من ملخص التاريخ وعلوم الحياة بتفاصيل عظيمة للدفاع عن الرؤية الداروينية للعالم (كورين 1993).

كان ويلز يكتب ما لا يقل عن كتابين في السنة بالإضافة إلى مقالات في مجلات مثل المراجعة نصف الشهرية، وبالرغم أنه بدأ مسيرته المهنية في كتابة العلوم العلمية، لكن سرعان ما انتقل إلى كتابة الكتب التي من شأنها أن تساعد في حل ما خلص إليه

من "تعقيدات اجتماعية عميقة" (ويلز 1979، 4). كان أحد اختصاصاته التنبأ بالمستقبل - الذي ظهر ليس فقط في كتابات الخيال العلمي فحسب، بل كذلك في كتب مثل تنبؤات (1902 والذي أعيدت طباعته في عام 1999)، البشرية في النشأة (1903)، اليوتوبيا الحديثة (1905)، والعقل في نهاية حده (1945) - وهو العمل الذي أعرب فيه عن تشاؤمه حول مستقبل البشرية أكثر مما ذكر في أي من كتبه الأخرى -. لا يزال العديد من أعماله تحت الطباعة[1].

من المسيحية إلى الإلحاد الداروينى

تشرح كتابات ويلز بالتفصيل كذلك تحوله من الإيمان إلى الداروينية، وقد كتب أنه عندما كان شابًا كان يعتقد تمامًا أن الله خلق الكون ولكن في وقت لاحق بدأ في استنتاج أنه "كان هناك خللًا ما في هذا الافتراض" (1934، 126). أعجب ويلز بأفكار داروين، ولكنه حاول في البداية أن يوفق بينها وبين ما يؤمن به "بمفهوم بسيط وقوي علمته له والدته عندما كان صغيرا وهو أنه يجب أن يكون هناك شخص ما خلق كل هذا" (ماكنزي وماكنزي 1973، 42).

ذكر ويلز أنه عندما كان شابًا: "تصور الداروينية بشكل غير ناضج"، ولكن فقط عندما كان في الكلية أقتنع بالداروينية تمامًا (1934، 126). ونتيجة لذلك، رفض المسيحية وفي النهاية رفض الإيمان بالله. ومن بين الكتب التي قرأها كان قانون هنري

---

(1) انظر ما يلي :

:http://www.online-literature.com/wellshg/

وهناك أيضًا مجتمع مستقل خاص بويلز له موقع الكتروني خاص: http://www.hgwellsusa.50megs.com

(المصنف)

دروموند الطبيعي في العالم الروحي. حيث كان دروموند عالم تطوري كتب العديد من الكتب الأكثر مبيعا للدفاع عن الداروينية ومحاولة للمواءمة بين الداروينية والمسيحية.

من الأسباب الهامة التي تجعل المؤمن المتدين سابقًا ملحدًا، هو صعوبة قبوله كلًا من الإيمان بالله والمسيحية، لأنه - كما قال ويلز - عندما كان آمن بالتطور لم يعد بإمكانه قبول سفر التكوين (1934، 127). واستنتج من الناحية المنطقية أنه إذا كان التطور صحيحًا فمن المستحيل تحقيق أساس المسيحية بما في ذلك هبوط آدم إلى الأرض وموت المسيح كقربان لخلاص البشر.

أدرك ويلز أن "العلم الجديد" والخاص بالداروينية "قد وجهت الداروينية الكثير من الضربات للدين لكنها لم تأت بأي بديل روحاني" (ماكنزي وماكينزي 1973، 42). ولاحقا عندما صادف المجلة الأسبوعية الملحدة المسماة المفكر الحر تأكدت "أسوأ شكوكه" عن المسيحية وأصبح ملحدًا ملتزمًا وبسرعة بدأ يستمتع بالسخرية من المسيحية (ماكينزي وماكينزي 1973، 43). وبعد أن رفض ويلز الإيمان بالله اعتنق الاشتراكية ولاحقا الشيوعية على النمط السوفييتي، ولكنه رفضهما في النهاية بعد أن خاب أمله.

على الرغم من أن معلمه تي. إتش. هكسلي كان يطلق عليه كلب داروين طيلة حياته وهو يناضل من أجل الداروينية وقد كان يسمى ويلز بأحد كبار رسل داروين (ماكينزي وماكينزي 1973، 53). كان لدى هكسلي وويلز وغيرهم من "رجال العلم البارزين" "إيمان متشدد" بأن العلم وحده هو الحل لكل "البؤس الإنساني" (ماكنزي وماكينزي 1973، 55).

كان ويلز ناشطًا في الكتابة والدفاع عن دينه الجديد - أي الداروينية - طوال

حياته، ولتحقيق هذه الغاية كان عنده : "القدرة على إثارة الحماس مثل أي صحوة دينية" (ماكنزي وماكينزي 1973، 55). حتى كتبه الروائية دافعت بنشاط عن الداروينية – استنتج كيمب أن كتابه ألة الزمن كان "مزيجا من كل من ماركس وداروين" (1982، 14).

بالإضافة الي كل ماسبق كان ويلز ناشطا للغاية في مهاجمة كل أشكال المسيحية وخصوصا الكاثوليكية على سبيل المثال ألف كتابًا كاملًا ينتقد الكنيسة الكاثوليكية بعنوان كروكس أنساتا "Crux Ansata " الذي هاجم الكنيسة الكاثوليكية وقدم تاريخًا مشوهًا أحادي الجانب لجرائم الكنيسة المفترضة ضد الإنسانية (1944). ومثال آخر على نشاطه المضاد للكنيسة شمل هيلاري بيلوك – الكاثوليكي البريطاني الذي كتبت ردا مكونا من 119 صفحة علي كتاب ويلز ملخص التاريخ بعنوان: رفيق ملخص التاريخ للسيد ويلز (1926)، يدحض مناهضته للمسيحية وانحيازه للداروينية.

اضطر ويلز للرد على الكتاب وقد نُشر لاحقاً في العام ذاته تحت عنوان اعتراضات السيد بيلوك (1926). وقد استنتج جاردنر أن رد ويلز على بيلوك كُتب وهو في "حالة مزاجية غاضبة" (1957، 134). وصف ماكينزي وماكينزي كتاب ويلز بأنه "تشهيريًا" وتوقع أن ويلز كان "غاضبا" من بيلوك (1973، 348). ولاحقا وجه بيلوك طعنة إلى كتاب ويلز اعتراضات السيد بيلوك بكتابه مازال السيد بيلوك يعترض (1927) حيث دافع فيه بيلوك عن اعتراضاته على الداروينية وانتقد هجوم ويلز على الإيمان بالله.

علم تحسين النسل

بعد أن دمرت الداروينية "اللاهوت التقليدي" في أذهان غالبية المفكرين البريطانيين، كان السؤال في أذهانهم هو – هل كان بإمكان داروين "توفير أساس بديل

للأخلاق؟" (ماكنزي وماكينزي 1973، 55). المشكلة - كما لاحظ ماكنزي وماكينزي - هي أن بريق الشهرة والتفاؤل حول نظرية داروين للتطور قد حلت ببساطة محل الهدف الإلهي من خلال عملية الانتقاء الطبيعي. وظل الإنسان هو الإنجاز الأسمى للتباين الجيني. ولكن هكسلي لم يقبل هذه النظرة المتعسفة للطبيعة فقد تساءل:" لنفترض أن ظهور الأنواع البشرية كان حادثا، وربما كان ظاهرة مؤقتة. ولنفترض أن الطبيعة كانت في أحسن الأحوال محايدة وفي أسوأ الأحوال عدائية. ولنفترض أن تطور الأنواع يمكن أن يؤدي بسهولة إلى الركود والتراجع كما يؤدي إلى التقدم. وبناءًا عليه ربما يكون الإنسان العاقل[1] مصاب بلعنة بالتأكيد وفقًا لقوانين التطور كما هو الحال في الخطيئة الأصلية[2] ففي الحالتين سيكون هناك يوم قيامة(1973، 56).

اعتقد ويلز وآخرون كثيرون أن جزءًا من حل هذه المشكلة كان تحسين النسل. بالنسبة لويلز وغيره من الداروينيين كان علم تحسين النسل هو مفتاح التقدم البشري.

كان علم تحسين النسل هو المجال الذي قام فيه ويلز "بالتجرد من الداروينية"، وأحد الأمور التي دافع عنها معظم حياته. وكشف ذلك بوضوح في كتابه عن أمله في

---

(1) الإنسان العاقل: (باللاتينية: Homo Sapiens) النوع الوحيد الغير منقرض من السلالات البشرية والتي ينحدر منها الإنسان المعاصر.(الناشر)

(2) الخطيئة الأصلية: هو معتقد نصراني ظهر في العهد الجديد ولم يكن له أي ذكر في العهد القديم بل كان العهد القديم يُحارب فكرة أن يرث الأبناء ذنب الآباء كما في سفر حزقيال الإصحاح الثامن عشر إذ جاء فيه " 2 ما لكم أنتم تضربون هذا المثل على أرض إسرائيل، قائلين: الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضرست 3 حي أنا، يقول السيد الرب، لا يكون لكم من بعد أن تضربوا هذا المثل في إسرائيل 4 ها كل النفوس هي لي . نفس الأب كنفس الابن، كلاهما لي. النفس التي تخطئ هي تموت" وأما في النصرانية فهو ميل الجنس البشري إلى فعل الخطيئة، وهو شئ موروث من آدم أبو البشر. ذلك الشئ الذي تسبب في الهبوط من الجنة إلى الأرض.(الناشر)

مستقبل البشرية تحت عنوان "التوقعات" حيث كان أول كتاب غير خيالي ينشر لويلز وحقق نجاحًا تجاريًا رائعًا (أخنباخ 2001، 118). كان لهذا العمل "تأثير هائل على المثقفين البريطانيين ونظرائهم الأوروبيين" (غاردنير 1999، 3). على الرغم من أن الكتاب يحتوي على العديد من الأفكار المفيدة مثل: أن الكتب يجب أن "يشرحها الكُتّاب ذوي الآراء المعاكسة"، إلّا أنّه أيضًا دافع فيه عن "برنامج متطرف لعلم تحسين النسل السلبي" (غاردينير 1999، 9-10).

لقد دعت كلمات ويلز بشكل علني إلى تفضيل "تناسل ما هو حسن وفعال وجميل في الإنسانية - أجسام جميلة، وقوية وعقول نقية وقوية -. ووقف التناسل في الأنواع الحقيرة والذليلة التي تحمل كل ما هو قبيح وبهيمي في النفوس والأجساد وعادات البشر" (ويلز 1999، 167-168). كان من المقرر أن يكتمل هذا الهدف بـ "الموت" أو "القتل الرحيم" لمن لا يصلحون. ونص ويلز أولئك المشاركين في عالم تحسين النسل بأنه "لا شفقة" على من لايصلحون، و"ألّا يكونوا حساسين" نحو إلحاق الموت بغير الصالحين، لأن هؤلاء الذين يقتلون الضعفاء سيكون لديهم "إدراك بإمكانيات الحياة أكمل من الذي نمتلكه. سيكون لديهم هدف يجعل القتل يستحق الوقت" (ويلز 1999، 169). كان اهتمامه هو السيطرة على "قوانين التطور بحيث يمكن للبشرية أن تصبح سيدها وليس ضحيتها" (ماكنزي وماكينزي 1973، 120).

وشمل "غير الصالح" الذي أضافه ويلز إلى قائمته أشخاصًا يعانون من "الأمراض المعدية، الاضطرابات العقلية، والتشوهات الجسدية، والجنون، وحتى الإدمان على الكحول!. يجب أن يُقتل الكافة بطريقة إنسانية - بتخديرهم أولًا لتجنيبهم معاناة لا

داعي لها!" (غاردينر 1999، 10). لم يدعُ ويلز إلى القتل الرحيم فحسب، بل إلى التعقيم وتحديد النسل بوصفها طريقة فعالة لتخليص الأرض من الأجناس والشعوب "الدونية" (غاردينر 1999، 9). ويعتقد ويلز أن التطور إذا ترك يعمل من تلقاء ذاته فلن يحدث "تقدمًا" فهو بحاجة إلى "توجيه" من النخبة المتعلمة. لهذا السبب عمل بنشاط نحو تأسيس برامج تحسين النسل.

كان السؤال الذي كان يدور في أذهان كثير من الأشخاص هو مكان اليهود وما أسماه ويلز "الأجناس الدنيا" في المجتمع (ويلز 1999، 177). استنتج ويلز أن الوجوه اليهودية "قبيحة للغاية" وكذلك العديد من غير اليهود. كما خلص ويلز إلى أن العديد من اليهود مبتذلين بشكل كبير في اللباس والمادة والبراعة وكذلك العديد من غير اليهود. كان يعتقد أن التزاوج في نهاية المطاف سيؤدي إلى توقف اليهود عن الوجود كـ "عرق" مميز جسديًا.

كان ويلز أقل رحمة بكثير فيما يخص "الأجناس الداكنة"، واستنتج أن "تلك الأسراب من السود، والبُنيين، والبيض القذرين والصُفر عليهم أن يرحلوا" (غاردينر 1999، 9). يعلق غاردينر بأن كلام ويلز حول الأجناس المتدنية واستخدام القتل كأداة للتخلص من غير الصالحين اقترب بشكل خطير من جهود هتلر لتوليد عرق آري متفوق و"حل لغز اليهود" بمساعدة غرف الغاز" (1999، 11).

واستنتج غاردينر أنه - حسب علمه - لم يتراجع ويلز أبدا ولم يعتذر على الإطلاق عن هذه التصريحات، بل إنه قال أن كتاب "التوقعات" هو حجر الزاوية في حياته (1999). وفي مذكراته عام 1934: كان ويلز لا يزال يدعوا إلى تخليص العالم من أولئك الذين وصفهم بـ "غير الصالحين" لكنه لم ينادِ بقتلهم بل أراد الاعتماد على

التعقيم. ويطلق على هذا في كثير من الأحيان اسم "الطريقة اللينة لتحسين النسل" على عكس رأي ويلز السابق "تحسين النسل بالطريقة الشديدة".

وُجد مثال على الطريقة اللينة لتحسين النسل في كتاب ويلز العمل والثروة وسعادة البشرية (1931). دعا ويلز في هذا الكتاب إلى عزل وتعقيم غير الصالحيين ولكنه أدرك أن التنوع في البشر يمكن أن يكون مفيدًا. كما نادى في العديد من أعماله بالحكم المطلق لطبقة النخبة المتعلمة وانتقص من السكان العاديين الأقل تعليمًا. ولهذا السبب كان يعارض الديمقراطية وشعر بأن العالم يجب أن يحكمه نخبة مستنيرة مدربة على العلم – أي العلماء – (ماكينزي وماكينزي 1973، 59). نادى ويلز – لفترة طويلة من حياته – بحكومة عالمية. وكما أشار أخينباخ، فإن فكرة ويلز حول "اليوتوبيا العلمية التي يديرها نخبة قوية كانت مرتبطة بشكل ما بالأهوال الاستبدادية لألمانيا النازية والاتحاد السوفييتي" (2001، 123).

كما جادل ويلز بأن البشر الأدنى يجب أن ينتحروا، مؤكدا أن – في عالمه اليوجيني – سيعتبر المجتمع "بشكل طبيعي" أنّ "الانتحار من الكآبة المزمنة، أو انتحار المرضى أو العاجزين؛ عمل شجاع يجب القيام به وليس جريمة" (1999، 169). خلص ويلز إلى أن فترات السجن الطويلة لأولئك الذين يرتكبون الجرائم "أسوأ بكثير من الموت". وبدلاً من ذلك، يعتقد ويلز أن على الدولة أن تعدم كافة الأشخاص الذين أدينوا بجرائم خطيرة (1999، 169).

بالنسبة للمجرمين الآخرين، أوصى ويلز بضرورة فرض عقوبة رادعة "علميا عقوبة تسبب الألم ولا تترك سوى الذكرى"، لكنه لا يخوض في التفاصيل حول كيفية القيام

بذلك (1999، 169). بل إنه جادل بأنّه حتما سيأتي الوقت الذي تكون فيه العقوبة الوحيدة هي القتل، ولأن المجتمع في المستقبل "سيكون أقل استعداداً للتعذيب من القتل". يعتبر العلم أن القتل وفقًا للشروط الصحيحة شئ أقل عدوانية بكثير. فالأشخاص الذين لا يستطيعون العيش بسعادة وحرية في العالم دون إفساد حياة الآخرين، من الأفضل أن يكونوا خارجه (1999، 169-170).

استنتج ويلز أنه يمكنهم إنقاذ المجتمع من هذه المشكلة من خلال قتل أنفسهم. "إن غالبية أنواع البشر - الغير مرغوب فيها وفقًا للمعايير الحضارية - ستكون مستعدة تماماً للموت إنّ شجعهم العالم قليلاً" (1999، 171). صحيح أن ويلز عدل في وقت لاحق عن هذا الموقف المتطرف، فلا شك أن قدرا أكبر من الحكمة والنضج قد ساعده على فهم غباء بعض أفكاره السابقة. ومع ذلك، استمر في الدفاع عن علم تحسين النسل ولكن بدلاً من استخدام القتل اقترح التعقيم (انظر الفصل الخامس من كتابه اليوتوبيا الحديثة، 1905).

كان أحد أقواله الأكثر إثارة للاهتمام يتعلق بفكرته عن جمهورية يوتوبية جديدة: "وكيف ستتعامل الجمهورية الجديدة مع الأجناس الدنيا؟ كيف ستتعامل مع العرق الأسود؟ كيف ستتعامل مع الرجل الأصفر؟ كيف ستعالج النمل الأبيض الموجود في الخشب - يقصد اليهود -؟ بالتأكيد ليست أعراقًا على الإطلاق. وستهدف إلى إنشاء دولة عالمية ولغة مشتركة وقوانين مشتركة في كافة أنحاء العالم، لها معاييرها وقوانينها وأجهزة التحكم الخاصة بها، والتي تجعل تكاثر أولئك الذين يقعون خلف معيار معين من الكفاءة الاجتماعية غير سارة وصعبة، فإذا كان لدى اليهود نزعة تطفل اجتماعي

غير قابلة للشفاء – ونحن نجعل التطفل الاجتماعي مستحيلاً – فيتوجب علينا أن نضع نهاية لليهود. وبالنسبة للبقية – تلك الأسراب من السود، والبنيين، والبيض القذرين والصُفر – الذين لا تتوفر لديهم أية كفاءة؟ حسنا، إن العالم ليس مؤسسة خيرية، وأنا أرى أن عليهم الرحيل. فكل معنى ومضمون العالم – كما أراه – أنّه بقدر ما يخفقون في تطوير شخصيات عاقلة وقوية ومميزة، لعالم عظيم في المستقبل، فإن هذا الجزء عليه أن يموت ويختفي (ويلز 1902، 340 – 342)

ويلز والمسيحية

كان لدى ويلز أفكارًا قاطعة، وسلبية للغاية، حول المسيحية – كشخص ناضج – على سبيل المثال: فقد شعر بأن الإله الذي يعبده المسيحيون "سخيف" (1999، 160). في البداية لم يكن بإمكانه قبول نظرة عالمية ملحدة وحاول لسنوات أن يحل محل الإله المسيحي بإله صنعه – إله سمح له بانتهاك الأخلاق المسيحية، ومع ذلك أعطى معنى للكون والتاريخ البشري –.

سينكر ويلز ذاته وجود الله فيما بعد تمامًا، معلناً بأنه "ملحد مخلص" (غاردينير 1999، 9). لكن كاتب سيرة حياته توصل إلى أن معتقدات ويلز الدينية الشابة لا تزال تؤثر فيه، حتى لو كان ذلك دون وعي وأنه "سعى دوما إلى التوفيق بين المفاهيم العلمية التي اكتسبها في جنوب كنسينغتون والمعتقدات الإنجيلية المسيحية" (ماكينزي وماكينزي 1973، 121).

ومع ذلك، استنتج ويلز أن أفكار مالتوس "أيُقِظَت بشكل متزامن في ذهن كلا من داروين ووالاس" مجموعة من الأفكار التي "كانت مؤثرة في نظرية الانتقاء الطبيعي"

(ويلز 1999، 162). الانتقاء الطبيعي - بعد أن تمّ استيعابه وفهمه بشكل أكبر من قِبل العقل العام - قد دمر بهدوء وبشكل كامل - الإيمان بالمساواة الإنسانية التي تتضمنها كافة حركات "التحرر" في العالم. لقد أصبح من الواضح أن هناك كتل بشرية بالكامل، هي بأكملها متدنية تطالب بمستقبل كالكتل الأخرى، لكن لا يمكن منحهم أي فرص أخرى أو الثقة في تسليمهم سلطة كما يُوثق في الشعوب المتفوقة وهذا لأن نقاط ضعفها هذه معدية وضارة للنسيج الحضاري ونطاق عجزهم يغري ويضعف الروح المعنوية. إن منحهم المساواة يعني السقوط إلى مستواهم، وحمايتهم والاعتزاز بهم يعني الغرق في نسلهم (ويلز 1999، 162 - 163).

وعلاوة على ذلك، استنتج ويلز أن "الداروينية دمرت عقيدة هبوط آدم التي يرتكز عليها النسيج المسيحي الكامل. لأنه دون الهبوط لا يوجد فداء ومن ثم فالنظرية والمعنى الكاملان لنظام بولين باطلة" (1999، 163). وأكمل ويلز مشيرا إلى أن الاكتشافات العلمية أدت إلى فقدان "عادة الفكر الذي نشأ منه الايمان بالهبوط" (1999، 163). التطور - كما يؤكد ويلز - وضّح لنا حقائق غير مفهومة مثل الموت وجعلها مفهومة. إنه يساعد في شرح الكثير من الأشياء لأن الانتقاء الطبيعي يجعل كل الأشياء "منتظمة في نظام كامل: فوجود الضحية يصنع القاتل، ووجود الذئب يدفع الحصان إلى السرعة، ويستدعي النمر الحكمة والشجاعة في الإنسان" (1999، 164).

وبالإضافة الي ذلك فقد تنبأ ويلز أنّ المسيحية البروتستانتية ستتفكك ببطء وأن الكثير ممن تخلوا عن البروتستانتية سيتحولون إلى طوائف زائفة مثل الروحانية والأديان الشرقية والسحر وعبادة الشيطان. ورأى أن النشاطين الأخيرين يمثلان حركة التمرد أكثر من الإيمان

الصادق. واستنتج غاردينر أنّ ويلز كان "دقيقًا للغاية" في هذا التنبؤ (1999، 10). وانعكست هذه الآراء المناهضة للمسيحية في العديد من الكتب المؤثرة التي كتبها ويلز، بما في ذلك كتابيه الكلاسيكيين 1917: "الله الملك الخفي" و"روح أسقف".

ويلز والأخلاق

كان هناك جملة ساخرة في كتابة توقعات حيث قال "الله ليس أخلاقيا" (1999، 160). ورأى ويلز كذلك أن "الأخلاق الجنسية للعالم المتحضر هي أكثر الأنظمة التي يمكن تخيلها من حيث اللا منطقية وتفكك، تتكون من الرُخص الهمجية والحظر اللامعقول والتسامح الأحمق والقسوة الوحشية" (ويلز 1999، 170). كان من أوائل المدافعين عن الحب الحر وهى فكرة جعلها "بشكل فاضح" موضع التنفيذ (أخنباخ 2001، 112). وعلى العكس من ذلك، شعر كذلك أنه يجب حماية الشباب من التدخل الجنسي السابق لأوانه (راكانيم 1962).

وبعد فترة وجيزة تزوج ويلز من إيزابيل في عام 1891، "حيث انكسرت شهوته" و "أصبحت عينه تائهة" (أخنباخ 2001، 115). وسرعان ما أصبح على علاقة مع إحدى الطالبات الصغار - أيمي كاثرين روبينز - التي وصفها أحد الأصدقاء بأنها "واحدة من أجمل البنات" التي شاهدها (ويست 1984، 210). ثم تزوجها ويلز وغير اسمها إلى جين لأنه لم يحب اسمها "المسيحي" (ويلز 1977، 29).

أنجبت له جين ولدين وأدارت منزل الأسرة وكانت تحرر نصوصه لجعلها قابلة للقراءة. حتى أنها كتبت كل ما كتبه ويلز (أخنباخ 2001، 115 وويلز1977). بعد وقت قصير من الزفاف، كان ويلز على علاقة بالعديد من النساء الأخريات، وكانت

جين "متسامحة بلا حدود" عن مغامراته، واستمرا معا على الرغم من سلسلة علاقاته الطويلة.

من بين "علاقاته غير الرسمية التي سمحت بها جين" كانت علاقة لمدة عشر سنوات مع الكاتبة الشهيرة ريبيكا ويست (ويست 1984، 83). وأوضح انتوني ويست - ابنها غير الشرعي من ويلز - أن والده وجين ويلز كانا لديهما "تفاهم" من شأنه أن يسمح لويلز "بالعلاقات غير الرسمية". لقد استفاد ويلز من هذا النظام بالعيش بنشاط بفلسفته هذه (ويست 1984، 83). ومن علاقاته الأخرى شملت الآنسة روزاموند بلاند وأمبر ريفز، وهما بنات أصدقائه. ومع ذلك، كانت مارجريت سانغر - وهي امرأة كان عل علاقة غرامية بها - هي المرأة التي قضت الكثير من حياتها في حملة من أجل التحرر الجنسي للرجال والنساء داعية إلى البيع غير المقيد لموانع الحمل، وبعد ذلك تأسيس منظمة الأبوة المخططة (ويست 1984، 83).

تأثير الداروينية

كتب ويلز في سيرته الذاتية أنه كان يعتقد أن كلا من تي. إتش. هكسلي وتشارلز داروين "رجال عظماء للغاية" "حاربوا بجرأة وحذر وبكل بساطة" و"تكلموا وكتبوا دون خوف وبصراحة" و"كانوا محررين فكريين" (1934، 162). ودرس ويلز كلا من علم الأحياء وعلم الحيوان على يد هكسلي، واستنتج أن السنة التي قضاها في فصله "كانت أبعد ما تكون عن التساؤل حيث أراها أكثر السنوات تعليمًا في حياتي" (1934، 161). لقد كان إعجاب ويلز بهكسلي كبيرًا لدرجة أنه قال إن هكسلي كان "المراقب الأدق، والمعمم الأبرع، والمعلم العظيم، والمحاور الأكثر وضوحًا وبسالة" (1934، 159).

ذكر أنتوني ويست ابن ويلز غير الشرعي أن والده كان "طالبًا مبتدئًا" عندما درس البيولوجيا على يد "توماس هنري هكسلي العظيم" (ويست 1984، 57). بعد الدراسة على يد هكسلي "ألهمت نظرية داروين ويلز في تأليف كتاباته بعد ذلك والى الأبد" (أخنباخ 2001، 115).

ثم تحدث ويلز عن التطور كحقيقة غير قابلة للجدل، والتي كان لها "قاعدة من الأدلة القاطعة" (1934، 162). واستنتج كذلك أن الكنيسة "كانت دائمًا تعرف كل شيء عن التطور ومكان الإنسان في الطبيعة تمامًا كما كانت تعرف دائمًا عن مكان النظام الشمسي في الفضاء"، لكن الكنيسة لم ترغب في الكشف عن هذه الحقائق حتى تُبقي الأشخاص في الظلام. تتحدث حياة ويلز بشكل بليغ عن تأثير الداروينية على أفكاره ومعتقداته المسيحية المحافظة. وفي المقابل أثر ويلز على الملايين من الآخرين ليعيشوا حياة شبيهة بحياته. ولحسن الحظ، فإن علم تحسين النسل التابع لويلز – حيث "أهل النخبة في المستقبل سيقتلون الأعضاء المريضة أو غير الذكية من الجنس البشري" الذين لن ينجحوا أبداً – (أخنباخ 2001، 123)

وفي أواخر حياته، أصبح ويلز متناقضًا للغاية مع العلم كمنقذًا ومدركًا بأن هذا العلم يمكن كذلك أن يصبح وسيلة رئيسة للشر كما حدث في ألمانيا النازية. وفي النهاية، كان ويلز يعتقد أن للإنسانية نهاية محتومة، وأن مستقبلها ليس خلاصاً، بل إنه انقراض. على الرغم من كل آمال ويلز في العلم لإنقاذنا فقد عرف أن العلم في النهاية "ظلام مستمر" (ماكينزي وماكينزي 1973، 124). توفي ويلز في عام 1946، ومات وهو "غارق في الإحباط" ورجل مكسور. استنتج بوريللو أن الداروينية التي درّسها –

كلب داروين - تي. إتش. هكسلي "نقلت إلى ويلز طريقة فهم للحياة والتي أبقت حالة التشاؤم متقدة داخله حتى عندما رُحب به كرسول للتفاؤل. أعطاه هكسلي ذلك الخوف على مستقبل الإنسان الذي عجل باليأس الذي سيطر على سنوات حياته الأخيرة" (1972، 6).

الاستنتاج

كانت خسارة ويلز لعقيدته المسيحية جزءًا من نتيجة قبوله للداروينية. أثبتت حياته، و"اليأس الذي أظلم سنواته الأخيرة" بوضوح النتائج النهائية للداروينية (أخنباخ 2001، 124 انظر كذلك سميث 1986 وبوريللو 1972). ومع ذلك، لا يزال يكرمه البعض اليوم. توجد جمعية ويلز للحفاظ على أعماله، وما لا يقل عن 25 من كتبه لا تزال تطبع (بوريللو 1972). يجب أن يبقى في الذاكرة ليس كبطل، بل كإشارة مأساوية للتأثير المثير للداروينية على الإنسانية.

المراجع

جول أكنباش2001." العالموفقا لويلز 32(1) 111-124 إبريل.

هيلاير بيلوك 1926رفيق للسيد ويلز "الخطوط العريضة للتاريخ" سان فرانسيسكو - كاليفورنيا: الناشر وكالة الفضاء الأوروبية

1927- اعتراضات السيد بيلوك،لندن: شيد وارد.

ألفريدبوريلو، 1972 هـ.ج ويلز: مؤلف في عذاب كابونديل وادواردسيفيل اي ل. مطبعة جامعة الينوس الجنوبية.

فينسنتبروم1951هـ.ج ويلز سيرة ذاتيةلندن لونجمانز جرين وشركاه.

مايكل كورين،1993الرجل غير المرئي: حياة وحريات هـ. ح .ويلز. نيويورك.

مارتن جاردينر،1957البدع والمغالاة باسم العلم. نيويورك: دوفر.

1999مقدمة في طبعة دوفر من التوقعات التي كتبهاهـ.ج.ويلز. مينولا، نيويورك دوفر.

بيتر كيمب،1982 هـ. ج - الموضوعات البيولوجية والإيجابيات المتخيلة. لندن مطبعة ماكميلان المحدودة.

نورمان ماكنزي،وجين ماكينزي1973هـ.ج ويلز سيرة ذاتية بواسطة نورمان وجين ماكينزي.نيويورك سايمون وشوستر.

إنجفالد راكانيم1962 هـ. ج. ويلز ونقادهأوسلو، النرويج: الكتب الجامعية الاسكندينافية.

ديفيد سي سميث 1986 هـ. ج ويلز مأساوية مميتة نيو هافن سي تي: جامعة ييل.

فرانك ويلز،1977 هـ.ج ويلز سيرة ذاتية مصورة لندن: جوبيتر بوكس.

هربرت جورجويلز الله الملك غير المرئي. نيويورك: ماكميلان.

1902توقعات لردة التقدم الميكانيكي والعلمي: عند الإنسان.

الحياة والفكر. نيويورك: هاربر وإخوانهأعيد طبعه من قبل دوفر، مينيولا، نيويورك.

1903صنع البشريةلندن: تشابمان اند هول.

1905المثالية الحديثة. لندن: تشابمان اند هول.

1917روح أسقف. نيويورك: ماكميلان.

1920مخطط التاريخ. نيويورك: ماكميلان.

1924هربرت جورج ويلزرسم تصويريعن حياته وأعماله. نيويورك: أبناء تشارلز سكريبنر.

1926. اعتراضات السيد بيلوك. نيويورك: دوران.

1931العمل و الثروة وسعادة البشريةجاردن سيتي، نيويورك: دوبليداي — دوران.

1931 علوم الحياة. نيويورك: دوبليداي، دوران والشركة.

1934تجربة في السيرة الذاتيةبوسطن، ماجستير: ليتل براون.

1944كروكس أنساتانيويورك: شركة اجورا للنشر.

1945 عقل في نهايته حد. لندن: دبليو هينمان.

1979الخيال العلمي الكاملكنز هـ.ج ويلز. نيويورك: كراون.

1999توقعات من ردود الفعل من التقدم العلمي والعلمي على الإنسان الحياة والفكر. لندن: منشورات دوفر - 1902: لايبزيج: بيرنهارد تاوتشنيتز.

أنتوني ويست،1984 هـ.ج ويلز جوانب الحياةلندن: هاتشينسون.

الفصل السادس

الداروينية والإبادة الجماعية في تسمانيا

المقدمة

لم يكن داروين أول المؤسسين لنظرية التطور عن طريق الانتقاء الطبيعي، لكن كتابه عام 1859 كان حاسماً في قبولها على نطاق واسع. إن أكبر مثال موثق للتأثير السلبي للنظريات العنصرية قبل الداروينية هي قصة الإبادة الكاملة للشعوب الأصلية في تسمانيا في القرن التاسع عشر.

تقع تسمانيا – وهي جزيرة تبلغ مساحتها 26 ألف ميل مربع (67,000 كيلومتر مربع) تبلغ ما يقرب من حجم إيرلندا – على ما يقرب من مائتي ميل جنوب البر الرئيسي الأسترالي، تقريبًا جنوب ملبورن مباشرةً. كانت تسمى هذه الجزيرة في السابق باسم أرض فان دي مان، والآن هي جزء من أستراليا. لم يكن التسمانيون الأصليون على اتصال مباشر مع غيرهم من البشر لآلاف السنين حيث كانوا معزولين تماما، ويتكونون من حوالي 70 قبيلة وخمس مجموعات لغوية (بلوملي 1983، 1991 وجونز 1971). وكانت مواصلاتهم البحرية الوحيدة عبارة عن قوارب صغيرة حيث كانت عملية فقط للرحلات القصيرة (مولفاني 1969).

لم ينشر داروين كتابه "أصل الأنواع" حتى عام 1859، ولكن كان يؤمن بالتطور في أشكال مختلفة على نطاق واسع العديد من علماء الأحياء والجيولوجيين وغيرهم في أوائل القرن التاسع عشر (أوسبورن 1929). وكان إيراسموس جدّ داروين واحداً من أوائل الباحثين الذين قاموا بحفر قبر أحد السكان الأصليين وعرضه في الكلية الملكية

للجراحين - وكانت أول جثة يصل إليها من الـ 10000 جثة "لمحاولة إثبات دونيتهم العرقية" وليوثق الارتباط "المفقود بين إنسان العصر الحجري والبيض(غريبر 1994، 32). وقد صرح كينغ - هيل (1963، 75): "بعد عام 1794، جاءت تصريحات مبدأ الانتقاء الطبيعي والتطور بسرعة إلى حد ما". وقد نوقشت هذه الأفكار على نطاق واسع وأثرت في التفكير في العرق، وخاصة مكان ما يسمى "الأشخاص البدائيون" في المملكة الحيوانية.

في أوائل القرن التاسع عشر رأي النخبة من المتعلمين أن سكان أستراليا الأصليين الذين غالباً ما يطلق عليهم الأبوريجينيين الأستراليين لأنهم يُعَدون من البشر البدائيين الذين كانوا "حلقة الوصل بين الإنسان وفصائل القرود" (ترافرز 1968، 135). وتوقع العديد من المراقبين أن "السود في أستراليا" كانوا "عرقا مصيره محتوم منذ سنوات عديدة حتى قبل القضاء عليهم" (هاتون - فينش 1885، 148). واستنتج داروين بذاته أن انقراض الأجناس المتدنية كان جزءًا من عملية التطور التي يجب قبولها كأمر لامفر منه.

يحدث الانقراض بشكل رئيسي من تنافس القبيلة مع القبيلة والعرق مع العرق. ويُجرى الفحص المتنوع بصفة مستمرة للحد من أعداد كل قبيلة همجية مثل المجاعات الدورية، والعادات البدوية وما يترتب على ذلك من وفيات الرضع، والرضاعة لفترات طويلة، والحروب، والحوادث، والمرض، والخيانة، وسرقة النساء، ووأد المواليد، وبالأخص تقليل الخصوبة. إذا زادت قوة أيًّا من هذه الخصائص - حتى ولو بشكل طفيف - فإن القبيلة المتأثرة بذلك تميل إلى قلة العدد؛ وعندما تصبح أحد قبيلتين متجاورتين أقل عددًا وأقل قوة من الآخرى، تسوى المسابقة بسرعة من خلال الحرب والجفاف وأكل

لحوم البشر والعبودية والامتصاص (داروين 1896، 182).

أضاف داروين أنه حتى عندما لا يُقضى على قبيلة ضعيفة بسرعة فإن عددها يبدأ في التناقص، وتستمر في التناقص بشكل عام حتى تنقرض. عندما تتعامل الدول المتحضرة مع البرابرة، يكون الكفاح قصيرًا، إلا في الحالات التي تخدم فيها الظروف العرق الأصلي. بعض من الأسباب التي تؤدي إلى انتصار الدول المتحضرة يكون بسيطا وسهلا، والبعض الآخر يكون معقدا وغامضا.

يمكننا أن نرى كيف أنّ زراعة الأرض بالنسبة لهؤلاء الهمجيين عملية قاتلة من عدة جوانب، ذلك لأنهم لن يستطيعون أو لن يغيروا من عاداتهم (داروين 1896، 182).

التسمانيون كحلقة تطورية

كان يُعتقد في القرن التاسع عشر وعلى نطاق واسع أن التسمانيين كانوا حلقة تطورية حية بين البشر المعاصرين وأسلافهم الرئيسيين. وكانوا أشخاصاً ذوي بشرة داكنة، وكانت تشمل أصولهم العرقية في الغالب - كما ذُكر - زنجية، وأندامانيز، وموراي (بيردزيل 1949). بالنظر إلى الافتراض الشائع للتطور الطبيعي، فإن "الجنس" التسماني كان يُنظر إليه على أنه أقل من البشر، وبالتالي شعر العديد من الأشخاص أنه ليس من الخطأ أو من غير الأخلاق معاملتهم مثل الحيوانات. أثر هذا الموقف في النهاية على السلوك الذي أدى إلى إبادة كاملة للتسمانيين الأصليين. واليوم من المعترف به عالمياً أنهم مجموعة عرقية مميزة شبيهة بالأبوريجينيين الأستراليين، وعلى الرغم من أنهم يمتلكون ثقافة فريدة من نوعها، لكنهم كانوا من البشر تمامًا (مالفاني وغولسون 1971)

تُسمى تسمانيا على اسم الهولندي آبل يانسن تاسمان، قائد سفينتين هولنديتين صغيرتين، الذي اكتشف الجزيرة في عام 1642. وقد زار الجزيرة العديد من الأشخاص الآخرين مثل الفرنسيون في 1772 (كاستيلين 1988 وبلوملي 1983 وغارانغر 1985 وهال 1870). وفي عام 1777. وقد تعامل كابتن كوك مع السكان الأصليين ووصفهم بـ "معتدلين ومبتهجين، دون تحفظ أو غيرة من الغرباء" (بونويك 1870، 6). وقال كذلك إنهم تصرفوا مثل "الحيوانات وانتشروا على طول السواحل والغابات" (ترولوب 1873، 61). وهذا التصور من شأنه أن يحدد طريقة الاتصالات اللاحقة مع التسمانيين الأصليين، والتي يطلق عليهم أحيانًا اسم الأبوريجينيون التسمانيون على غرار الأبوريجينيين الأستراليين.

توصل المستكشفون الآخرون الذين كان لديهم اتصالات مكثفة مع التسمانيين إلى أن التسمانيين كانوا أشخاصًا يتمتعون بالبهجة ومهذبين وودودين ويتميزون بالدقة ومخلصين وأذكياء وذوي مهارة فائقة في الغوص وصيد السمك (بلوملي 1983 وبونويك 1870). ووُصفت النساء المتزوجات على أنهن أمهات ممتازات، ومهتمات، ويتصفن بالحنان واللطف، ويظهرن حنان الأمهات بشكل ملحوظ (ويست 1987). ووصفت النساء الأصغر سنًا بالحنان واللطف وروحهن الرائعة. على الرغم من أن السكان الأصليين يمتلكون "عقلية بدائية"، لكن "بلوملي" نقل عن أحد المستكشفين الذي وصفهم بأنهم: "أذكياء، يمكنهم بسهولة فهم كل حركاتي. بدا لي منذ اللحظة الأولى أنهم فهموا أمري تمامًا، وقد كرروا عدة مرات الكلمات التي لم أتمكن من فهمها في المرة

الأولى، وغالبًا ما كان يغمرهم الضحك عندما كنت أحاول تكرار ما قالوه فأرتكب خطأ أو أنطقها بشكل سئ" (بلوملي 1983، 64).

ونتيجة لاتصاله المستمر مع التسمانيين، ذكر بيرون أن الأشخاص لديهم "ثقة لطيفة" في فريق بيرون كما هو موثق من خلال "كرمهم الذي لم يتوقفوا عن إظهاره تجاهنا" ووضوح سلوكياتهم، وسذاجة مداعبتهم أثارت مشاعر طيبة في داخلنا. الاتحاد الحميم بين مختلف أفراد الأسرة حركنا بقوة. ورأيت بسعادة لا يمكن وصفها تحقق تلك الأوصاف اللامعة للسعادة والبساطة في حالة الطبيعة والتي شعرت بالانجذاب إليها مراراً وتكراراً في قراءاتي (بونويك 1870، 27).

كانوا يرتدون القلائد والحلي الأخرى، وكان لديهم الأكواخ المبنية، والرماح المصنعة، والعصيّ، والملاعق، وأوعية المياه، والوسائد، والسلال، والحبال، وطوافات الزوارق، والعديد من الأشياء الأخرى (بلوملي 1983). وُصفت تضاريس الجزيرة وأوراق الشجر بأنها الجنة، كانت التضاريس متنوعة في المناظر الطبيعية والمناخ. تحتوي منطقتها الصغيرة على كتل ضخمة من الجبال وغابات كبيرة وبحيرات لا حصر لها وشلالات مياه وأودية خصبة وربما أكثر البلدان التي يصعب الوصول إليها في كافة أنحاء أستراليا. المناخ معتدل: صيف حار وشتاء معتدل. تتساقط أمطار متوسطة على السواحل تصل إلى 40 بوصة – الهضبة الوسطى أكثر جفافا – ولكن على بُعد بضعة أميال في الحزام الغربي يكون المطر متواصلًا فعليًا، في بعض الأحيان المتوسط يزيد على 100 بوصة في السنة (لاسيرون 1972، 139).

يتألف التسمانيون الأصليون من الصيادين الذين كانوا يشبهون بيولوجياً السكان

الأصليين الذين يعيشون في البر الأسترالي الرئيسي. وقد وصفهم موريس بأنهم كانوا صغيري الحجم ولكن ذوي أرجل طويلة، ولونهم كان يميل إلى البني الأحمر بدلاً من الأسود، وحواجبهم مثل الخنفساء وفمهم واسع وعريض وأنفهم عريض وعيونهم بنية عميقة. كانت لحى وسوالف الرجال كثيفة الشعر وكانوا يصففون شعرهم في جدائل متعرجة مصبوغة باللونه الأحمر الأوكسيدي. وكانت النساء تقص شعرها قصيرًا وكن أيضًا لديهن شعر كثيف على أجسادهن، وفي سن الشيخوخة غالباً ما كان يكون لديهن شوارب خفيفة. ومن الناحية البدنية، يبدو أن التسمانيين كانوا يفتقرون إلى القدرة على التحمل: لقد كانت حواسهم حادة بشكل غير عادي، ولكنهم لم يكونوا أقوياء للغاية ولا حتى يتميزون بالرشاقة بشكل خاص، على الرغم من أنهم كانوا بارعين في الركض على أربع (1972، 62).

بعد مراجعة الاتصالات الإيجابية المبكرة مع التسمانيين، لاحظ بونويك – للأسف – أن هؤلاء الأشخاص، رغم أنهم في البداية كان يُنظر إليهم بشكل إيجابي من قبل المستعمرين الإنكليز، إلّا أنهم بعد بضع سنوات، أصبح يُنظر إليهم على أنهم مخلوقات تستحق التدمير بجدارة وتدميرهم شئ ضروري. عليك الابتسام مثل بيرو "Pe´ron" ببساطة حيث كان يؤمن بأن إيماننا بالمخلوقات الفقيرة أشبه بتلك الفرنسية الحنونة ، ربما كان القارئ قد نجا... بسجل حافل من "آخر التسمانيين" (بونويك 1870، 27).

كان هذا التغير في الاتجاه نتيجة لعوامل كثيرة تشمل الطمع والاقتصاد والاختلافات الثقافية والاجتماعية واللغوية، بالإضافة إلى عدم الثقة في كلا الجانبين وحدود التاريخ، لكن العامل الذي نركز عليه هنا هو التأثير الحاسم للتطور. رغم أنه من

الصعب في الوقت الحالي تقييم الدور الدقيق الذي لعبته الداروينية في الأحداث التي أعقبت وصول الأوروبيين إلى تسمانيا، لكن من الواضح أن دورها لم يكن صغيراً وساعد في تبرير الفظائع الكثيرة التي حدثت بعد أن تطورت نزاعات تسمانيا وصفها الأوروبيون الآن بأنها "قبيحة"، وبعضها "مثير للاشمئزاز" مع "تعبير الوجه الأكثر بشاعة" (موريس 1972، 62). ثم لخص دايموند النظرة "العلمية" لهم حيث لاحظ أنّ: التسمانيين جذبوا اهتمام العلماء، الذين اعتقدوا أنهم هم الحلقة المفقودة بين البشر والقرود ومن ثمّ فعندما توفي آخر رجل وهو ويليام لانر في عام 1869، اتجه فريق من الأطباء بقيادة د. جورج ستوكيل من الجمعية الملكية لتسمانيا، ود. دبليو. إل. كروثر من الكلية الملكية للجراحين. قاموا بالتناوب بنقل جسم لانر وإعادة دفنه مما أدى إلى قطع أجزاء منه وسرقتها. قطع كروثر الرأس، وقطع ستوكيل اليدين والقدمين وقطع شخص آخر الأذنين والأنف (1988، 9).

وقد عبر دايفيد كولينز - وهو قاضي من القرن التاسع عشر - عن الموقف المشترك بشأن تسمانيا حيث كتب أن التسمانيين كانوا سُذَج (فيشر 1968، 24). ويلخص هذا الاعتقاد عالم التطور الألماني البارز - إرنست هيجل - الذي استنتج أنه "بما أن الأجناس الدنيا - مثل فيجيا، أو الزنوج الأستراليين - أقرب إلى الثدييات - الكلاب والقرود - من الأجناس الأوروبية المتحضرة، فيجب علينا إذن، تحديد قيمة مختلفة تمامًا لحياتهم" (1905، 390). وأوضح مولفاني الوصف الغربي للثقافة التسمانية كالتالي: "كانوا بدائيين جدًا، حتى أن النظريين التطوريين اعتبروهم فيما بعد، مخزن للحقائق الأحفورية. وأطلق إدوارد تايلور على تسمانيا لقب "ممثلين عن رجل العصر الحجري

القديم". وقد نفى جون لوبوك ضمنا إنسانيته بحكمه الميكانيكي: "إن فان دايمنر [التسمانيين] وسكان أميركا الجنوبية هم بالنسبة لجامع المقتنيات الأثرية مثل حيوان الأبوسوم والكسلان بالنسبة للجيولوجي" (1969، 133).

وضح دايموند نتيجة هذا الاعتقاد بشكل جيد عندما قال: إذا طلبت من أي عالم أنثروبولوجي أن يوجز في إحدى العبارات ما هو الأكثر تميزًا حول التسمانيين فإن الإجابة ستكون بالتأكيد: "أكثر البشر – الذين لا يزالون على قيد الحياة في القرون الأخيرة – بدائيةً". من الواضح أن التسمية "البدائية" كانت نغمة عِرقية مُدوية. وفي القرن التاسع عشر أدى تطبيقها إلى عواقب مأساوية (1993، 51).

وقعت المناوشة الكبرى الأولى مع التسمانيين الأصليين في 3 مايو 1804. وكان هذا الحدث بداية سلسلة من الصراعات التي أدت في النهاية إلى هجوم واسع النطاق عليها. وأمر ضابط بريطاني – لأسباب غير واضحة حتى اليوم – رجاله بفتح النار على التسمانيين مما أسفر عن مقتل وجرح ما لا يقل عن 50 ضحية. وكانت النتيجة أن "السلوك الودي للسكان الأصليين تغير تمامًا بعد هذا الهجوم غير المبرر وما ترتب عليه من وفيات. إن العداء والانتقام قد نتج عن هذا العمل الوحشي البربري وكانت النتيجة سلسلة من اللقاءات البسيطة التي هُزم فيها السكان الأصليون باستمرار وفقد كثير منهم حياتهم" (نايتون 1886، 272).

كان الملازم مور – وهو الضابط الذي أعطى الأمر لإطلاق النار – مخموراً من "جرعة زائدة من الخمر"، ويبدو أن عملية إطلاق النار قد وقعت لكي يراهم وهم يفرون. وهربوا وهم خائفون "من الإعدام" الذي ترك فيهم "كراهية عميقة الجذور

للوجوه البيضاء التي لم تزُل بعد ذلك" (نايتون 1887، 272). جاءت بداية الذبح بعد فترة طويلة من بدء الأوروبيين الاستقرار في تسمانيا ولخصها بشكل واضح دايموند قائلا: قام البيض باختطاف أطفال من تسمانيا كعمال، واختطاف النساء كسبايا، وتشويه أو قتل الرجال، والاعتداء على أراضي الصيد الخاصة بهم، وحاولوا طرد التسمانيين من أراضيهم. ونتيجة لعمليات الاختطاف، خُفض عدد السكان الأصليين في شمال شرق تسمانيا في نوفمبر 1830 إلى اثنين وسبعين من الرجال البالغين، وثلاثة من النساء البالغات، ولا يوجد أطفال. وأطلق النار أحد رعاة الغنم على تسعة عشر تسمانياً بمسدس ونصب أربعة رعاة آخرين كمينا لمجموعة من السكان الأصليين وقتلوا فيه ثلاثين ورموا جثثهم على جرف يعرف اليوم باسم فيكتوري هيل (1988، 8).

سمحت محاولات التسمانيين غير الفعالة للدفاع عن أنفسهم للحاكم - السير جورج آرثر - بأن يأمر كافة التسمانيين بمغادرة مناطق الجزيرة التي استقر فيها الأوروبيون (بونويك 1870). ومن الواضح أنهم لم يعجبه التعامل مع الموقف بهذا القرار فقط؛ ففي نوفمبر 1828، أذن آرثر لرجاله بالقتل على مرأي البصر لأي تسمانيًا لا يزال يعيش أو يتجول في المناطق التي أقام فيها الأوروبيون (دايموند 1993، 57). حتى أن الحكومة قامت بدعم "المجموعات المتجولة" المكونة من المدانيين والسجناء الذين قادتهم الشرطة لمطاردة وقتل التسمانيين. بعد ذلك أُعلن عن مكافأة على رؤوس السكان الأصليين: خمسة جنيهات بريطانية لكل شخص بالغ، وجنيهان لكل طفل يُقبض عليهم أحياء -"صيد السود" كما كان يطلق عليه نظرًا للبشرة السوداءالتسمانية -. وأصبح ذلك نشاطًا تجاريًا كبيرًا للمجموعات الخاصة والمتجولة الرسمية. أُعدت لجنة

للتوصية بسياسة شاملة تجاه السكان الأصليين، وبعد دراسة المقترحات الخاصة باعتقالهم للبيع كرقيق أو تسميمهم أو احتجازهم أو اصطيادهم بالكلاب، استقرت اللجنة على استمرار المكافئات واستخدام شرطة الخيالة (دايموند 1988، 8-9).

أحد روايات العنف الذي تطور إليه الصراع الأوروبي - التسماني كانت كما يلي: "كان فريق من شرطة ريتشموند يمر عبر دَغل في عام 1827 عندما رأتهم أحد القبائل وهم يصدعون التل ورشقوهم بالحجارة. أطلق الآخرون النار عليهم في المقابل ثم ضربوهم بالحربة. لدينا تصريح من السيد جورج أوغستس روبنسون لإعلان أنّ: "فرقة من العسكرية وقوات الشرطة وجدوا عددًا من المواطنين بين صخرتين متعامدين على رف صخري، قتلوا سبعين منهم، وجرجروا النساء والأطفال من شقوق الصخور، وهشموا رؤوسهم" (بونويك 1870، 64، والتركيز على الأصل).

وفي تقرير آخر من عام 1830: أصبحت رياضة جديدة شائعة في تسمانيا وانتشرت عبر أستراليا: "صيد السكان الأصليين". وكان أكبر "صيد" في تسمانيا حتى الآن عندما انتشرت مجموعة من الصيادين في أنحاء الجزيرة واستهدفوا السكان الأصليين بفوهات بنادق الصيد، وكانوا ينظرون إلى المستوطنين غير المتعلمين على أنهم من الهوام بهدف إخضاعهم وذبحهم (ميرسر 1999، 448).

كانت الوحشية ضد من رآهم بعض القوقازيين كمنافسين أقل شأنًا، مخيفة للغاية. كان اغتصاب النساء شائعًا، وكثير منهن حملن أطفالاً من المستوطنين الأوائل. ويُزعم أن العديد من المستوطنين "استمتعوا بإخصاء كافة الرجال المحليين الذين تمكنوا من القبض عليهم". وكان ذلك موضوع تفاخر متبادل فيما يتعلق بالأعداد التي تم

إخضائها (نايتون 1886، 274).

يستنتج نايتون أن سجل تسمانيا بأكمله كان "سجلا شاملًا للتعدي والتعذيب والتشويه والقتل والسطو، وقاموا بالتخفيف منه هنا وهناك من خلال الأعمال الخيرية النبيلة والتفضل بالإحسان" (1886، 283). وباختصار كانوا "مطاردين مثل الوحوش البرية" لأن هذا ما اعتقده الكثير من الأوروبيين بأنهم وحوش برية (بونويك 1870، 66). على الأقل قاموا بتجاهل تعاليم الكتاب المقدس بأن كافة الرجال من نسل آدم وحواء. وقد وصف "دياموند" الوحشية الأوروبية على النحو التالي: عندما انتشر المستوطنون البريطانيون في تسمانيا في عشرينيات القرن التاسع عشر، بدأوا بتكثيف الصراع العنصري. ورأوا المستوطنين التساميين أكثر قليلاً من الحيوانات وعاملوهم وفقًا لذلك. إن تكتيكات مطاردة التسمانيين شملت ركوب الخيل لإطلاق النار عليهم، وإعداد الفخاخ الصلبة للقبض عليهم، ووضع الطحين السام حيث قد يجدونه ويأكلونه. لقد قطع رعاة الأغنام القضيب والخصيتين للرجال الأصليين حتى يمكنهم مشاهدة الرجال يركضون بضعة ياردات قبل أن يموتوا (1993، 57).

لم تكن قضية تسمانيا مجرد نزاع بين الثقافات ولكن تأثرت كذلك - من وجهة نظر نايتون (1886، 268)- بمعتقدات "علماء العرق " الذين استنتجوا أن "المحاولات لتحقيق تحضر الأستراليين هي غير مجدية تمامًا - كما اعتقد الكثيرون - لقد كان من الأسهل أن يتدنى البيض للوصول إلى مستوى السكان الأصليين بدلًا من رفع السكان الأصليين إلى مستوى البيض. وقد يجاب عن ذلك بأن الكثير من البيض قد تدنوا بالفعل إلى مستوى السود من خلال جهودهم الذاتية" (1886، 268).

روّج البعض لوضع تسمانيا من خلال الاستنتاج بأن "النضال من أجل الحياة الذي يدور حولنا الآن، [و] كما كان منذ ظهور الإنسان على الأرض" حقيقة من حقائق الطبيعة (نايتون 1886، 269). حاول العديد من المسيحيين ورجال الدين مساعدتهم وبعضهم حقق نجاحًا كبيرًا لكن مساعدتهم كانت متأخرة للغاية (بونويك 1869، 1870).

كانت وزارة الخارجية في لندن تدرك تمامًا أن مجموعة كبيرة من الشعوب الأصلية تعيش في المستعمرات البريطانية. كانوا قلقين أكثر بكثير بشأن حكم إمبراطوريتهم الشاسعة من إثبات نظريات التطور ولذلك أمروا بمعاملة السكان الأصليين بمودة ولطف. وبالتالي سعى العديد من السكان المحليين - عدد كبير منهم من المدانيين - والحكومة البريطانية المحلية، إلى التعامل معهم بشكل عادل وشرعي. ومع ذلك سرعان ما علم الأشخاص أن أفضل لعبة هي اغتصاب وتشويه نساء تسمانيا وقتل وتشويه رجال تسمانيا. فلا توجد رقابة على هذه الممارسة. ولذلك قاموا بقتل الأطفال وإخصاء الرجال واختطاف النساء من قبائلهم "(شيفرد 1990، 3).

وعلى الرغم من أن بعض البيض حاولوا إلقاء اللوم في هذه الصراعات على التسمانيين، فإن العديد من المستوطنين أدينوا بالجريمة ودعمت الأدلة استنتاج أن غالبية العنف غير المبرر جاء من الأوروبيين (بونويك 1870). وكما أشار نايتون فإن العديد من الجرائم ضد السكان الأصليين "لا يمكن إثباتها في المحاكم بسبب عدم وجود شهود حيث كان الشهود الوحيدون هم الرجال البيض الذين ارتكبوا الاعتداءات" (1886، 273).

لم تساعد كلمات عالم الأحياء الذي عارض التطور على وقف المذابح ضد التسمانيين، كما أنها لم تساعد في وقف الإبادة الجماعية لحل لمشكلة "القبيلة الهمجية"

بالكامل. ولاحظ فينش هاتون بعد أن ربط كيف استخدم شخص ما مادة الإستركنين لقتل عدد كبير من السود بشكل عام، "كان عدد قليل من الأشخاص طموحين" بما يكفي للاندماج في هذه المذابح بالجملة، وعندما يكون السود مزعجين تكون العقوبة كافية للخروج واطلاق النار على واحد أو اثنين حيث يقومون بتثبيطهم بسهولة في حالتهم الوحشية هذه، وخاصة من خلال أي شيء لا يمكنهم فهمه" (1885، 149–150).

حتى أن بعض الكنائس الرئيسة رضخت لوجهة النظر القائلة بإن التسمانيين كانوا جنسًا أدنى، لا يحبهم الإنسان ولا الله: "تجاهل رجال الدين في الأيام الأولى للمستعمرة السكان الأصليين تمامًا، معتقدين أنهم حتى الآن دون مستوى الإنسانية، بحيث لا يستحقون التدريس. وفي آواخر عام 1829 – بعد ستة وعشرين عامًا من الاستيطان الأول – كتب هنري ويدوسون أن (الكنيسة) لم تبدِ أية محاولة لتنصير "البؤساء المساكين" – كما قال – وأضاف "لم أسمع أبداً ولا أعتقد، أن أي معلم للإنجيل انتقل ستة أميال من مدينة هوبارت للاستفسار عن أوضاعهم". في الحقيقة، عندما طلب الحاكم آرثر من الجمعية التبشيرية في الكنيسة في عام 1828 إرسال مبشر تم رفض طلبه (ترافرز 1968، 35).

آخر التسمانيين

في عام 1830 – بعد 30 عامًا فقط من استيطان البريطانيين بشكل أساسي في تسمانيا – جمع جورج أغوستوس روبنسون آخر 135 من السكان الأصليين، الذين كانوا حوالى 3000 إلى 5000 شخص تقريبًا، ونقلوا إلى جزيرة فلندرز على بعد 48 كم شمال شرق تسمانيا. (جونز 1971). تقع جزيرة فلندرز – وهي عبارة عن عدد قليل

من الأشجار ولا توجد بها أنهار وتتميز بالرياح الباردة العنيفة والأمطار المتكررة ويغطيها الشجر العشبي والأغصان الكثيفة - مباشرة شمال الزاوية الشمالية الشرقية من تسمانيا(فيشر 1968). وكافح روبنسون من أجل مصالح السكان الأصليين، حتى أنّه تعلم لغتهم، وكان مقتنعاً تمامًا أن اللوم يقع على المستوطنين الأصليين في المستوطنات (بونويك 1870).

صورة لآخر 4 سكان أصليين من أصل تسمانيا، تروجانيني تجلس على اليمين.

على الرغم من أنه قد دُفع له ثلاثمائة جنيه مقدمًا، وكان من المقرر أن يتقاضى سبعمائة جنيه إذا قام بتخليص تسمانيا من السكان الأصليين، فقد أدرك على الأرجح أن هذه كانت الفرصة الوحيدة لإنقاذ ما تبقى من تسمانيا (هورمان 1949). كان "مسيحيًا متحمّسًا، وغير مقتنع بأنّ هؤلاء المتوحشين المزعومين تجاوزوا الخلاص" (ترافرز 1968، 157). وكان نجاحه الهائل في العمل معهم أكبر بكثير من الحكومة، ويرجع ذلك جزئياً إلى أنه "اعتقد أنهم بشر عقلانيون وليسوا متوحشين وأقرب إلى القرود" (ترافرز 1968، 179). ولسوء الحظ أثبت روبنسون أنه ليس جيدًا كمدير، وكانت الظروف المعيشية في الجزيرة سيئة، وكان العديد من السكان الأصليين يشعرون بالحنين الشديد، وتفشى المرض. وسرعان ما توفى الأشخاص تم نقلهم حديثًا بسبب الالتهاب الرئوي المزمن أو الإنفلونزا أو أمراض

الجهاز التنفسي الأخرى، تمامًا مثل كافة الرضع الذين ولدوا في الجزيرة. لقد شعروا بأنهم قد أخذوا هناك ليموتوا، وبعد ثلاثين عامًا في عام 1869، لم يبق سوى ستة من التسمانيين الأحرار فقط، بمن فيهم ويليام لان (أو لاني)، وامرأة "ذات سمات واضحة" تدعى تروجانيني، وامرأة أخرى تسمى "ميني". مات لان من الإسهال الكوليري في سن 34 في 3 مارس، 1869، وتوفيت آخر امرأة في 8 مايو 1876 عن عمر يناهز 73 سنة (تيرنبول 1948). إنّ اهتمام الناس بهؤلاء الأشخاص الثلاثة – حتى في هذه المرحلة – لم تكن إنسانية، ولكن: "لاهتمام العلم بتأمين هيكل عظمي مثالي من الذكور الأصليين التسمانيين. حيث يوجد الآن هيكل عظمي لأنثى في المتحف، لكن لا يوجد ذكر، وبالتالي فإن موت "بيلي لان" وضع الجراحين في حالة تأهب. وكتبت الجمعية الملكية المتلهفة للحصول على الهيكل العظمي للمتحف إلى الحكومة بخصوص الأمر، موضحة بالتفصيل الأسباب التي تدعو إلى تأمين الهيكل العظمي لهم إذا أمكن ذلك. وقد اعترفت الحكومة في الحال بأحقيتها لذلك وتفضيلها على أي مؤسسة أخرى. وأعرب المجلس عن استعداده في أي وقت لتقديم القوالب والصور الفوتوغرافية وكافة التفاصيل الأخرى لأي مجتمع علمي يطلبها. لقد كان هذا الهيكل العظمي بالأهمية التي لا تسمح له أن يبقى في القبر، وبالتالي ربما لم يكن ليوجد أي اعتراض على أخذه، طالما سيأخذه أولئك الذين يحق لهم الاحتفاظ به لصالح العامة والعلوم" (بونويك 1870، 397–398).

وكانت هناك مؤسسات علمية أخرى إلى جانب الجمعية الملكية مصممة على إضافة الهيكل العظمي لبيلي إلى مجموعتها. دخل أحد السارقين إلى المستشفى في ليلة

الجمعة و"قُطعت الرأس وأُخذت الجمجمة بعيدًا" ولإخفاء الجريمة: وُضعت جمجمة مريض تُوفي في المستشفى داخل جلد رأس المواطن الأصلي البائس، ورُسم وجهه حتى يكون له مظهر مكتمل. كان أعضاء مجلس الجمعية الملكية منزعجين بشكل كبير بسبب هذه التشويه الذي اكتُشِف، وشعورا وبثقة من أنّ هدف الحزب الذي أخذ الجمجمة كان بعد ذلك أن يأخذ الجسم من القبر، وهكذا يمتلك الهيكل العظمي بالكامل، لذلك تقرر فصل القدمين واليدين وتقديمهم في المتحف (بونويك 1870، 397-398).

كان الطلب على العظام وأجزاء الجسم الأخرى في المقام الأول نتيجة لأهمية تسمانيا في توثيق وبحث التطور. أدرج متحف الكلية الملكية للجراحين جماجمها من السكان الأصليين باعتبارها "الأكثر بدائية بين كافة أشكال البشر الموجودة" (مونغان 1991، 30). ولاحظ دايموند قبل وفاة آخر امرأة من أصل تسماني - تورجانيني - أنها كانت تخشى من التمثيل بجثتها كما حدث، فطلبت عبثًا أن تدفن في البحر. وحدث ما كانت تخشاه، فقد قامت الجمعية الملكية بالحفر واستخراج هيكلها العظمي وعرضته على الجمهور في متحف تسمانيا، حيث بقيت هناك حتى عام 1947. وفي ذلك العام استسلم المتحف أخيراً للشكاوى ونقل الهيكل العظمي لتروجانيني إلى غرفة حيث كان بإمكان العلماء فقط مشاهدته. وأخيرًا في عام 1976 - بعد مائة عام على وفاة تروجانيني - حُرق هيكلها العظمي بسبب اعتراضات المتحف، وأصبح رمادها مبعثرًا في البحر كما طلبت (1988، 9).

كانت مشكلة انتهاك حرمة القبور منتشرة جدًا في مجال العلم لدرجة أن بعض أعظم الأسماء في العلوم البريطانية كانت تشارك في تجارة خطف الأجساد بنسب كبيرة.

ما بين 5000 و10000 من السكان الأصليين قد نبشت قبورهم وتم تدمير جثثهم وقطع أجزاء منها. وشارك في هذا كل من جورج روليسون من متحف تشريح جامعة أوكسفورد، والسير ريتشارد أوين والسير آرثر كيث من الكلية الملكية للجراحين. تشارلز داروين كذلك كان متورطًا من خلال الرسائل المكتوبة في 1870 وما بعدها ووجدت في أرشيف هوبارت في منتصف 1970 وما بعدها (موناغان 1991، 33).

نجا عدد قليل من التسمانيين المختلطين وكانت فاني كوشرين سميث آخر تسمانية أصلية. كانت سيدة من السكان الأصليين وكانت تعمل بجد وتعيش فى نيتشولز ريفوليت أخذتها عائلة من البيض، وقُبلت بسهولة في المجتمع الأبيض. وتزوجت من وليام سميث في 2 أكتوبر 1854 في الكنيسة المستقلة في هوبارت. كان لديهم أحد عشر طفلاً. استمرت فاني في الضغط على إدعائها بأنها هي - وليست تروجيني - كانت آخر تسمانية أصلية. وأقنعت أخيراً البرلمان وكانت النتيجة أن قراراً قد صدر في عام 1884 يمنحها أرضاً تبلغ مساحتها مائتي فدان بالإضافة إلى الأرض التي كانت لديها بالفعل في ميناء سايجنيت. وتنتمي فاني ووليام إلى الكنيسة الميثودية (المنهاجية). كان لدى فاني صوت غنائي جميل، وسجلت بعض الأغاني قبل عامين من وفاتها في 25 فبراير 1905 وهي في عمر أربعة وسبعين عامًا. كانت تستلم دفعة سنوية من الحكومة قدرها 50 جنيهاً سنوياً، وبعد وفاتها نقلت ممتلكاتها إلى الكنيسة الميثودية. ولا يزال أحفادها يعيشون في المنطقة ذاتها (ويست 1987، 91).

خلص ترافرز إلى أن آخر تسماني أصلي توفي في عام 1888. على الرغم من أنه لا يُعرف إلا القليل عن آخر الناجين بعد تروجاني، لكن هناك أدلة على أن ثلاث نساء

على الأقل قد اختطفن على يد البحارة، وأنهنّ كنّ قد تقدمن بطلبات فيما يتعلق بتراثهن (موليسون وإيفريت 1978 وبونويك 1869).

هل كان التسمانيون عرق متدني؟

الدافع للذبح على اساس العرق والمعتقدات التطورية غير قابل للجدل. بحلول منتصف القرن التاسع عشر كان الاهتمام العلمي بعظام السكان الأصليين الأستراليين يكتسب شعبية حيث سعى الباحثون في نظريات التطور الأوائل للحصول على دليل. وقد زاد الاهتمام بشدة بعد أن نشر تشارلز داروين كتابه "أصل الأنواع في عام 1859" (موناغان 1991، 34). وكان السبب في ذلك، في كتابه عن التطور البشري "أصل الإنسان"، استخدم داروين الأستراليين كدليل حاسم على نظرياته: "في بعض الفترات المستقبليّة، ليس بعيدة بالقدر الذي يُقاس بالقرون، فإنّ سلالات الإنسان المتحضّرة بالتأكيد ستقوم بإبادة واستبدال الأجناس الهمجية من كل العالم." كان يتوقع داروين أنه في غضون 20 عامًا سيتحقق ذلك في تسمانيا. كتب داروين بنفسه إلى أحد المتاحف التابعة له، طالباً جماجم تسمانيا الأصلية إذا لم يضايق ذلك المواطنين الأصليين. كان ما تبقى أربعة فقط من السكان الأصليين التسامنيين. كانت نظريات داروين قد وضعت السكان الأصليين كصلة تطورية محتملة بين الإنسان والقرد. وطالب أمناء المتاحف من كافة أنحاء العالم بالحصول على الجماجم. وكانت مجموعة كاملة من جماجم العرق كانت ضرورية لأية دراسة. وكانت جماجم السكان الأصليين الأستراليين – ولا سيما التسمانيين النادرين – مطلوبة بشكل كبير على نحو متزايد (مونغان 1991، 34).

وبكلمات داروين، فإن "الأجناس البشرية المختلفة" تتصرف مع بعضها البعض

بالطريقة ذاتها التي تتصرف بها الأنواع المختلفة من الحيوانات - حيث يبيد الأقوى دائماً الأضعف -" (داروين 1965، 230). إنّ الاهتمام بفهم مساهمة محرقة تسمانيا في التطور إنما هو لأنّ الذبح بدأ قبل أن ينشر داروين عمله الكلاسيكي في عام 1859. كما قال ألتيك: "إنّ معظم مكونات ما وضعه داروين بشكل رسمي كنظرية التطور كانت في موجودة في دوائر مطلعة عليها لفترة طويلة قبل ظهور أصل الأنواع " (1978، 287). وحينما نشر داروين كتابه قبل العديد من العلماء انتشرت أفكاره الأساسية بالفعل. وقدم داروين بكل بساطة ما كان آنذاك من أفضل الحالات توثيقًا والأكثر إقناعاً لفكرة مقبولة بالفعل على نطاق واسع من قبل العديد من النخبة المثقفة.

ادّعى كثيرون أن التسمانيين كانوا جنسًا "بدائيًا"، وحُكم عليهم بذلك لمشابهتهم السكان الأصليين الأستراليين في الصفات الجسدية (ثورن 1971). ومما دعم هذا الاستنتاج هو ملاحظة أن العديد من ممارساتهم الثقافية مثل مراسم الدفن كانت متشابهة (هيات 1969). وفي دراسة أجريت في أستراليا ما قبل التاريخ استنتج مالفاني (1969) أن الانتماءات العرقية التسمانية لا تزال متخيلة.

إنّ التسمانيين لم يكونوا "عرقًا أدنى" وكان ذلك واضحًا من ملاحظات العديد من الباحثين المؤهلين. رداً على سؤال "هل كان السود في تسمانيا مؤهلين لحضارة حقيقية؟" أجاب بونويك "نعم، بلا شك"، وقدم مثالا على ذلك والتر جورج آرثر - وهو من السكان الأصليين التسمانيين الذين عرفهم شخصيا -. أُخذ آرثر عندما كان مجرد طفل رضيع، ونما وترعرع وتلقى تعليمه في مدرسة الملكة للأيتام (في مدينة هوبارت). كانت أفكاره إنكليزية تمامًا، ولم يكن لديه أي قدر من الهمجية في داخله.

لقد كان رجلاً محبوبًا للغاية ومغرما بالقراءة ويتحدث ويكتب الإنكليزية بطريقة فصيحة تمامًا. وكانت كتابته صحيحة كذلك. كان هذا الرجل يمتلك مائة فدانا من الأرض، وكان يعرف حقوقه فيما يتعلق بها تماماً كما تفعل أنت. [وهو كان كذلك] جدير بالاحترام لفطنته وإحساسه بالصواب ومشاعره النبيلة. (بونويك 1870، 353).

وفي آواخر عام 1926، كان العديد من العلماء المحترمين لا يزالون يدرسون أن الأستراليين الأصليين "ترجع أصولهم إلى الإنسان البدائي وأن "السكان السابقين في تسمانيا [كانوا] عرقًا ربما يكون أكثر بدائية من الأستراليين" (وايلدر 1926، 341-342). وقد زعم هاجيس أنه "بحلول سبعينيات القرن التاسع عشر، كان لدى تسمانيا من الفقراء والمثليين والأيتام والمعاقين أكثر من جنوب أستراليا وكوينزلاند مجتمعة وتركز في عدد سكان أقل من نصف سكانها" (1987، 593). كان هذا صحيحًا إلى حد ما، لأن عددًا كبيرًا من المدانين السابقين عاشوا هناك ولكن، وفقًا لهاجيس كان السكان غير المدانين يحصلون على اسوأ الوظائف وأقل رأس مال وأقل تعليم وكانوا أكثر عرضة للقتال ، وكانوا أكثر عرضة للاتهام والادانة بالجرائم.

ووفقًا للأبحاث التاريخية، هناك أدلة قليلة على الانحرافات السلوكية المزعومة الشائعة وغيرها من الأدلة المزعومة على "البدائية" البيولوجية للسكان الأصليين والتسمانيين بشكل عام (بيرنهام 1980 وتوماس 1981 ومالفاني 1969 ولوكوود 1963 وتوماس 1959 وتيرنبول 1962 وهيلي 1978 وهايدون 1980) وبالتالي، من الصعب الاستنتاج من الأدلة على أن العرق "المتفوق" للأفراد احتلوا مجموعة "الأدنى".

وبالإضافة إلى ذلك، فإن النظام الاجتماعي والسكان غير المدانين لم يفعلوا شيئًا

يـذكر للمسـاعدة في هـذه الأمـور: "قـدمت أسـتراليا لهـم الكثـير مـن الإجحافـات الاجتماعيـة ذاتهـا التـي دفعتهـم [السـكان المـدانين] إلى الجريمـة في بريطانيـا"، و"مجموعـة المستعمرين الصغيرة التي عاشت على الجزء الأكبر من الأرض، والتي نهبت واستولت على الأراضي، والنقدية وكـانوا أيضًـا مهوسـهين بالـذهب فنهبـوه " أدى هـذا كلـه إلى تفاقم الأمور (هاجيس 1987، 588). كانت الظروف شديدة إلى حد أن هاجيس عبر عن دهشته "مع مثل هذه الأخلاق الاجتماعية لم يكن معدل الجريمة مرتفع". كان مستوى الجريمة بين المدانين منخفضًا نسبياً مقارنة بالمعدل الموجود بين الأشخاص في متوسط المدن الأمريكية الكبيرة اليوم.

ويقـدر هيـوز (1987) أنـه في منتصـف أربعينيـات القـرن التاسـع عشـر، كـان عـدد المدانين الجنائيين في أستراليا قليلًا – حيث يقدر بحوالي 6 بالمائة – وكانت جرائم ارتكبها السـكان الأصـليين. ويسـتنتج أن جـزءًا مـن السـبب هـو أن السـكان الأصـليين كـانوا "عمال لدى العائلات ولهم مصلحة في مجتمعهم". ويعتقد بيتس (1973، 64) أنه في اللحظة التي دخل فيها الأوروبيون حياتهم "كل المحرمات الاجتماعية والجنسية المحلية كُسرت" مما أدى إلى ضرر كبير للسكان الأصليين. كما أنهم كانوا يمتلكون نظامًا اجتماعيًـا دمـره الأوروبيـون (بـراون 1988، ومـاكجرو 1987، وجيـودي وهـارمون 1983). وكـان لتشـجيع السـلطات على العنـف ضـد التسـمانيين جزء كبير من المشـكلة : "لقـد أُطلق النار عليهم في الغابة، وقاموا بمطاردتهم كما تطارد الوحوش الفريسة، ولوثت سمعة نسائهن، وقطعت أعناقهن أو أطلق عليهم النار من قِبل السكان البريطانيين – الذين دعوا أنفسهم بالمتحضرين – ولم تسجل الحكومة في حالة واحدة فقط ولا في مناسبة

واحدة أنها عاقبت أو هددت بمعاقبة جرائم القتل الثابتة ضد السكان الأصليين (هوبارت تاون تايمز إبريل 1836. اقتبس في بونويك 1870، 70).

حلت إبادة التسمانيين المشكلة الأصلية عن طريق الحل النهائي النازي. الطريقة نفسها لم تنجح جزئيًا مع سكان أستراليا الأصليين في البر الرئيس جزئياً لأنهم كانوا أكثر عددًا بكثير من أن يُبادوا بالطريقة ذاتها مثل التسمانيين على الرغم من أن المستوطنين الجدد اقتربوا من تحقيق ذلك. ادعى دايموند أنه بعد وصول المستعمرين البريطانيين في عام 1788 انخفض عدد السكان الأصليين الأستراليين من 300,000 إلى 60,000 نسمة بحلول عام 1921. وكان السكان الأصليون الأستراليون مختلفين بعض الشيء عن الشعوب الأصلية الأخرى في هذا الجزء من العالم مثل البولينيزيين (جراتان 1942، 40)، ونتيجة لذلك فقد قاموا "بذبحهم بوحشية في بعض الأحيان مثلما يذبح الشخص الهوام "، كما حدث في العلوم؛ "فقد ذبحوا من أجل تجارة أجزاء الجسم" لتوفير العظام لإثبات التطور للعامة (موناغام 1991، 33).

كشف أحد الداروينيين الأوائل عن الموقف من الإبادة الجماعية التي خلص إليها الهيكل العقائدي للداروينيين: "وحده الزنجي من الأجناس السوداء الذي يبدو أنه قادر على الكفاح العظيم من أجل البقاء عندما يدخل في منافسة مع الرجل الأبيض. قد نأسف من الحقيقة، لكن لا يمكننا تغيير قوانين الطبيعة" (نايتون 1886، 285). كان من المتوقع أن تُمحى الأجناس الدنيا في الصراع الكبير من أجل البقاء الذي اعتقد الداروينيون أنه خلق الحياة كلها. ومثل الحيوانات البرية، كان السكان الأصليين في طريق المستوطنين الجدد، ولأنهم تداخلوا مع السكان الجدد كان من الضروري عدم إظهار أي

رحمة بهم، ولكن كان يجب إزالتهم لصالح العرق الأصلح.

لقد عبر المؤرخ البريطاني أنطوني ترولوب عن الموقف السائد في القرن التاسع عشر تجاه السود الأستراليين: "إنه من المقدر محوهم وقد قاموا بإخفائهم بالفعل" (1873، 75). وكجنس أدنى، "لا يمكن للزنجي أن يعيش على قدم المساواة مع الرجل الأبيض" (69). وقد اعتُبر السكان الأصليين الاستراليين "أدنى بكثير" من "الزنوج الأفريقيين" (69). عندما قُتلوا على يد البيض، لم تُبلغ الشرطة بالقتل لأنه "فقط الأحمق هو من سيتكلم عن ذلك" (ترولوب 1973، 73) هم بالضبط مثل "النمر أو الثعبان" الذي عليه "أن يموت"، ولكن "يجب أن يموت دون معاناة لا داعي لها" (ترولوب 1873، 76): "إذا سألت ما هو نوع العرق الأسود في أستراليا، فسيجيب تسعة أشخاص من أصل عشرة على الفور أنهم جسديا وفكريا أكثر السلالات انحدارا في العالم. ولقياس خصائصهم الجسدية والفكرية يمكننا فقط عن طريق مقارنة [الأجناس] مع بعضها البعض. وعند مقارنتهم مع تلك الدول في العالم القديم، فإنّ الأسود الأسترالي هو، بطبيعة الحال، عينة رديئة للغاية من الجنس البشري (هاتون فينش 1885، 137).

استخدم داروين بذاته السكان الأصليين ومحرقة تسمانيا بوصفهما دليلًا رئيسًا على نظريته في الانتقاء الطبيعي (موناجان 1991؛ داروين 1896، 182). وتوضح كلماته حول زوالهم مثالًا على عنوان كتابه عام 1859، "أصل الأنواع بواسطة وسائل الانتقاء الطبيعي" أو "تحضير الأجناس المفضلة في الكفاح من أجل الحياة": عندما استُعمرت تسمانيا لأول مرة، احتُسب عدد السكان الأصليين بنحو 7000 نسمة، بينما في أماكن أخرى وصلوا إلى 20000 نسمة. وسرعان ما انخفض العدد إلى حد

كبير، وذلك أساسًا نتيجة للقتال مع الإنجليز ومع بعضهم البعض. وبعد اصطيادهم من قبل كافة المستعمرين وعندما سلم السكان الأصليون الباقون أنفسهم إلى الحكومة، كانوا يتألفون فقط من 120 فردًا، الذين نُقلوا في 1832 إلى جزيرة فلندرز (داروين 1897، 183-184).

وبعد أن أُجبروا على مغادرة وطنهم ونقلهم إلى جزيرة فليندر، لاحظ داروين أنهم لا يستطيعون التنافس مع الأجناس الأكثر تقدمًا: "وما زال المرض والوفاة يطاردونهم، وفي عام 1864، نجا رجل واحد (توفي عام 1869)، وثلاث نساء مسنات فقط. وفيما يتعلق بالسبب الاستثنائي وراء حدوث هذه الأشياء، فإن موتهم جاء بعد محاولات لتَحَضُّر السكان الأصليين. "إذا تُركوا لأنفسهم للتجول كما كانوا معتادين ولا يضايقهم شيء لكانوا قد قاموا بانجاب المزيد من الأطفال، ولكان هناك عدد أقل من الوفيات". وقال أحد مراقبي السكان الأصليين وهو السيد ديفيس، "كانت الولادات قليلة والوفيات عديدة "(1896، 184)

ولا شك أن كلمات داروين وأتباعه شجعت على إبعاد السكان الأصليين الأستراليين بعد عام 1859 وذبحهم بالجملة، و"نبش عظامهم من قبورهم المقدسة". "فما حدث لهم لم يكن مجرد قتل جماعي وإبادة جماعية، ولكن وفقًا لما قاله الدكتور بروكا: ارتكب الإنجليز "فظائع أفظع من أن تغتفر، أفظع مئات المرات من تلك الجرائم الغير مسبوقة التي ارتكبها الإسبان الذين تسببوا في القرن السادس عشر في مذبحة جزر الأنتيل" (اقتبس في بونويك 1870، 66).

وامتدت المذبحة إلى الحد الذي أصبحت فيه فكرة "الدونية العرقية" "صناعة جديدة

تصدرها" أستراليا (جرير 1994، 32). كان الدافع هو إثبات أن "السكان الأصليين كانوا "الحلقة المفقودة" بين رجال العصر الحجري والجنس الأبيض المتطور بالكامل" (جرير 1994، 32). على حد تعبير شيفرد: "وبطريقة ساخرة، كان التسمانيون أكثر إثارة للاهتمام وهم أموات من وهم على قيد الحياة. وضعت نظرية داروين هذا المجتمع في مكانة منخفضة للغاية على مقياس التطور لدرجة أن أسلوب حياتهم وجثثهم أصبحت مثيرة للعلماء. نُبشت قبورهم حتى يتمكن الأطباء وعلماء الأنثروبولوجيا من دراسة تشريحها؛ وعذرهم كان العلم. وكان اكتشاف بقايا رجل الإنسان البدائي موازياً لاكتشاف المجتمعات التسمانية التي تتساوى معه في البدائية تقريباً. كان لدى الكلية الملكية للجراحين في لندن أكبر مجموعة من الهياكل العظمية التسمانية، وحدث الظلم النهائي عندما دُمرت هذه المجموعة بواسطة قنابل ألمانية خلال الحرب العالمية الثانية (1990، 4).

واستُخدم التسمانيون بشكل عام كحلقات لإثبات التطور البشري. على سبيل المثال حاول هيجل إثبات أن "الفجوة بين البشر وأقاربهم من الحيوانات الأقربين يمكن سدها من خلال تدرجات غير محسوسة" (فيكارت 2004، 106). تتألف مقدمة الطبعة الأولى من أعمال هيجل الشهيرة، "التاريخ الطبيعي للخلق" (1868)، من مجموعة تتكون من 12 مظهرًا شخصيًا للوجه، تبدأ بالأوروبية وتهبط إلى شرق آسيوية، ثم الفويجية، ثم الأسترالية، ثم الأسود الأفريقي، وفي الأخير تسمانيا. "أدنى إنسان"، والذي كان مشابهًا للغاية للغوريلا في الملف الشخصي السابع.

وبعد الغوريلا جاءت خمسة أنواع أخرى من الجنس القردي/السيميان. أثبتت "الخطوات" الست بين الأجناس البشرية "الأعلى" و"الأدنى" و"خطوة" واحدة فقط بين

الجنس البشري "الأدنى" والغوريلا، والتي أثبتت وجهة نظر هيجيل حول مدى قرب أدنى البشر وصولًا للقرود. ولضمان عدم إغفال أي شخص لهذه النقطة، أشار هيجيل في تعقيبه إلى أن الرسوم التوضيحية التي قدمها أظهرت بوضوح أن "الاختلافات بين أدنى البشر وأعلى القرود هي أصغر من الاختلافات بين الأقل والأدنى بين البشر" (مقتبسة من فيكارت 2004، 106). ويضيف فيكارت أن القرب من الأجناس "الدنيا" أو "الأدنى" إلى السيميان هو موضوع متكرر في كتابات هيجل. وأشار إلى أن السكان الأصليين الأستراليين وبوشمن من جنوب أفريقيا على غرار القردة (افينالينش) ووصف كذلك بعض الأجناس في أفريقيا وآسيا بأنه لا يوجد لديه مفهوم الزواج أو الأسرة مثل القردة، ويعيشون في قطعان ويتسلقون الأشجار ويأكلون الفاكهة. وهذه الأعراق ليست قادرة على تعلم الثقافة الأوروبية، لأنه "من المستحيل أن نزرع التربية البشرية (بيلدونج)، حيث الأرضية الضرورية لذلك هي تطور المخ البشري وهذه ليست موجودة. لقد بالكاد ارتفعوا قليلاً فوق تلك المرحلة الدنيا من الانتقال من القردة إلى الرجل القرد" (2004، 106).

الاستنتاجات

إن الإبادة الجماعية في تسمانيا هي مثال جيد على تأثير الداروينية حتى قبل أن ينشر داروين كتابه الأول الذي يعتنق التطور في 1859. وأدت المعتقدات التطورية دورًا واضحًا في سلسلة التأثيرات الاجتماعية والثقافية والدينية وغيرها، إن لم يكن كبيرًا في وفاة السكان التسمانيين المحليين (ويلاند 1995). علّم داروين أن الأجناس "الأدنى" ستنقرض، وقد أثرت هذه التعاليم على العديد من العلماء والقادة السياسيين المهمين (بيرجمان 1992).

تأثر العديد من المسيحيين في هذه الفترة الزمنية بشكل كبير بأفكار العرق الأدنى، وحاول البعض حتى محاولة استخدام الحجج الكتابية لتبرير معتقداتهم الدونية العنصرية، مثل استنتاج أن بعض الأجناس كانت ليست آدمية، فهى خلقت قبل آدم وهكذا لم يكونوا بشرًا. مثال آخر هو استنتاج أن بعض الأعراق كانت "وحوش الأرض" أو أن البشرة السوداء كانت علامة على اللعنة التي وضعها الله على لحم الخنزير وكافة أصحابه المذكورين في سفر التكوين (14:3 ،21:7 و17:8) (باسويل 1964).

والدور السلبي الذي تؤديه نظرية داروين في التاريخ واضحًا، والمعاناة التي تسببها الداروينية كانت ولا تزال هائلة (تشالك وجوناسون 1990). فإذا كان البريطانيون يؤمنون ويتصرفون بشكل ثابت على الاعتقاد بأن كافة البشر هم أبناء آدم وأنهم جميعًا أخوة وأخوات كما علمهم جينيسيس، فمن المحتمل عدم حدوث محرقة تسمانيا وكذلك عدم حدوث "سلسلة طويلة من القسوة والمِحن" التي حلت بهؤلاء الأشخاص (بونويك 1870، 56). وكما أشار دايموند قائلًا: "ونظرًا لأن التسمانيين كانوا قليلي العدد، فقد أثرت ابادتهم بشكل كبير للغاية في التاريخ الأسترالي لأن تسمانيا كانت أول مستعمرة أسترالية تُحل مشكلة سكانها الأصليين بواسطة التخلص منهم جمعًا" (1988، 9).

المراجع

ريتشارد ألتيك،1978عروض لندن. كامبريدج، ماساشوستس: مطبعة جامعة هارفارد.

ديزي بيتس، 1973 مرور السكان الأصليين: أي قضاء عمر بين سكان أستراليا. نيويورك: كتب الجيب.

جيري بيرجمان 1992" علم تحسين النسل وتطوير سياسة العرق النازي - وجهات نظر حول العلم والعقيدة المسيحية – يوليو 44(2) 109-123.

جوزيف بيردزيل 1949" أصل العنصري لتسمانيا المنقرضة – سجلاتمتحف الملكة فيكتوريا223:2-231.

جيمس بونويك 1869 آخر التسمانيين – لندن سامسون لو – سن و مارستون.

1870 الحياة اليومية وأصل التسمانيين أو الحرب السوداء لفان ديمن – لندن – سانسون لو – سن و مارستون.

دوروثي براون1988استعراض "كبرياء ضد التحيز - ذكريات تسمانياالسكان الأصليين، من قبل إيدا الغربية. ''مجلة الجمعية البولينيزية 97 (2): 225—226.

جون سي بورنهام 1980" أوهام ذهانية كمفتاح للثقافات التاريخية تسمانيا 1830-1940 مجلة التاريخ الاجتماعي، الربيع 13(3) 368-383.

باسويل جيمس او 1964" العبودية والعزل والكتاب المقدس" جراند رابيدز ايردمانز.

آناماريكاستيلين1988" البحث عن قارة استراليا.بعثة بيودين 1801-1804 مواصفاتعلمالاجتماعالاقتصاديوالثقافي،علمالاثنولوجيايونيو 9:9-36.

فرانك تشاك، وكورت جوناسون1990. تاريخ وعلم الاجتماع من الإبادة

الجماعية. نيو هافن: مطبعة جامعة ييل.

تشارلز داروين، 1896هبوطالبشر، والاختيار فيما يتعلق بالجنس. نيويورك: د ابليتون.

1897أصل الأنواع عن طريق الانتقاء الطبيعي أو الحفاظ على الأفضلية.

الأجناس في الكفاح من أجل الحياة. نيويورك:دي ابليتون وشركاه.

1965 رحلة عبر الجبال الزرقاء إلى باثورست في يناير 1836." أربعة عشر رحلة فوق الجبال الزرقاء في نيو ساوث ويلز 1813-1884. إد. بواسطة جورج ماكانيس. لندن هارويتس جراهيم.

جاريد دياموند،،1988" .في البيض والسود؛ كيف يكون الأشخاص العاديون، في كثير من الأحيان من خلال التاريخ البشري، وتسببوا لأنفسهم في ارتكاب جريمة الإبادة الجماعية ؟ "التاريخ الطبيعي، أكتوبر، 97 (10): 8-14.

1993 عشرة آلاف سنة من العزلة"، اكتشف، مارس، 14 (3): 49—57.

جون فيشر، 1968. الأستراليون: من 1788 إلى العصر الحديث. نيويورك: شركة تابلينجرللنشر.

جرانجر ج 1985" بعثة بيودين والاصول التسمانية 1802 – بواسطة ن ج ب بلوملي" عالم الانثروبولوجي < 89)3(434-435.

جيودي أ وآر اس هارمون 1983- راديوماتريك التي يرجع تاريخها من سبيليوثيمزتسمانيا - أدلة على تطور الكهف وتغير المناخ. مجلة الجمعية الجيولوجية الاسترالية 30)1-2(89-100.

هارتليجراتان=،1942التعريف بأستراليا. نيويورك: شركة جون داي.

علي جريبر،1994 السود ونظرية العلون عنتفوق البيض صحيفةديلي تليغرافميرور (سيدني – استراليا) 26 إبريل ص 32.

إرنست هيجل،1868 .Naturliche Schopfungsgeschichte .برلين: جورج ريمر.

1905 عجائب الحياة. نيويورك: هاربر.

هارولد هاتون فينش، 1885 تقدم أستراليا! حساب من ثماني سنوات العمل، التساؤل والتسلية في كوينزلاند ونيو ساوث ويلز وفيكتوريا. لندن: دبليو اتش. ألين وشركاه.

توم هايدون،. 1980آخر تسمانيا - أيهأفلام ماجروهيلالجزء الأول الأسلاف – الجزء الثاني الانقراض.

جيه جيه هيلي1978المؤلفات والسكان الأصليين في أستراليا 1770–1975. نيويورك: مطبعة سانت مارتن.

بيتي هيات،1969"حرق الجثث في أستراليا الأصلية." البشرية، ديسمبر، 7 (2): 104—119.

بي ال هورمان،1949الانقراض والبقاء: دراسة رد فعل السكان الأصليين على التوسع الأوروبي. شهادة د. اة أطروحة. شيكاغو، :ILجامعة شيكاغو.

روبرت هيوز، 1987الشاطئ الممبت ملحمة تأسيس أستراليا1987نيويورك: الفريد أ. كنوبف.

هيو م هول،1870محاضرة عن السكان الأصليين في تسمانيا. هوبارت، تسمانيا:مطبعة ميركوري ستيم

ريس جونز، 1971. "الديموغرافيا للصيادين والمزارعين في تسمانيا". الفصل 19،

ص. 271—287 فيمالفاني وجونسون 1971

ديزموند كينغ هيل 1963 .ايراسموس داروين. جد تشارلز داروين. نيويورك: أبناء تشارلز سكريبنر.

وليام نايتون، 1886. كفاح من أجل الحياة. لندن: وليامز ونورجيت.

تشارلز فرانسيس ليزرون،. 1972 (ج.ن جيننجز – المحرر)وجه استراليا. تشكيل قارة. سيدني، أستراليا: أنجوس وروبرتسون.

دوغلاس لوكوود،،1963. نحن، السكان الأصليين .ويستبورت سي تي مطبعة جرين وود

ماكجرو دبليو سي 1987 أدوات للحصول على الطعام. مقارنة بين السكان الأصليين في تسمانيا وتانزاونيان الشمبانزي ". مجلة أبحاث الأنثروبولوجيا 43(3) 247–258.

ديريك ميرسر، 1999. الألفية سنة بعد سنة. نيويورك: دورلينج كيندرسلي. "الأوروبيون يقتلون السكان الأصليين في تسمانيا."

ميليسون ب و سي اي موليفيريت 1978 السكان الأصليين تسمانيا وذريتهم. هوبارت: جامعة تسمانيا.

ديفيدموناجان،1991" جسد الخاطفين. النشرة (سيدني، أستراليا)، 12 نوفمبر 113 (5795): 33–38.

جيمس موريس، 1972"الحل النهائي، أسفل،" في هورايزون شتاء 1972، 9 (1): 61 – 70. نيويورك: التراث الأمريكي.

دي جي مولفادي 1969الشعوب القديمة والأماكن. ما قبل التاريخ من استراليا. المجلد. 65 في السلسلة، دانيال، جلين، محرر. لندن: التايمز وهدسون.

دي جيه مولفاني وجي حولسزنمحررين1971رجال السكان الأصليين والبيئة في أستراليا. كانبيرا: الصحافة الوطنية الأسترالية.

هنري أوزبورنفيرفيلد. 1929. من اليونانيين إلى داروين. تطور فكرة التطور خلال أربعة وعشرون قرنا. نيويورك: أبناء تشارلز سكريبنر.

إن. جيه بلوملي،1983بعثة بيودين والسكان الأصليين تسمانيا، 1802. هوبارت تسمانيا مطبعة بلابر هيد.

محرر1991و جورجون جورجنسن السكان الأصليين في أرض فان ديمان خليج ساندي،تسمانيا مطبعة بلابر هيد.

آن شيفرد،1990آخر تسمانيا. دليل المعلمون لأفلام ماكجرو هيل،ديل مار، كاليفورنيا.

إليزابيث مارشال توماس،. 1959. الأشخاص بلا ضرر. نيويورك: الفريد أ. كنوبف.

نيكولاس توماس، 1981"النظرية الاجتماعية والإيكولوجيا ونظرية المعرفة. قضايا نظرية في عصور ما قبل التاريخ - ترالیان ". البشرية، ديسمبر، 13 (2): 165-177.

أيه جي ثورن 1971 "الانتماءات العرقية وأصول السكان الأصليين الأستراليين." الفصل 21 ص 316-325 في مولفاني وجولسون 1971

ترافرز، روبرت. 1968التسمانيون — قصة العرق المنكوبة.سيدني: كاسيل استراليا.

أنتوني ترولوب، 1873أستراليا ونيوزيلندا. لندن: تشابمان آند هول. الفصل 4: "السكان الأصليين"، ص. 59-76.

كولين م تيرنبول 1962" أهل الغابة" نيويورك:شركة سايمون وشوستر.

كلايف تيرنبول، 1948. الحرب السوداء: إبادة السكان الأصليين في تسمانيا.

ملبورن: إف دبليو شيشاير.

يتشاردويكارت، 2004. من داروين إلى هتلر: الأخلاقيات التطورية، علم تحسين النسل، والعنصرية في ألمانيا. نيويورك: بالجريف ماكميلان.

إيدا ويست . 1987الكبرياء مقابل التحيز كانبيرا، أستراليا: المعهد الأسترالي لدراسات السكان الأصليين.

كارل فيلاند، 1995. "ثقافة الطبقة." الخلق، يونيو - أغسطس 17 (5): 42-44.

هاريس هوثورن وايلدر، 1926. النسب للعرق البشري. نيويورك: هنري هولت وشركاه.

الفصل السابع

وصول حركة تحسين النسل إلى أميركا

المقدمة

هناك اعتقاد شائع بأن حركة تحسين النسل، التي بدأت في المقام الأول في أوروبا، تم تقديمها بواسطة النازيين، لكن في الواقع، فقد نشأت الحركة في بريطانيا العظمى. وإحدى أوائل الدول التي ترسخت وازدهرت فيها أفكار داروين حول تحسين النسل إلى جانب ألمانيا، كانت أميركا (اوردوفر 2003 وجونز 1980) لقد أثرت حركة تحسين النسل الأمريكية بشدة ليس فقط على التشريع الجديد، ولكن كذلك على قرارات المحكمة. وكانت النتيجة أن العلم أثر على النظرة العالمية الجديدة مما أدى إلى عدد كبير من انتهاكات حقوق الإنسان والتي تتساوى مع بعض التي كانت موجودة في ألمانيا النازية (غرين 1981).

نمت حركة تحسين النسل من الأفكار الجوهرية للتطور البيولوجي، وبشكل أساسي تلك التي شرحها ونشرها تشارلز داروين (بارزون 1958). نمت حركة تحسين النسل بسرعة بعد نشر داروين كتابه أصل الأنواع في 1859. وقد صاغ نظرية النسل الأساسية ابن عمة داروين السير فرانسيس جالتون (1869 - 1880). فقد وثق أن "علم تحسين النسل (اليوجينيا) هو النسل الشرعي للتطوُّر الداروينى، وهو بلا شك، النمو الطبيعي للتيارات الفكرية التي تطورت بعد نشر داروين لأصل الأنواع عام 1859" (هوللر 1984، 3).

تحسين النسل هو: علم تحسين الجنس البشري من خلال التحكم العلمي في

التناسل، كان ينظر إليه من قبل الكثيرين - إن لم يكن غالبية العلماء - لأكثر من قرن كوسيلة رئيسة لخلق الجنة على الأرض. وقد خلص هؤلاء العلماء إلى أن غالبية السمات البشرية - بما في ذلك السلوك - كانت وراثية في الأصل، وأن الأشخاص الذين نتجوا من "أسر جيدة" وراثيًا يميلون إلى التحول إلى الأفضل أكثر بكثير من أولئك الذين نتجوا من أسر متدنية وراثيًا. ولذلك كان من الطرق الرئيسة لتحقيق هذه الجنة، تشجيع الأسر الجيدة جينيًا على إنجاب المزيد من الأطفال، والأسر الفقيرة جينيًا على إنجاب أطفال أقل، أو عدم الإنجاب أصلًا.

ومن هذه المشاهدات البسيطة، تم تطوير واحدة من أكثر الحركات تأثيرًا في التاريخ الحديث، والتي أسفرت عن إزهاق ملايين الأرواح ومعاناة الكثيرين في ألمانيا النازية في المقام الأول. فقد أحبطت محاولات بناء مستشفيات للمرضى العقليين أو حتى مساعدة المرضى والفقراء وكافة الذين يُعتقد أنهم "أدنى وراثياً"، بما في ذلك الأشخاص الذين يعانون من عدد كبير من الأمراض النفسية والجسدية. وكان الهدف النهائي هو إنقاذ المجتمع من "البشر الأقل تطورًا" (هوللر 1984، 17).

وسائل تحقيق هذا الهدف كانت تشتمل على: التعقيم، الحجز القضائي الدائم على "المختلين عقليًا أو جسديًا" من قِبل الدولة، تقييد الزواج. وفي ألمانيا تراوحت وسائل التخلص من الغير صالحين بين رفض مساعدتهم حتى وصلت إلى القتل الصريح. وفي العصر الحديث كان التأثير السلبي لهذه الحركة على المجتمع أكبر من أي إيديولوجية أخرى - باستثناء الماركسية والتي تطورت من فكرة كان يُروج لها على أنّها علمية وبلغت ذروتها مع المحرقة المشينة، وسرعان ما تراجعت بعد ذلك حتى اليوم، والآن

يعتبرها غالبية الأشخاص مخزية بما في ذلك غالبية العلماء -. وامتدت حركات تحسين النسل لتشمل الطيف السياسي من الاشتراكيين المحافظين إلى الاشتراكيين الراديكاليين. الذين يجمعهم الإيمان بالداروينية والإيمان بأن العلم - ولا سيما علم الوراثة التطوري - هو مفتاح تحسين الإنسانية.

نمو حركة تحسين النسل في أميركا

تأسست حركة تحسين النسل الأولى في أميركا في عام 1903 وتضمنت العديد من علماء الأحياء البارزين في البلاد: كان ديفيد ستار جوردان (عالم الأحياء البارز ومستشار جامعة ستانفورد) رئيسها، ولوثر بوربانك (عالم البستنة الشهير) وفيرنون ال كيلوج (عالم أحياء في ستانفورد) ووليام آي كاسل (أحد علماء جينات هارفارد) وروسويل إتش. جونسون (عالم جيولوجي وأستاذ في علم الوراثة) وشارلز آر. وهندرسون من جامعة شيكاغو، جميعهم كانوا أعضاء نشطين.

لوثر بوربانك، عالم البستنة الأمريكي، 1915

كان تشارلز بنيديكت دافنبورت أحد أبرز علماء تحسين النسل في الولايات المتحدة، حصل على الدكتوراة من هارفارد (فتكوفسكي وإنغليس 2008). عمل دافنبورت كمدرس لعلم الأحياء في جامعته حتى أصبح أستاذًا مساعدًا في جامعة شيكاغو عام 1898 (تشيس 1980، 118). وفي عام 1904 أصبح مديرًا لمحطة جديدة

للتطور التجريبي في جولد سبرنج في لونج أيدلاند.

إلى جانب آخرون نشطون في مجتمع تحسين النسل الأمريكي الجديد مثل مارجريت سانجر وهي مؤسسة منظمة الأبوة المخططة ومخترع الهاتف - ألكسندر غراهام بيل - والذي أصبح "واحدًا من أكثر المدافعين عن احترام النسل في القرن الماضي، إن لم يكن واحدًا من أكثرهم حماسة". (كرافينس 1978 وهوللر 1984، 33 وهوللر 1971). ونشر بيل العديد من الأبحاث في المجلات العلمية، وتحديدًا حول الوراثة وتأثيرها على بعض حالات الصمم.

ومن علماء الوراثة الأمريكيين المعروفين اليوم بـ رواد الجينات الرئيسيين كان توماس هانت مورجان وليام بيتسون وهيرمان جيه. مولر (كيفليس 1985، وشانون 1920، وجيورتزل وجيورتزل 1962) جميعهم من الشخصيات المحورية البارزة من موظفين وأعضاء مختلف جمعيات تحسين النسل التي نشأت في غالبية المدن الأمريكية الكبرى. وفقًا لهوللر: "كانت حركة تحسين النسل من ابتكار علماء البيولوجيا وعلماء الاجتماع وغيرهم مع إيمانهم بأنّ العلم قدم دليلاً للتقدم البشري. في الواقع، خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن الحالي، كان علم تحسين النسل هو نوع من الدين العلماني لكثير من الذين كانوا يحلمون بمجتمع يولد فيه كل طفل بصحة قوية وعقل صحيح" (1984، 3).

تقريبًا كل كلية وجامعة كان فيها أساتذة "ملهمون بالعقيدة الجديدة"، وقدمت غالبية الكليات الكبرى دورات دراسية حول تحسين النسل (هوللر 1984، 73-74). وعادة ما كانت هذه الفصول تحظى بحضور جيد، وقُبل محتواها على نطاق واسع كجزء من العلم المثبت. كما حاضر العديد من علماء تحسين النسل على نطاق واسع وأعدوا

دورات جديدة، سواء في معاهدهم أو في أماكن أخرى، للمساعدة في تثقيف الجمهور حول تحسين النسل (ستانتون 1960).

كما هاجمت حركة تحسين النسل فكرة الديمقراطية ذاتها. واستنتج العديد من علماء تحسين النسل أن ترك الأشخاص الأدنى يشاركون في الحكومة كان عملا ساذجا، إن لم يكن خطرا. وبالمثل، يبدو أن توفير الفرص التعليمية والمزايا الحكومية لكل مواطن هو إساءة استخدام للموارد: لا يجب أن يحتفظ المرء إلا بأفضل الأبقار للتكاثر ويذبح الحيوانات الأقل شأنًا لتحسين السلالات. ويتعين تطبيق قوانين الطبيعة هذه على "الحيوانات البشرية".

بالإضافة الي ذلك استنتجت الحركة عموماً أن عامل الوراثة هو العامل الرئيس المحدد للطبيعة السلوكية للبشرية، وبالتالي فإن الإصلاحات البيئية عديمة الجدوى وبناءً على ذلك، فإن الأشخاص يكونون في "قاع" المجتمع نتيجة لدونيتهم البيولوجية وليس بسبب الظلم الاجتماعي، ولا بقرارهم الحر، أو التمييز (تشيس 1980).

ازدهار حركة تحسين النسل الأمريكية

وفي مجال علم النفس التربوي والقياس والتقييم التربوي، لا يوجد الكثير من الأشخاص في نفس أهمية إدوارد لي ثورندايك من جامعة كولومبيا، الذي كتب العديد من النصوص الجامعية التي كانت معيارًا قياسيًا لسنوات، ليس فقط في مجال علم النفس التربوي ولكن كذلك في القياس التربوي وعلم نفس الطفل. لا يزال يُعد كتاب ثورندايك اليوم مرجعًا في هذا المجال، ويعد كتابه عن الاختبار والقياسات معيارا في هذا المجال، ومع ذلك فقد كان يجهل إلى حد كبير (أو يتجاهل) الأدلة الهائلة المتراكمة ضد

العديد من وجهات النظر الأساسية حول تحسين النسل.

عندما تقاعد ثورندايك من كلية كولومبيا للمعلمين عام 1940، ألف كتابًا من 963 صفحة بعنوان الطبيعة البشرية والنظام الاجتماعي. في ذلك الكتاب، أعاد التأكيد على كافة المفاهيم الخاطئة الشديدة والتشويهات لعلماء تحسين النسل. وكما يقول تشيس: "في سن السادسة والستين، كان لا يزال يبيع الأساطير التي فقدت مصداقيتها منذ فترة طويلة حول مرض الصرع الذي أعاد جالتون إحياءه عندما كان ثورندايك فتى في عمر تسع سنوات. على الرغم من استخدام ثورندايك لمثل هذه الكلمات العلمية في القرن العشرين مثل "الجينات" ودعوته لممارسة محكمة النازية الحالية لتعقيم الأشخاص الذين حصلوا على علامات منخفضة في اختبارات الذكاء ويمتلكون الأخلاق "الأدنى"، كان هذا (الكتاب) في الأساس كتاب جالتون المقدس، عام 1869، هو العقيدة الأرثوذكسية التي تشير إلى أن كافة الأمراض والاضطرابات العقلية على الأقل 80% منها وراثي و20% منها بيئي (1980، 354-355).

مارغريت هيجينز سانغر كانت ناشطة أمريكية في مجال تحديد النسل ، ومؤسّسة ما أصبح اتحاد تنظيم الأسرة في أميركا.

جادل هافلوك إليس وآخرون بأنه ينبغي فصل الرضا الجنسي عن الإنجاب، وذلك مع تقدم أساليب التحكم في التناسل البشري. فقد أوضح إليس أن تحديد التناسل

البشري لا يمكن أن يساعد الأزواج فقط على التحكم بحجم أسرهم بل قد يمكن أيضًا الدولة من المشاركة بنشاط في تحسين الجنس البشري جسديا. أدرك العديد من علماء تحديد النسل أن قلة من الناس سوف يمتنعون عن النشاط الجنسي أو حتى الزواج فقط من أجل تحسين العرق لذلك يجب على الدولة التدخل. وقد استنتج هافلوك إليس ومارغريت سانغر والعديد من المؤسسين الآخرين لحركة تحديد النسل أنه إذا كان الجنس هو مجرد مسألة متعة شخصية وليس فيما يتعلق بالزواج أو الإنجاب، يمكن أن تنظم الدولة الإنجاب لصالح المجتمع.

وعلى الرغم من أن العديد من علماء تحسين النسل لم يدعموا سيطرة الدولة على الإنجاب، لكنهم غالباً ما دعموا استخدام وسائل منع الحمل على نطاق واسع. ومع ذلك كان هناك قلقًا من أن استخدام وسائل منع الحمل الذي من شأنه أن يفصل العاطفة عن المسؤولية عن الإنجاب، أن يعزز ويرخص ممارسة الجنس غير الشرعي (بروكتور 1988).

وبالإضافة إلى ذلك شارك العديد من الذين أيدوا تحديد النسل في الحركة النسائية التي عارضها العديد من علماء تحسين النسل لأنهم كانوا يخشون من أن تؤدي الحركة إلى أن يكون لدى النساء المتميزات بشكل كبير أسر صغيرة (أو لا توجد أسر على الإطلاق). فقد جادلوا بأن النساء المتعلمات والأذكياء يجب أن يكون لديهن أسر أكبر على الرغم من أن الاتجاه الحالي لهذه الطبقة الاجتماعية هو أن يكون لديها أسر أصغر. لهذا السبب، عارض العديد من علماء تحسين النسل تعليم النساء العالي لأنهم أدركوا أن التعليم سيوجه طاقة النساء المتفوقات بعيداً عن الإنجاب إلى التعليم.

وشمل الدعم لهذه الآراء دراسة وجدت أن خريجات الجامعات أقل احتمالا للزواج

وأن الذين لديهم أقل من طفلين يكون لديهم من الصفات أقل من نصف ما يلزم للحفاظ على خط تحسين النسل. وغالباً ما كان أولئك الذين أيدوا التعليم العالي للنساء وحركة تحسين النسل يدعون أن الطبقة الاجتماعية والتعليم قضايا منفصلة. عندما سيطروا على الطبقة الاجتماعية، وشعروا بأن غالبية الاختلافات التي استشهد بها علماء تحسين النسل ستختفي. قاموا بعمل دراسات خاصة بهم زعموا فيها أن النساء المتعلمات في الجامعة من المحتمل أن يتزوجن، وكذلك أن يكون لديهن عدد أكبر من الأطفال مثل أخواتهن الأقل تعليماً (هيميلفارب 1959).

على العكس من ذلك، جادل أولئك الذين دعوا إلى حرية الوصول إلى وسائل منع الحمل بأن رفضها بشكل علني شجع زيادة مرض الزهري والصرع والمقعدين والمجرمين ومدمني الكحول ومجموعة متنوعة من غيرها من الانتكاسات الجينية. استخدم كل من مارغريت سانغر في أميركا وماري ستوبس في بريطانيا العظمى علم تحسين النسل كحجة لحشد الدعم لفكرة الوصول الحر إلى المعلومات الخاصة بتحديد النسل. وشددوا على أن العديد من الفقراء يرغبون في السيطرة على مثيراتهم الجنسية، ولكن ضعف الإرادة الناتج من عوامل وراثية يتدخل بشكل سلبي في كل من عملهم وعاداتهم الجنسية. علاوة على ذلك، فإنّ جيناتهم المسؤولة عن فقرهم وعدم سيطرتهم الجنسية، وبالتالي أنتجت عائلات كبيرة.

ومع تزايد نمو حركتهم ربطت كلا من مارغريت سانغر وماري ستوبز بشكل متزايد المفهوم بمخاوف تحسين النسل (جرانت 1988). فقد شعرن أن المجتمع يستطيع أن يفعل الكثير لمساعدة الأشخاص من خلال منحهم وسائل التحكم الأسرية التي

يحتاجونها حتى لا يتكاثرون بشكل عشوائي. كما شددوا على أن الأغنياء لديهم وسائل للسيطرة على أسرهم ولكن الفقراء لم يفعلوا ذلك ونتج عن ذلك خلل وظيفي. من خلال إعطاء الفقراء وسائل منع الحمل وتشجيعهم على استخدامها، سيكون لدى الأفراد الصالحين عدد أكبر من الأطفال والغير صالحين سيكون لديهم أطفال أقل (هوفستاجتر 1955).

تشارلز دافنبورت، أحد كبار علماء تحسين النسل الأمريكيين

كان تشارلز دافنبورت أحد أهم الشخصيات في حركة تحسين النسل الأمريكية. وبينما كان يعمل مدرسًا لعلم الحيوان في جامعة هارفارد قرأ بعض أعمال كارل بيرسون وداروين في مجال تحسين النسل فاعتنقها بسرعة. وأثناء رحلته إلى إنجلترا زار جالتون وبيرسون وويلدون ثم عاد إلى بوسطن مقتنعًا تمامًا بآرائهم. وفي عام 1904 أقنع معهد كارنيجي بإنشاء محطة "للدراسة التجريبية للتطور" في ميناء كولد سبرنج على بعد حوالي 30 ميلاً من مدينة نيويورك، حيث قام دافنبورت بتوظيف طاقم للعمل هناك في مشاريع بحثية جينية مختلفة.

ولحسن الحظ لم يكن دافينبورت مستبدًا مثل العديد من علماء تحسين النسل مثل كارل بيرسون نتيجة لذلك عمل طلابه في مجموعة متنوعة من المجالات إلى جانب تحسين النسل. فمثلا لدراسة علم الوراثة البشرية قاموا بإنشاء نظام لجمع البيانات يتضمن إرسال مئات من نماذج "السجلات العائلية" إلى مؤسسات طبية وعقلية وكذلك إلى العديد من الأفراد. تطلب كل نموذج ثلاثة أجيال من البيانات، ونشرت النتائج في كتاب عام 1911 بعنوان "الوراثة وعلاقتها بعلم تحسين النسل".

من بين العديد من المشكلات الخطيرة في بحث دافنبورت كان افتراضه أن كافة السمات كانت نتيجة لصفة مندلية واحدة بينما نعرف الآن أن غالبيتها متعددة الجينات في الأصل. تفسيره الخطأ هذا أدى إلى المبالغة في التبسيط إلى حد كبير للانتقال من النمط الوراثي إلى النمط الظاهري. وجادل بأن التوريث كان له تأثير كبير في كل شيء من الإجرام إلى الصرع ومن الإدمان على الكحول إلى الفقر والعوز.

بالإضافة الي ذلك فقد تجاهل دافنبورت آثار البيئة إلى درجة أنه وصف أولئك الذين "أحبوا البحر" على أنهم يعانون من مرض حب البحر واستنتج أن هذه السمة مرتبطة بالجنس لأنها كانت دائما عند الذكور! واستنتج دافنبورت أن الدعارة قد نشأت ليس بسبب عوامل اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية ولكن بسبب سمة وراثية سائدة جعلت المرأة تصبح مهووسة بالجنس.

يميل دافنبورت لتصنيف السمات على أساس الأعراض وليس المسببات. كانت هذه مشكلة خطيرة بشكل خاص مع تصنيفه للانحرافات الذهنية. نحن نعلم الآن أن - التشنجات على سبيل المثال - يمكن أن تكون ناجمة عن عدة أسباب مثل العدوى إلى شرب الكحول وأن الإصابات الرأسية حتى أو الأمراض الفيزيائية يمكن أن تساهم في حدوثها. كان دافينبورت والعديد من الآخرين في ذلك الوقت "مصابون بالعمى بسبب تحرر تحسين النسل" (كيفليس 1985، 49).

كان لديهم كمية هائلة من البيانات لأفكارهم - منذ أن أُسس مختبر ميناء كولد سبرنج في عام 1904 حتى أُغلق في عام 1924- خلال هذه الفترة وُظف أكثر من 250 عاملا ميدانيا لجمع البيانات، وحوالي ثلاثة أرباع مليون حالة من الحالات انتهوا

منها. واستخدمت هذه البيانات كمصدر للنشرات والمذكرات والمقالات والكتب حول تحسين النسل. رفض دافينبورت عقيدة أبيه واستبدلها بعبادة العلوم والإنسانية وتحسين البشرية وعلم تحسين النسل. وتذكر مارغريت سانغر، راعية تنظيم الأسرة أن دافنبورت، في التعبير عن قلقه من تأثير وسائل منع الحمل على الناتج الأفضل، "اعتاد أن يرفع عينيه بشكل محترم، وأن يرفع يديه كما لو كان في حالة دعاء و يرتعش أثناء تنفسه ويقول "بروتوبلازم، نريد المزيد من البروتوبلازم" (كيفليس 1985، 52).

يعتقد دافنبورت أن الفجور الجنسي كان سببًا في صفات سلبية عديدة. ومن المفارقات أنه كان يعارض تحديد النسل لأنه يقلل من الموانع الطبيعية ضد الجنس. لقد كان مُجِدًا في العمل أكثر من اللازم، وكان شديد التطلب، كان يصف الموظف بالخائن إذا اشتكى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

بعض أسباب زيادة عدد علماء النسل الأمريكيين بسرعة كبيرة

جزء من السبب في أن حركة تحسين النسل انتشرت بسرعة كبيرة بسبب إخفاق العديد من البرامج الإصلاحية المبتكرة والإصلاحية الأخرى المصممة لمساعدة الفقراء والمجرمين والأشخاص الذين يعانون من مشكلات عقلية وجسدية. وأدى ارتفاع معدل الإخفاق في أفضل البرامج إلى جعل العديد ممن عملوا في هذه المؤسسات مقتنعين بأن غالبية الفقراء يمتلكون جينات متدنية تعوقهم في النضال من أجل الحياة، ولا ينبغي السماح لهم بأن يتكاثروا دون تمييز. فقد منحهم التطور إجابة على الصعوبات التي واجهوها.

عمل تشارلز لورنس بريس بجد من أجل فقراء نيويورك وأصبح "مفتونًا بالتطور الذي قرأه وأعاد قراءة أصل الأنواع ثلاث عشرة مرة" وأفاد أنه خلال فترة الكساد في

شتاء عام 1873 – 1977، حذر أولئك المتضامنون مع الأعمال الخيرية من الإعانات العشوائية للفقراء، ولكن لم يهتم أحد لهذه التحذيرات ونتيجة لذلك تلاقى الصعاليك في نيويورك وترك العديد من الأسر الفقيرة وظائفهم وفقد العديد من العمال صناعتهم الثابتة (هوللر 1984، 33).

باختصار، قال إنّ هذه الأعمال الخيرية كانت تضر بالناس بدلًا من مساعدتهم، عن طريق تدمير عاداتهم الإيجابية في العمل وتمكينهم من إنجاب المزيد من الأشخاص المتدنيين وراثيًا. كل أولئك الذين بدأوا في مجال مساعدة الفقراء سرعان ما أدركوا أن معظم – إن لم يكن كل – برامجهم قد تسببت في ضرر أكبر من المساعدة.

ثمة مشكلة رئيسية في حركة تحسين النسل وهي أن العديد من قادتها افترضوا أن كل سلوك يرفضونه تقريبًا هو أساس جيني، وبالتالي فإن أولئك الذين يفعلون هذا السلوك كانوا أدنى بيولوجيًا، وأنّ الأشخاص الذين ليس من السهل التعامل معهم، والمتدينين والخجولين والكسالى، وأي شخص يرتكب أي سلوك مصنف على أنه غير مرغوب، كلهم اعتبروا متدنيين بيولوجيًا! وكانت الخطوة التالية هي ترجمة علم تحسين النسل إلى كل من البرامج والسياسات.

من النظرية إلى السياسة الاجتماعية

تُرجم علم تحسين النسل إلى سياسة ظهرت في أشكال متعددة. في أميركا، كان أحد الأمثلة على ذلك سياسة تعقيم مجموعة واسعة من الأفراد الذين شعروا بأنهم يعانون من "مشكلات في الوراثة". وكان على رأس القائمة المجرمون والمتخلفون عقلياً والمرضى عقلياً وغيرهم. كان أول قانون تعقيم مرر في الولايات المتحدة في ولاية إنديانا

ينص هذا القانون على التعقيم الإلزامي "للمجرمين والأغبياء والبلهاء والمغتصبين، يتم ذلك في مؤسسات الدولة، بعد أن يوصى مجلس خبراء بذلك" (هوللر 1984، 50).

كان الإنجاز الثاني لحركة تحسين النسل هو تمرير مجموعة متنوعة من القوانين التي تقيد هجرة "الأجناس المتدنية" – وهي مجموعة لم يتفق بشكل تام عليها، ولكن في أميركا غالبًا ما شملت ما يسمى بالأعراق الداكنة – السود والسلوفاك واليهود والإغريق والأتراك والمجر والروس و البولنديين وحتى الإيطاليين.

على الرغم من أن المحاكم الأمريكية طعنت في العديد من قوانين تحسين النسل، لكن هناك قضية واحدة فقط، هي قضية بيل ضد باك 274، أميركا 200 (1927) وصلت إلى المحكمة العليا للولايات المتحدة. بنحو 8 أصوات مقابل صوت واحد، وأيدت المحكمة العليا التعقيم لأسباب تتعلق بتحسين النسل، وخلصت إلى أن "البلاهة" سببها وراثي، وبالتالي فإن الدولة تتحمل مسؤولية السيطرة عليها عن طريق وسائل تحسين النسل. وقد صاغ رأي المحكمة القاضي أوليفر وينـدل هولمز الذي استخدم معرفته العلمية في كتابة رأيه المستنير. لقد أنشأ علاقة بين تحسين النسل والوطنية بما في ذلك أن علم تحسين النسل كان حقيقة مستمدة من العلم التجريبي. وسرعان ما مررت العديد من قوانين التعقيم في نصف الولايات، وكان العديد منها عقابي أكثر منه إنساني (هوفستاندتر 1955).

وتضمنت القضية التي أثارت هذا الحكم في المحكمة ابنة كيري باك، التي أعلن أنها تعاني من نقص عقلي. أيدت المحكمة العليا تعقيم كيري كي لا تنجب المزيد من "الأطفال ذوي القصور العقلي" مثل فيفيان وهي طفلة تبدو بطيئة عقلياً. ومن

المفارقات، أنه بحلول الوقت الذي بدأت فيه فيفيان المدرسة، كان معلموها يعدونها مشرقة للغاية، ولكن للأسف ماتت بسبب اضطراب معوي وهي في الصف الثاني (كيلفيس 1985، 112).

بعد قرار المحكمة العليا في الولايات المتحدة، اتبعت العديد من الدول بما في ذلك فنلندا والدنمارك والسويد وألمانيا، وغيرهم قوانين خاصة بتحسين النسل (بروكتور 1988). وسريعا تم تعقيم الملايين من الأشخاص الذين لم يصابوا بخلل وراثي سواء كان عقلياً أو غير ذلك. وشمل ذلك العديد من حالات تعقيم "الأشخاص غير مرغوب فيهم" في المدن، مثل "الهيبيلي – أشخاص يسكنون المناطق الجبلية في أميركا –".

يعتقد العديد من علماء تحسين النسل أن السمات السلبية التي اكتسبها الشخص خلال حياته يمكن أن تنتقل وراثيًا. كانت نظرية الوراثة للخصائص المكتسبة مقبولة على نطاق واسع ولم يُعترض عليها حتى ظهور أوغست وايزمان. حيث قام وايزمان بقطع ذيل 901 فئران لخمسة أجيال متتالية ووجد أن طول الذيل لكل جيل جديد كان دائما في إطار المنحنى الطبيعي للجيل السابق له.

وكان هناك دليل آخر على الدراسة التي قاموا فيها بقياس طول القلفة[1] لدى الأطفال اليهود وغير اليهود ولم يجدوا أي فرق وعلى الرغم من تخلص اليهود منها على مدار 4000 سنة. وكان الرأي الجديد يسمى بالداروينية الجديدة التي علمت أن الخصائص المكتسبة لا يمكن أن تكون موروثة. وهكذا كان الأمل الوحيد للتحسين الدائم للبشر هو من خلال التأثير على العملية الانتقائية لمن يستطيع ومن لا يستطيع

(1) 1- جزء من الجلد يغطي القضيب عند ذكر الإنسان ويتم إزالته في عملية الختان. (الناشر)

أن يتكاثر (ورنر 1894، 120-121). ونتيجة لذلك، أصبح دحض نظرية توريث الصفات المكتسبة "خطوة رئيسية على الطريق إلى قبول تحسين النسل" ذلك لأنه فتح الباب أمام قبول الداروينية الصارمة وعلم تحسين النسل (هوللر 1984، 61).

وتجاهل مؤيدي حركات تحسين النسل مرارًا الأدلة الواضحة ضد نظريتهم أو حاولوا أن يفسروا الأدلة التي تعارض فرضيتهم. ومن بين الأدلة التي استخدمها علماء تحسين النسل دراسة "جوك" غير المعروفة والتي أكملها الإصلاحي ريتشارد إل. دوجديل، الذي كان يدعم عمومًا حركة تحسين النسل. تتبعت هذه الدراسة الطولية ما يسمى "بالعشيرة المنحلّة" ووجدت أنها أنتجت العديد من المجرمين الجنائيين وغير الأسوياء مجتمعيًا.

كان العديد من علماء تحسين النسل من مدرسة "الوراثة هي القدر"، وعلى الرغم من استخدام مؤيدي الوراثة لبحوث جوكز لدعم قضيتهم، كان دوجديل بذاته حريصا على التأكيد على أهمية كلا من الوراثة والبيئة. وقد أشار مراراً إلى أنه "في حين قد يرث الأطفال الميول إلى الجريمة والشهوانية والافتراء فإن البيئة التي يربون فيها تعزز المحاولات بشكل ثابت تقريباً" (كما ورد في هولر 1984، 22). ومن المثير للاهتمام أن توصيته الرئيسة لم تكن حلًا لتحسين النسل، بل هي أخذ أطفال الفقراء والجنائيين من أبائهم ومن البيئة المحيطة بهم ومنحهم التدريب المهني ومساعدتهم في التغلب على الآثار السلبية للبيئة الأولى. تجاهل هذه التوصيات غالبية علماء تحسين النسل الذين وضعوا المزيد من الثقة في الداروينية أكثر من الدراسات الاجتماعية.

شارك كثير من الأشخاص في حركة تحسين النسل وكانوا مقتنعين ومكرسين أنفسهم للقضية وكانوا يتجاهلون الدلائل التي لا تدعم نظرياتهم. ومع ذلك، فإن

الكثيرين كانوا يعرفون أن الفرضية الأساسية لعلم تحسين النسل غير صحيحة لكنهم غالباً ما حاولوا ترشيد مشكلاتها العديدة. حتى مؤسس علم تحسين النسل - جالتون - "يبدو أنه لم يكن مطلقًا في سلامة تام، فقد كان يعاني باستمرار من درجات متفاوتة من الانهيار العصبي" (كيلفيس 1985، 9).

ابتكروا طرقًا جديدة لتوضيح الحقائق عندما لا تتفق البيانات مع توقعات تحسين النسل. قام البروفيسور هاري إتش. لافلين، الذي حصل على شهادة الدكتوراة في علم الأحياء من جامعة برينستون، قال في مؤتمر نوفمبر 1922 أنه على الرغم من أن المهاجرين قد يتمتعون بصحة جيدة في العقل والجسم، لكن كانوا يحملون جينات سيئة متنحية مما يسبب مشكلات في الأجيال القادمة. كان هذا الإدعاء رداً على البيانات التي جمعها لوفلين ذاته بدقة والتي وجدت أن العديد من المشكلات بين المهاجرين، مثل الضعف والتورط الإجرامي كانت في كثير من الأحيان وفي كثير من الحالات أقل فعليًا من الأمريكيين المولودين في الولايات المتحدة.

في آواخر القرن التاسع عشر، "عندما فكر الكثير من الناحية التطورية، كان من الطبيعي تقسيم الإنسان إلى اللائق وغير اللائق". حتى غير المؤيدين الذين اخفقوا في العمل وانتهوا بالفقر، أو الذين نجوا من النهب حكم عليهم بأنهم "غير لائقين" وأنهم في مستوى أدنى من الناحية التطورية وذلك وفقًا لعلماء تحسين النسل (هوللر 1984، 35-36).

لأن المجرمين وغير المجرمين متشابهين أكثر من كونهم مختلفين، لذا فإن التحديد الجنائي القائم على السمات الجسدية، كان أمرًا بالغ الصعوبة. كما أن علماء تحسين النسل يتجاهلون عادة جرائم الطبقة العليا والياقات البيضاء والعديد من الجرائم التي

يرتكبها ضباط عسكريون رفيعو المستوى ومسؤولون حكوميون وكثيرًا ما تكون جرائمهم معروفة من قبل الشعب، لقد حددوا بشكل صحيح بعض المخاوف الوراثية لكنهم أخطأوا في تسمية العديد من الأشياء غير الموجودة (مثل الفقر والعوز) وتجاهلوا التأثير الهائل للبيئة في تشكيل كل ما نحصل عليه بالوراثة. لقد اعتقدوا خطاءًا أنه بما أن غالبية المشكلات والظروف الاجتماعية وراثية، فإنه لا يمكن تغييرها ولكن يمكن التحكم فيها عن طريق التعقيم (كيث 1946).

سقوط حركة تحسين النسل

أحد الأبحاث التي أفقدت بعض أفكار تحسين النسل مصداقيتها كان يدور حول ما يسمى بالمخلوقات البسيطة مثل ذبابة الفاكهة (دروسوفيلا ميلانوجاستر). والذي أثبت أنّ العلاقة بين النمط الوراثي والنمط الظاهري أكثر تعقيدًا بكثير مما كان يُتصور في السابق. بالإضافة إلى ذلك، فإدراك أنّ البشر ينتجون من حوالي 23000 جين، وأنه من الصعب للغاية تحديد ما إذا كان أي جين بينها "متفوق" على آخر كما كان يعتقد العديد من علماء تحسين النسل لعقود. نحن ندرك الآن أن غالبية السمات تنتج بواسطة مجموعة من الجينات.

في أحسن الأحوال، يمكن للمرء محاولة إجراء الأحكام المتعلقة بتفوق سمة واحدة محددة مقارنة مع سمة أخرى. يتم تحقيق ذلك بسهولة أكبر في حالة حدوث طفرة. يمكن اعتبار الشخص الذي ظهرت لديه طفرة تسبب الهيموفيليا أقل شأنًا مقارنة بالشخص الذي لديه عامل طبيعي "Factor 8 (F8) gene ". هذه الطريقة تعتبر جينًا واحدًا فقط، والشخص الذي ليس لديه الخلل الوراثي لمرض الهيموفيليا يمكن أن يكون

أدنى من حيث سمات وراثية أخرى، لأن الطفرات أو الجينات التي تنتج سمات دونية موجودة في كافة البشر. على سبيل المثال قد يكون لدى الشخص طفرة للصلع ويصبح أصلع في وقت لاحق في حياته.

حتى الشخص الذي لديه سمات معينة مثل ذكاء أقل من المتوسط قد يكون هذا الشخص متفوقًا جينياً بطريقة أخرى - وهو شئ لا يمكننا احتسابه حتى يتم تحديد كافة الجينات المقدرة بـ 23000، ومقارنتها مع كافة السكان. وحتى في هذه الحالة، لا يمكن إصدار الحكم على المقارنة إلا على أسس مبسطة للغاية، مثل حساب إجمالي عدد الجينات التي تُعد "دونية" أو "متفوقة". وحتى هذه الطريقة قاصرة، لأنّ بعض الجينات الفردية يمكن أن تسبب مشكلات أكثر بكثير من غيرها، وعلى العكس يمكن أن تمنح الشخص مزايا أكثر من غالبية الجينات الأخرى - مثل الجينات التي تؤدي إلى إنتاج مستويات أعلى من المتوسط من الجلوتاثيون ترانسفيرين - انزيم يوجد في الكبد يساعد على تخليص الجسم من السموم -. فهذه السمة من شأنها أن تقلل من احتمال الإصابة بأمراض مثل مرض السرطان أو القلب أو السكتات الدماغية، ومن ثم سيكون من الضروري تقييم كل جين فردي وكل تفاعلات الجينات - وهو شيء لم يتحقق القيام به حتى الآن -.

وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ العديد من الجينات المتدنية هي في الواقع طفرات حدث في الجينات البشرية في وقت ما في الماضي ثمّ نُقلت إلى الذرية بعد ذلك. من بين الأمراض المعروفة، يوجد أكثر من 5000 منها نتيجة للطفرات الموروثة، ولم يكن أي من هذه الـ 5000 موجودًا في الماضي قبل الطفرة التي تسببت في إدخالها إلى الجينات

البشرية. مع تراكم هذه الطفرات، فإنّ النتيجة تكون تدهور الجينوم الذي يدعى "الانحطاط"، وهو حدث عكس هدف تحسين النسل في محاولة خلق العرق الأكثر خُلوًا من العيوب، ثم قصر التكاثر على أعضاء هذا العرق فقط. لكن هذا الهدف يعوقه تراكم الطفرات الذي يؤدي إلى أن تصبح كافة "الأجناس" أقل مثالية (سالينز 1977).

على الرغم من أن صحة العديد من دراسات تحسين النسل ومدى قابلية تطبيقها على الإنسان كانت مصدر قلق خطير، لكن زوال حركة تحسين النسل كان له علاقة بالعوامل الاجتماعية أكثر منه نظرًا للاكتشافات العلمية الجديدة. وشملت هذه العوامل الاجتماعية "صعود النازية والمحرقة والنضال الأمريكي في الحرب العالمية الثانية لهزيمة هتلر ألمانيا. أيضًا حركة الحقوق المدنية في 1950 وما بعدها و1960 وما بعدها، فضلًا عن الحروب على الفقر في 1930 وما بعدها (هوللر 1984، 11).

بالإضافة إلى ذلك، لاحظ هوللر أنه على الرغم من أن الحياة الأكاديمية الأمريكية والأوروبية كانت في يوم من الأيام "محمية من الانجلوساكسون البيض"، لكن بعض الأقليات العرقية أصبحت تنضم إليها بشكل متزايد، بما في ذلك الآسيويون والهنود والشرقيون والأميركيون الأفارقة، والعديد من أعضاء هذه المجموعات إما رفضوا حركة وصفتهم بأنهم أقل شأنًا أو أثروا على الحركة لقبولهم باعتبارهم مساويين للآريين.

علاوة على ذلك، تسبب علم تحسين النسل في ارتكاب الفظائع سواء في الداخل وفي أوروبا مما جعل معتقدات تحسين النسل التي كانت محترمة في السابق أمرًا بغيضًا، رغم أن نظرية التطور الأساسية كانت لا تزال مقبولة بشكل واسع من قبل المجتمع العلمي. كان هناك عامل آخر وهو إعادة تقييم الأبحاث التي دعّمت علم تحسين

النسل مثل بحث سيريل بيرت - وهو أحد الباحثين البارزين في الأساس الجيني الأدنى البشري مثل معدل الذكاء - **حيث اكتُشفت عيوب خطيرة في بحثه بعد الفحص وفي النهاية أشارت الأدلة إلى وجود احتيال.** قام بيرت بتزوير بيانات دراسته التي ادّعى فيها أنها أثبتت أفكاره في تحسين النسل وكان ذلك بمثابة ضربة كبيرة للحتمية البيولوجية المتطرفة (غولد 1996).

على الرغم من أن الحركة فقدت مصداقيتها، لكن بقاياها كانت لا تزال موجودة في القرن العشرين. ففي آواخر عام 1955، أشار أستاذ علم الأحياء الكندي إلى أنه "من الممكن أن يكون أهم ما في الأمر هو أن (داروين) أخيرًا حرر البشرية من قدر كبير من التعصب للكنيسة وجعلها محرمة، وفاز أتباعه بقدر من حرية الفكر التي كانت غير معروفة لقرون" (روان 1955، 12). ثم جادل روان بأن الحد من تأثير الكنيسة في المجتمع سمح باكتشاف ليس فقط وسائل التطور، ولكن كذلك معرفة أن البشرية لديها الوسائل إما لتوجيه التطور أو السماح له أن يحدث من تلقاء ذاته أو - ما هو أسوأ - وقفه عن طريق التصدي القوى له، مثل السماح للأدنى وراثيا أن يتكاثروا مما يسبب التراجع.

جادل روان بأن البشر قد اختاروا - بشكل مأساوي - الاختيار الأخير: "لا يزال الاختيار حيويا للتقدم البشري كما كان سابقا، فيظل المبدأ الداروينى العظيم قائماً". ثم أضاف: "عندما اكتسب الإنسان ذكاءً بدأ في مسار جديد تمامًا دون سابقة في عالم الحيوان حيث لا يعتمد مساره الآن على تغييرات جسدية أخرى، ولكن على التطور الفكري والاختيار الفكري بالتساوي" (1955، 13). ولسوء الحظ، استنتج أن البشر "تحافظ على" الأدنى من الناحية الفكرية ويخفقون في ترتيب شؤونه وفقاً لقوانين

البيولوجيا (1955، 13). هذه المناقشة لبقة إلا أنها واضحة: يجب القضاء على أولئك الذين يُعدون أقل ملائمة من الناحية التطورية، أو على الأقل يجب أن نقلل جهودنا في الحفاظ عليهم وأن ندع الطبيعة تقوم بعملها. علماء تحسين النسل علموا أن عدم القيام بذلك سيؤدي إلى نهاية البشرية.

إن أهمية دراسة حركة تحسين النسل اليوم لا تقتصر على مساعدتنا على فهم التاريخ فحسب، بل كذلك لضمان عدم تكرارها. المجال الذي أخذ في النمو من حيث التأثير والمكانة هو البيولوجيا الاجتماعية، وهو يشبه إلى حد ما حركة تحسين النسل. تدّعي هذه المدرسة أيضًا أنّ كلًا من السمات البيولوجية والاجتماعية لها أساس وراثي موجود نتيجة لعملية البقاء للأصلح. على الرغم من أن العديد من علماء البيولوجيا الاجتماعية يواجهون صعوبات في التنصل من أية صلة مع حركة تحسين النسل، إلا أنّ التشابه مدهش. هذه الحقيقة هي النقطة التي أشار إليها كثير من منتقديه مثل ستيفن جي. غولد من جامعة هارفارد وغيرهم (سالينز 1977 ومونتاجو 1999).

تحسين النسل يتعارض مع التعاليم المسيحية

في مقابل ذلك، قدمت تعاليم المسيحية استنتاجات مختلفة تمامًا عن علم تحسين النسل. أعلنت المسيحية أن أي شخص يقبل رسالة المسيح[1] يمكن تغييره. ويعطينا

(1) جدير بالذكر أن تغير الأخلاق والسلوك لا يُشترط فيه قبول فكرة تزعم وجود خطيئة أصلية وقع فيها آدم أبو البشر ، ولم تُقبل توبته بل وُرثت الخطيئة لذريته حتى تجسد الإله لكي يُصلب كفارة للبشر !! قبول مثل هذه العقيدة ليس شرطًا لتغير الأخلاق والسلوك ، بل يتغير الإنسان لها ولغيرها من الأفكار والعقائد ، فضلًا عن عقيدة توحيد الإله وتنزيهه عن كل نقص ، ومعرفة أنه سبحانه مطلع على السر وأخفى وأنه يجزي عن الخير خيرًا وزيادة ، ويعاقب من أساء ولم يعط كل ذي حقٍ حقه، وأنه سبحانه لا يحاسب عبدًا على ما لم يفعل .(الناشر)

الكتاب المقدس والتاريخ العديد من الأمثلة عن الأفراد الذين كانوا كاذبين ولصوصًا وأخلاقهم منحلة، والذين تحولت حياتهم بشكل جذري بعد تحولهم إلى المسيحية. وكان دائمًا تحويل الفاسقين من العوامل الجاذبة للمسيحية. فمن أول أيامها، كان أحد الأدلة على صحتها، تأثيرها في حياة أولئك الذين اعتنقوها. إنّ مساعدة الفقراء والضعفاء والمضطهدين والمقعدين والذين يعانون من العرج، كل هذا لم يكن شيئًا ثانويًا بالنسبة المسيحية. في الحقيقة، فبالإضافة إلى الإيمان بيسوع المسيح بنعمة من الله، كانت هذه الأمور من جوهر الدين - الدليل الخارجي على الإيمان في الداخل -.

أولئك الذين لم يزوروا المرضى والفقراء، أو لم يساعدوا أولئك الذين في السجن، أو لم يعطوا الشراب والطعام للمحتاجين، كانوا "ملعونين" وسيُرسلون إلى المصير "المعدّ للشيطان وأتباعه" (متى 25: 35-45، نسخة الملك جيمس الجديدة). وبالنسبة لذلك الذي "وأما من كان له معيشة العالم، ونظر أخاه محتاجا، وأغلق أحشاءه عنه، فكيف تثبت محبة الله فيه" (رسالة يوحنا الرسول الأولي 3: 17). وهذا لم يكن مطلوبًا فقط من المسيحيين، ولكنه كان مطلوبًا كذلك من اليهود: "إِنْ كَانَ فِيكَ فَقِيرٌ، أَحَدٌ مِنْ إِخْوَتِكَ فِي أَحَدِ أَبْوَابِكَ فِي أَرْضِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، فَلاَ تُقَسِّ قَلْبَكَ، وَلاَ تَقْبِضْ يَدَكَ عَنْ أَخِيكَ الْفَقِيرِ، بَلِ افْتَحْ يَدَكَ لَهُ وَأَقْرِضْهُ مِقْدَارَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ..... لأَنَّهُ لاَ تُفْقَدُ الْفُقَرَاءُ مِنَ الأَرْضِ. لِذلِكَ أَنَا أُوصِيكَ قَائِلاً: افْتَحْ يَدَكَ لأَخِيكَ الْمِسْكِينِ وَالْفَقِيرِ فِي أَرْضِكَ." (سفر التثنية 15:7-15، 18 وسفر اللاويين 25:35-43... إعادة صياغة)[1]. كان

---

(1) جاء دين الإسلام العظيم بمثل ذلك بل بأعظم منه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه»**. وصححه الذهبي في التلخيص، والألباني في صحيح الأدب المفرد. ، من قبل ذلك تجد قول =

هناك صراع آخر حول حقيقة أن الكنيسة شددت على مساعدة الضعفاء والمنكوبين. تقريبا كافة الطوائف استنتجت من الكتاب المقدس والتاريخ أن العديد ممن يبدو أنهم بلا أمل، يمكن "إصلاحهم" ويمكن أن يتولوا مناصب مسؤولة في المجتمع. ويمكن للكنائس بسهولة أن تشير إلى العديد من الأمثلة - الموثقة جيداً - على هذا الادعاء. علاوة على ذلك، وعلى النقيض من علم تحسين النسل، غالبًا ما عزا القادة الدينيون سبب الانحطاط الجسدي والعقلي إلى الخطايا الفردية والمجتمعية. وكثيراً ما ناقشت العلوم السلوكية أنّ ما هو ضروري لتحسين المجتمع لم يكن تغييراً جينيًا لكنه تغييرا اجتماعيًا. وفي ملخص لتاريخ علاج الأمراض العقلية استنتج ساراسون وساراسون أنّه: "لا يمكن تقدير مدى أهمية روح العمل الخيري المسيحية أثناء العصور الوسطى، وخاصة تجاه المجموعات غير الطبيعية مثل الأشخاص الذين يعانون من اضطراب عقلي شديد. على سبيل المثال في غيل في بلجيكا أنشأت الكنيسة مؤسسة خاصة لرعاية الأطفال المرضى النفسيين وذوي الاحتياجات الخاصة، وعندما كان يتحسن هؤلاء الأطفال كانوا في كثير من الأحيان تتبناهم بعض الأسر من الجوار (1989، 33-34).

ليس من المستغرب أن الكثير من المعارضة لبرامج تحسين النسل جاءت من المجتمع الديني. لم يكن من الممكن أن تكون الظروف مثل البلاهة - المصطلح العام لما يسمى

=

الله جل وعلا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ (254) (البقرة) وقوله تعالى : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢﴾ (92) (آل عمران) ، والآيات والأحاديث كثيرة وليس هذا موطن التوسع في ذكرها . (الناشر)

اليوم بطئاً عقلياً بسبب الجينات أو في كثير من الأحيان البيئة - والأمراض العقلية، سمات موروثة فقط لأن هؤلاء الأشخاص كانوا جزءًا من خلق الله، ويشير جينسيس إلى أنه عندما خلق الله آدم وحواء كانا "جيدان للغاية". يجب أن يكون سبب هذه الظروف شيئًا آخر غير البرنامج الجيني الوراثي البشري الموروث.

كان العديد من الكاثوليك ينتقدون علم تحسين النسل بشكل خاص لأنهم يعتقدون أن الروح البشرية لها أهمية قصوى وليس الجسد البشري والله لا يحكم على الأشخاص وفقا لاختبارات الذكاء أو أشكال الجمجمة ولكن وفقا لصفاتهم الروحية. كان العديد من الأشخاص المتخلفين حقا مرغوبين وودودين ومنتجين وغير متجاوزين. وكمثال جيد علي ذلك الشخص المصاب بمتلازمة داون (ولد 1996). كان الكثير من نقد الكنيسة ضد التطور ذاته، إذ يعتقد غالبية علماء تحسين النسل أن البشر جاءوا من "حيوانات" أقل وإذا كانت هذه الفكرة خطأ فإن أساس حركة تحسين النسل كان معيباً.

كان الصراع بين المسيحية وعلم تحسين النسل كذلك بسبب صراعات تحسين النسل مع عقيدة المسيحية الرئيسة - أي أن البشر من خلال الخطيئة قد سقطوا من حالتهم المرتفعة -[1]. وعلى النقيض من ذلك، فإن عقيدة تحسين النسل تنص على

---

(1) هذا الزعم – أعني توارث خطيئة آدم عليه السلام – قد رد عليه الكتاب المقدس نفسه كما مر ذكر ذلك في سفر حزقيال الإصحاح الثامن عشر : "«مَا لَكُمْ أَنْتُمْ تَضْرِبُونَ هذَا الْمَثَلَ عَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، قَائِلِينَ: الآبَاءُ أَكَلُوا الْحِصْرِمَ وَأَسْنَانُ الأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ؟ 3 حَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، لاَ يَكُونُ لَكُمْ مِنْ بَعْدُ أَنْ تَضْرِبُوا هذَا الْمَثَلَ فِي إِسْرَائِيلَ. 4 هَا كُلُّ النُّفُوسِ هِيَ لِي. نَفْسُ الأَبِ كَنَفْسِ الابْنِ، كِلاَهُمَا لِي. النَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. 5 وَالإِنْسَانُ الَّذِي كَانَ بَارًّا وَفَعَلَ حَقًّا وَعَدْلًا، 6 لَمْ يَأْكُلْ عَلَى الْجِبَالِ وَلَمْ يَرْفَعْ عَيْنَيْهِ إِلَى أَصْنَامِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ، وَلَمْ يُنَجِّسِ امْرَأَةَ قَرِيبِهِ، ... وَسَلَكَ فِي فَرَائِضِي وَحَفِظَ أَحْكَامِي لِيَعْمَلَ بِالْحَقِّ فَهُوَ بَارٌّ. حَيَاةً يَحْيَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ." اهـ . ، لذا فالإسلام لا =

أن البشر قد ارتفعوا من حالة أدنى. حقيقة أن حركة تحسين النسل كانت على خلاف مباشر مع التعاليم المسيحية واليهودية لم تكن غائبة عن مؤيدي الحركة: عدد كبير من علماء تحسين النسل كانوا ينتقدون المسيحية علانية بمن فيهم إيراسموس، وروبرت، وتشارلز وليونارد داروين، بالإضافة إلى جالتون، وهكسلي، وديفينبورت، وويلز، وبيرسون، جميعهم كانوا من الملحدين.

فرانسيس جالتون مؤسس علم تحسين النسل لم يكن فقط ملحدًا، بل كان كذلك معادياً للدين بشكل علني: "بينما كان متسامحًا مع ممارسة زوجته لوليز للدين في البيت، فإنه نادراً ما أضاع فرصة للتعبير عن رأيه في رجال الدين" (كيلفيس 1985، 11). دعا المدافعون عن نهج تحسين النسل معارضيهم بأنهم "عاطفيون" وادعى علماء تحسين النسل أن "الحليف الطبيعي" للعاطفي كان "الواعظ" (هوللر 1984، 46).

معارضة أخرى

كانت النظرة الداروينية إلى أن التقدم البيولوجي للإنسان ناتج عن اختيار الأصلح والقضاء على غير الصالح عرضة لإثارة الصراعات ليس فقط "لغير الصالح"، ولكن كذلك لأولئك القريبين منهم مثل الوالدين. كانت قيمة الإنسان المتفوق هي السبب

=

يدعم هذا الاعتقاد الخاطيء بأن الإنسان قد تدنى بسبب الخطيئة بعدما كان أفضل ، ولكن كل إنسان خلقه الله وجعل له إرادة حرة وهيئ له أسباب الفلاح قال تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان: 2، 3] وهذا ينطبق على كل إنسان سواء كان قبل داروين أو بعده أو لم يولد بعد ، حتى هؤلاء الذين قدر الله لهم العيش في أماكن بعيدة ولم يسمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا بدعوته فإنهم سيُمتحنون في الآخرة ، وإذن لم يتدن الإنسان بما لم يعمل ، ولم يرتفع بما لم يعمل، وكل إنسان قادر على أن يكون في أعلى عليين أو أسفل سافلين. (الناشر)

وراء انتقاد داروين لكل المحاولات المسيحية لمساعدة الضعفاء. حيث صرح في كتابه "أصل الإنسان والاختيار وعلاقته بالجنس" أننا: نبني المصحات ونضع القوانين السيئة؛ ويبذل أطباءنا قصارى جهدهم لانقاذ حياة الجميع حتى آخر لحظة. لقد حمى التلقيح الآلاف من ذوي البنية الجسدية الضعيفة الذين كان يمكن في السابق أن يموتوا بمرض الجدري. هؤلاء الأعضاء الضعفاء في المجتمعات المتحضرة يتكاثرون ويزيدون من نوعهم. لا أحد ممن يعرفون عن تربية الحيوانات الأليفة سيشك في أن هذا يمكن أن يكون ضارًا للغاية بالجنس البشري. إنه لأمر مثير للدهشة كيف أن الرغبة في الرعاية أو توجيهها بشكل خاطيء يؤدي إلى انحطاط السلالة المستأنسة؛ ولكن باستثناء حالة الإنسان ذاته، لا يوجد أحد جاهل بالقدر الذي يجعله يترك أسوأ حيواناته تتكاثر." (1896، 133-134).

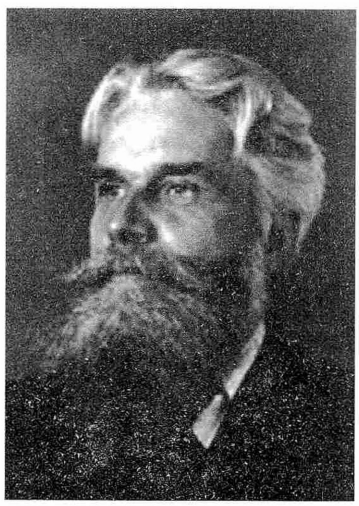

صورة لهافلوك إليس من عام 1913

ولم يكن عالم تحسين النسل متفقًا بشأن الأسئلة الأساسية المتعلقة به. فقد انتقدوا منهجيات بعضهم البعض، والتقنيات الإحصائية التي استخدموها، وبالطبع استنتاجات كل منهم. فقد وقعت حروب شخصية لا تعد ولا تحصى بين أبرز علماء تحسين النسل حول تطبيق السياسة، وكان هناك الكثير من الغيرة حول الدور الذي يقوم به كل واحد منهم.

توجد العديد من النزاعات بين العديد من أنصار تحسين النسل حول الموضوعات الرئيسة ويشمل ذلك مستوى تأثير النمط الجيني على النمط الظاهري وخاصة كيفية

تطبيق هذه المعلومات من أجل تحسين المجتمع. خلص هافلوك إليس إلى أنه يجب تطبيق التعقيم الإجباري كآخر ملاذ لهم. ورأى أن الوسيلة الأساسية يجب أن تكون تعليم ومساعدة الأفراد المتدنيين على إدراك أنّ واجبهم المدني ومسؤوليتهم تجاه عرقهم ألا ينتجوا أكثر من نوعهم، ويجب تطبيق التعقيم الإجباري فقط على القِلة الذين لم تنجح هذه الأساليب معهم. لكن كان واضحًا أن طريقة التعليم هذه لم تنجح أبدًا.

سقوط نهائي لحركة تحسين النسل الأمريكية

ومع اكتمال العديد والعديد من البحوث التجريبية التي أجراها العلماء، والتي كانت على صلة بالكنائس، أصبح من الواضح أن الاستنتاجات الرئيسة لحركة تحسين النسل كانت غير صالحة خاصة أن كثيرًا من الاستنتاجات الرئيسة المختلفة التي استخدمها المتخصصون في تحسين النسل لدعم موقفهم كانت من دراسات ارتباطية لا تثبت السببية. ولذلك كانت استنتاجات سببها التأثر بالاعتقاد السائد ، ولم تكن من الأدلة التجريبية. كان المنطق العقائدي واضحًا بشكل خاص: كان واضحًا للغاية أن الغير إخلاقيين كانوا ضعيفي العقل، وأدت البلاهة إلى سلوك غير أخلاقي.

والمشكلة الأخرى هي أنّ عددًا قليلًا للغاية كان يعرف عن علم الوراثة في مطلع القرن. ولذا تحول بعض العلماء ببطء ضد الحركة أو على الأقل ضد بعض الجوانب الرئيسية للحركة ومنهم هيرمان جيه. مولر وجيه. بي. إس. هالدين، وهربرت جينينجز، وحتى جوليان هكسلي. ليس فقط بسبب التقدم في العلوم، ولكن كذلك التغييرات السياسية، وخاصة تلك التي حدثت في ألمانيا النازية وفي أميركا. عندما أصبحت معروفة أدرك الكثيرون أن استنتاجات تحسين النسل الأساسية لم تكن خطاءًا فحسب

لكنها تتعارض كذلك مع حقوق الإنسان الأساسية.

دعا العديد من علماء تحسين النسل مثل ألبرت إدوارد ويجام إلى تحسين النسل. (1922، 1924، 1925، 1927) كتب ويجام العديد من الكتب والمقالات التي تدافع عن تحسين النسل المتطرف التي باعت الآلاف من النسخ. بعد هزيمة النازية والوعي العام بنتائج تحسين النسل في أوروبا، نفر العديد من الأشخاص المؤثرين من حركة تحسين النسل حيث كان عاملًا مهمًا في سقوطها (موس 1966).

كما رأى الكثيرون احتمال دعمها البشع للانتهاكات، لقد كان أحد الصراعات الرئيسية فقط لتحديد من هو الأدنى. وتحت تأثير الألمان ضم العديد من علماء تحسين النسل اليهود كجنس أدنى، وهي مشكلة لأن العديد من علماء الأحياء البارزين وعلماء الأنثروبولوجيا كانوا يهودًا كذلك. أحدهم كان فرانز بواز من جامعة كولومبيا وهو مهاجر يهودي ألماني حيث أصبح عالم أنثروبولوجيا بارزا. ولكونه عالم يحظى باحترام كبير كتب العديد من الكتب الشعبية لكل من المتخصصين والجمهور العام، وعندما هاجم حركة تحسين النسل لاقى اهتمام الكثيرين. عندما انقلب علم تحسين النسل ضد العلماء اليهود، أحتشد اليهود وزملائهم ضد الحركة ككل.

كانت المشكلة الخطيرة في النظرية هي أنها أرجعت بعض السمات مثل الخجل للجينات وكشفت الأبحاث في وقت لاحق أن العديد من الأطفال الخجولين يصبحون عند البلوغ قادرين واثقين من أنفسهم. ويتضح أن هذه السمات ليست ثابتة بيولوجيًا. وقد تسببت هذه الملاحظات في جعل الباحثين يتساءلون بجدية حول صحة تقييمات الأداء ككل، الأمر الذي أدى إلى الربط مع الاستنتاج بأن مجموعات معينة كانت دون

المستوى من الناحية الفكرية في كافة المجالات. أظهرت هذه الدراسات أن الذكاء الفعال للشخص يتأثر بشكل كبير بتفاعل الوراثة والبيئة. علاوة على ذلك وجدوا أن المزيد من الاختلافات موجودة داخل العرق وليس بين الأعراق المختلفة.

وبسرعة أصبح من الواضح للكافة تقريباً في هذا المجال أن العديد من مزاعم علماء تحسين النسل كانت ضعيفة أو خطأ بشكل علني. حيث أظهر البحث الذي أجراه علماء الأنثروبولوجيا كيف أن الثقافة والتعلم كانا مهمين للغاية حتى في تشكيل الفروق الدقيقة في السلوك. وبينما وصلت المجموعات المزعوم أنها متدنية بيولوجيا إلى الجيل الثاني والثالث في أميركا، فإن الكثيرين أدّوا بشكل جيد للغاية، ووثّقوا حقيقة أن مثل هذه المجموعات لم تكن بها أية عيوب بيولوجية. كانت هناك مشكلة أخرى وهي أنه لم يُحَدَد السود واليهود فقط باعتبارهم أقلية عرقية، بل كذلك كانت هناك أجناس أخرى مثل أيرلندا وويلز والعديد من المجموعات الأخرى.

أثبت باحثون آخرون أن النظام الغذائي والظروف الصحية هامة للغاية قبل وبعد الولادة على حد سواء، وخاصة في ما يسمى بسمة البلاهة. ومن المفارقات أن هناك افتراض قائل بإن البلاهة موروثة دائمًا، لكن الأبحاث أكدت أن العديد من الأشخاص الذين يعانون من نقص عقلي بشكل واضح ينتجون نسل طبيعي تمامًا، ويرجع ذلك جزئيًا إلى العودة إلى الظواهر المتوسطة. كان هذا ينطبق بشكل خاص على الأطفال الذين كان يربيهم الأقارب العاديين وكان لديهم طعام صحي وبيئات إيجابية. إنّ ما كانت تقوم به الحكومة في السابق من تعقيم الأشخاص البلهاء نظرًا لأوضاعهم البيئية السيئة لم يعد معترفا به الآن.

حتى نظرية الانتقاء الطبيعي تعرضت للهجوم. فقد تزايد الإدراك بأن العديد من المصادر المفترضة للاختيار الطبيعي خاصة الحرب والأوبئة والأمراض لم تقتل في الغالب الضعفاء في المقام الأول. لكن كانت الفرصة هى أحد العوامل الرئيسة التي أثرت في من لقوا حتفهم. في حالة الحرب - على سبيل المثال - لم يُقبل أولئك الذين أخفقوا في الجيش، وبالتالي من كان أكثر عرضة للقتل كانوا الأكثر ملاءمة، وذلك عكس الانتقاء الطبيعي. وأولئك الذين قد يكون لديهم القدرة الفطرية لمقاومة مرض معين غالباً ما يعانون من ضعف فطري للتعرض لأمراض أخرى.

وكما أعلن جيه. بي. إس. هالدين في عام 1932، أن مجتمع البشر الذي كان مثالياً سيظل ينتج مجتمعًا ناقصًا. التنوع الوراثي الهائل بين البشر - وكذلك بين النباتات والحيوانات - مهم لأنه سيسمح دائمًا لبعض الأفراد بالحفاظ علي بعض التغيرات البيئية المختلفة. عندما جاء المهاجرون إلى أميركا، كان عدد قليل منهم لديهم الميول الوراثية التي مكنتهم من البقاء على قيد الحياة في بيئة غريبة في أميركا مع الجراثيم الأجنبية ومتطلبات المعيشة الجديدة. ربما لم يكن أولئك الذين بقوا على قيد الحياة الأقوى في الأماكن التي أتوا منها لكنهم كانوا أقوى في البيئة الجديدة. إذا كان كافة الذين جاءوا متطابقين من الناحية الجينية، فمن المحتمل ألا يكون أي منهم قد نجا (جاكوارد 1984).

وعلى الرغم من أن بعض علماء الأحياء الأمريكيين البارزين ظلوا ملتزمين ببرنامج تحسين النسل الأساسي والفكرة القائلة بإن الجنس البشري يمكن أن يتحسن بشكل كبير من خلال أساليب تحسين النسل، لكن البعض الآخر تخلصوا بهدوء من أفكار

العرق. ولسوء الحظ فإن غالبية العلماء لم يعترفوا بأخطاء الماضي حتى عندما تحول الرأي العام بقوة ضد العنصرية الوقحة ككل. وبالنسبة لغالبية الباحثين أصبح أكثر وأكثر وضوحا أن العديد من استنتاجات علماء تحسين النسل لم تكن فقط خطأ ولكنها خطأ بشكل مأساوي تسبب في معاناة هائلة في العالم حتى في أميركا (غلاغير1999).

المراجع

جاك بارزون، 1958داروين، ماركس، فاجنر. جاردن سيتي، نيويورك دبلداير انكور بوكس.

آلان تشيس، 1980تراث مالتوس؛ التكاليف الاجتماعية للعنصرية العلمية الجديدة. نيويورك: الفريد كنوبف.

هاملتون كرافينز، 1978انتصار التطور. العلماء الأمريكيون والوراثة - البيئة الجدل 1900-1941. فيلادلفيا، بنسلفانيا: مطبعة جامعة بنسلفانيا.

تشارلز داروين، 1896نزول الرجل، والاختيار في العلاقة بالجنس؛ أعمال تشارلز داروين نيويورك د شركة ابلتون نشر أول مرة بواسكةمطبعة امس، 1972

نانسي جالاجر، 1999تربية أفضل لفيرمونت. هانوفر ان اتش مطبعةجامعة نيو انجلاند.

فرانسيس جالتون، 1869. عبقرية وراثية. لندن: واتس.

1880 تساؤلات في قدرة الإنسان وتطورها. الطبعة الثانية. نيويورك، نيويورك اي بي دوتون.

فيكتور جيورتزل، وميلدرد جيورتزل 1962، مهد الأيمان. بوسطن، ام ايهليتل، براون وشركاه.

ستيفن جاي غولد، 1996. سوء قياس الانسان. الطبعة الثانية. نيويورك: دبليو. نورتون.

جورج جرانت، 1988. جراند أووز؛ تراث تنظيم الأسرة. برينتوود، تينيسي ولجمات وحياة.

جون سيجرين 1081 العم والأيديولوجية ورؤية العالم. بيركلي، كاليفورنيا: مطبعة

جامعة كاليفورنيا.

جون اس جونيور هالر ، المنبوذين من التطور: المواقف العلمية للدونية العرقية، 1859-1900، اوربانا اي ال — مطبعة جامعة اليوس

مارك اتش هالر1984،؛ المواقف الوراثية في الفكر الأمريكي. نيو برونزويك، نيوجيرسي: مطبعة جامعة روتجرز.

جيرترود هيملفارب، 1959. داروين والثورة الداروينية. نيويورك: دوبليداي.

ريتشارد هوفستاتر، 1955. الداروينية الاجتماعية في الفكر الأمريكي. بوسطن، ام ايه: بيكون.

ألبرت جاكار، 1984. في مديح الاختلافات. نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا.

جريتا جونز، 1980. الداروينية الاجتماعية والفكر الإنجليزي. التفاعل بين النظرية البيولوجية والاجتماعية. نيو جيرسي: الصحافة الإنسانية.

آرثركيث، 1946. التطور والأخلاقيات. نيويورك: ج. ب. أبناء بوتنام.

دانيال جيه كيفليس 1985 باسم علم تحسين النسل؛ علم الوراثة واستخدامات الوراثة البشرية. نيويورك، نيويورك: ألفريد أي كنوبف.

آشلي مونتاجو، 1999. العرق ومعدل الذكاءنيويورك: أكسفورد.

جورج ال موس 1966 الثقافة النازية؛ الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية في الرايخ الثالث. نيويورك، نيويورك: شوكين.

انسيأودوفر، ن2003 علم تحسين النسل الأمريكيالنسل، علم التشريح الغريب وعلم الالقومية. مينيابوليس، مينيسوتا: مطبعة جامعة مينيسوتا.

روبرت ان بروكتر، 1988. النظافة العنصرية: الطب تحت النازيين. كامبريدج، ماساشوستس: مطبعة جامعة هارفارد.

روان دبليو 1955، تشارلز داروين "في معماري الفكر الحديث. تورونتو.تورنتو: براوند كاستنج كوربس.

مارشالساهلينز، 1977. استخدام وإساءة استخدام علم الأحياء نقد البيولوجيا الاجتماعية.. آن أربور،ام اي: مطبعة جامعة ميشيغان.

ساراسون واروين وباربارا ساراسون،1989. علم النفس الشاذ. الطبعة السادسة نيويورك برنتس هول

شانون تي دبليو 1960. علم تحسين النسل. توبيكاكي اس شركة ستاندار للطباعة

مارشالستانتون، 1960.صبغة ليوبارد المواقف العلمية نحو العرق في أميركا، 1815 - 1859. شيكاغو، اي ال: مطبعة جامعة شيكاغو.

مارشالوارنر، 1894. الجمعية الخيرية الأمريكية. نيويورك، نيويورك: توماس وكروويل.

ألبرت إدوارد ويجام، 1922 الحوار الجديد للعلوم جاردن سيتي شركة النشر.

1924فاكهة شجرة العائلة. إنديانابوليس، اي إن: بوبس ميريل.

1925 علامات رجل متعلم. إنديانابوليس، اي إن: بوبس ميريل.

1927العمر القادم للإنسان. إنديانابوليس، إي ان: بوبس ميريل،

ويتكوسكي جان ايه و جون ار انجليس (الناشرين) 2008 دافنبورتس دريم: تأملات القرن الواحد والعشرين حول الوراثة وعلم تحسين النسلميناء كولد سبرنج. ان واي. مكتبة ميناء كولد سبرنج.

الفصل الثامن

تأثير الداروينية الهام على كو كلوكس كلان

مقدمة

العنصرية هي مشكلة اجتماعية كبيرة في العديد من الأمم اليوم، بما في ذلك أميركا. وكانت أكثر المجموعات كارهة العنصرية الأمريكية نشاطاً هي حركة كو كلوكس كلان. ففي القرن الماضي كان لدى كو كلوكس كلان الملايين من الأعضاء (فري 1922). وفي الماضي كان الأطباء والقضاة والمحامين وحتى بعض أعضاء الكونجرس يشاركون بنشاط في كو كلوكس كلان (جيتلين 2009). على الرغم من أن كو كلوكس كلان فقدت الكثير من دعمها خاصة بعد عام 1980، إلا أنّها لا تزال نشطة إلى اليوم. ولهذا السبب فإن دوافع هذه المجموعة تثير الكثير من الإهتمام للحد من هذه المشكلة الاجتماعية (لي 2003). باختصار، ما كان يوجّه كلان هو وجهة النظر بأنّها: " سوف تحمي الفضائل النبيلة التي يعرف كل أبيض جنوبي أبديتها. باختصار، كان الكلانسمِن[1] ينظرون إلى السود على أنهم جنس أدنى يجب إخضاعه، لحماية البيض من انعدام القانون والجريمة واستئصال السلالة البيضاء" (مارتن 2007، 18).

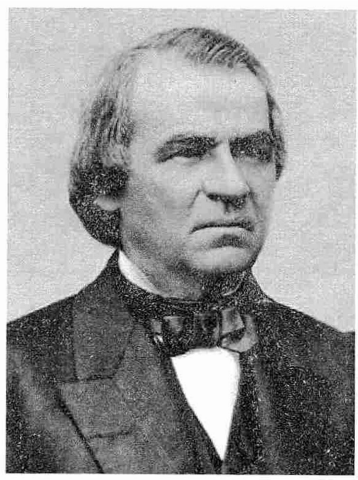

الرئيس أندرو جونسون، ونقض مشروع قانون الحقوق المدنية لعام 1866

هذا الهدف قبله الرئيس أندرو جونسون، الذي استخدم حق النقض ضد مشروع قانون

(1) الكلانسمِن: هم أعضاء حركة كو كلوكس كلان.(الناشر)

الحقوق المدنية لعام 1866. أوضح الرئيس الأمريكي أنّ السبب وراء استخدام حقه في النقد هو أنّ: "الحكومة الفيدرالية لم تستطع حماية أي مجموعة من التمييز والزنوج بشكل أكبر. وبتعبير غير مؤكد، أعرب عن رأيه بأنّ: "التمييز بين العرق واللون يكون من خلال مشروع القانون الذي ينفذ لصالح اللون والمناسب ضد العرق الأبيض". استشهد بمخاوف التزاوج العنصري والتعبير عن ايمانه بأنّ السود يفتقرون إلى الفهم الكافي "لطبيعة وخصائص مؤسساتنا"، وكرر ما كان منتشرًا في جميع أنحاء البلاد بأنّ الزنوج ببساطة، أقل شأنًا من البيض. وأكّد جونسون - خلافًا لسلفه - بأنّه غير قادر أو غير راغب في المساومة أو أن يأخذ في الاعتبار أي آراء أخرى خلافًا لرأيه" (مارتينز 2007، 37).

استخدام حركة كو كلوكس كلان الداروينية لتبرير وجهة نظرها حول دونية السود

كانت المقارنة الداروينية بين السود مع القردة و "المتوحشين" موضوعًا شائعًا في خطابات وأدبيات كو كلوكس كلان. وكما كتبت "كلان ووتش"، فإن "النظريات الرسمية للتفوق العرقي والدونية لم تظهر حتى أوائل القرن التاسع عشر، وقد أتت هذه النظريات من مختبرات وجامعات أوروبا، من رجال العلم (تيرنر 1982، 34) وقد أضاف تيرنر أنه في أوائل القرن التاسع عشر: "كان علم الأنثروبولوجيا متورطا في جدل حول ما إذا كانت كافة أجناس البشر تنحدر من سلف واحد مشترك أو ما إذا كانت الأجناس المختلفة ذات أصول مختلفة. كان النقاش الثقافى فى كثير من الأحيان متطابقًا فى أميركا باعتقاد العديد من البيض أن السود والهنود ليسوا بشرا. أقنعت نظرية تشارلز داروين غالبية العلماء أنّ لدى كافة البشر أصول مشتركة، ولكن البعض استمروا في

الاعتقاد بأن هناك اختلافات هامة بين الأعراق وأن العرق الأبيض كان متفوقًا على كافة الآخرين" (تيرنر 1982، 34).

وقد استنتج بروفيسور هارفارد – ستيفن جاي غولد – أن "الحجج البيولوجية للعنصرية من الممكن أنها كانت شائعة قبل عام 1859، لكن زادت أهميتها بعد قبول نظرية التطور" بعد أن نشر داروين أعماله الملحمية حول التطور في عام 1859 (1977، 127). على الرغم من القبول الواسع للتطور العنصري، لم يستطع العلماء إنكار حقيقة أن التداخل كان معيارًا مقبولًا لتحديد الأنواع الشائعة وقد كثرت الأدلة على أن الأزواج المختلطين العرقيين يمكن أن يولّدوا نسلًا خصبًا. وعادة ما ينسب تنوع المظاهر المادية بين الشعوب من مختلف أنحاء العالم إلى آثار البيئة والمناخ والنظام الغذائي. لقد كان يُعتَقد أنّ الحضارة يمكنها تغير لون البشرة، والهيكل العظمي والعمليات الفسيولوجية. وبمرور الوقت يتكيف السكان مع بيئات جديدة. على سبيل المثال، أدت كثافة الشمس في المناطق المدارية إلى جعل بشرة الأفارقة داكنة، الأمر الذي جعلهم أكثر قدرة على تحمل المناخ الحار. وهكذا، فإن القصة الإنجيلية لنزول الجنس البشري عن آدم وحواء كانت مدعومة إلى حد كبير بفكر علمي. وكانت وحدة الأنواع تنطوي على أصل مشترك وكانت القدرة البشرية على التكيف مع البيئات مسؤولة عن التنوع العنصري (نيلسون 2003، 165).

عندما أصبحت الأفكار الداروينية مقبولة على نطاق واسع، أصبحت العلاقة بين العلم والمسيحية متوترة. وبحلول القرن الثامن عشر، كان من الصعب الضغط على الأوروبيين لجعل أفكارهم تتوافق مع الكتاب المقدس، وبدأ بعض المفكرين الاستمتاع بفكرة أنّ البشر ربما

ليسوا جميعًا جزءًا من العائلة ذاتها. وليس من المستغرب رفض غالبية المسيحيين لنظرية الأصول المتعددة محتجين بأنّ قصص الخلق في سفر التكوين، والمعتقدات المسيحية حول عموم الخطيئة وتضحية المسيح من أجل الخلاص كل هذا يُثبت نظرية الأصل الواحد، أي أنه يوجد أصل واحد لكل الأعراق البشرية (نيلسون 2003، 165-166).

بحلول عام 1871، بدأ قبول داروين المتزايد بشكل سريع في تغيير هذا، ونتيجة لذلك أصبحت ما قبل الآدمية أكثر شعبية حتى حركة الحقوق المدنية. كانت معظم المراجع التي استخدمها كو كلوكس كلان لدعم العنصرية كانت لعلماء عاشوا وعملوا من أواخر القرن التاسع عشر إلى حوالي 1950. وقد استعرضت إحدى نشرات كو كلوكس كلان عام 1934 قضية العنصرية الداروينية عن تفوق العرق الأبيض، وأضافت: "بعد أن انتشل البيض الزنوج من الهمجية، ليس مفروضًا علينا أن نحمله على أكتافنا. - القراءة والكتابة والحساب وكل ما يمكنهم أن ينتفعوا من استيعابه - بغض النظر عن عدد الكتب التي تدخلها في رأسه، لقد خلقته الطبيعة متدنيًا. ولو في وقت نزل الرجل الأبيض بمستواه إلى مستوى الزنجي. فستكون جريمة ضد الحضارة يعاقب عليها. وعادة

موكب كو كلوكس كلان عام 1926

ما يكون الزنوج الذين يبدوا عليهم الذكاء مهجنين، يسير في أوردتهم دم رجل أبيض. إنّ السود أنقياء الدم الذين أظهروا صفات فكرية وأخلاقية متفوقة على صفات القرد قليلون ويوجدون على فترات متباعدة (مقتبس من نيوتن 2010، 96).

وعلى العكس من ذلك، يعلن الكتاب المقدس بشكل لا لبس فيه عن تماسك العائلة البشرية، مثلًا: أن "الله قد خلق كافة أمم البشر من دم واحد" (العهد الجديد 17: 26، طبعة الملك جيمس)، وآدم كان "الرجل الأول" أب لكافة البشر (1 كورنثوس 15:45، 47). علاوة على ذلك: قرأ غالبية المسيحيين الأمريكيين في أوائل القرن التاسع عشر قصص الخلق في الكتاب المقدس على أنها تاريخ حقيقي. لقد اعتقدوا أن الله قد خلق آدم وحواء قبل حوالي ستة آلاف عام – بعد فترة وجيزة من بدء باقي الكون –. ثم تكاثر نسل أول زوجين بسرعة كبيرة – ربما بسبب طول العمر الاستثنائي – وبسرعة ملأوا الأرض. هذه المعلومات – المستقاة من الكتاب المقدس – لم تتوقف على الفكر المسيحي وحده، فقد دعمها العلم بمزيد من التفاصيل (نيلسون 2003، 162).

على الرغم من أنّ العديد من الكلانسمِن يعتقدون أن الإنجيل هو كلمة الله، لكنهم غالباً ما حاولوا الجمع بين التطور والمسيحية في شكل من أشكال التطور الإلهي، مما أدى إلى التناقض التالي: "إن العديد من العنصريين المتشددين يتأثرون بمجرد رؤية شخص أسود يتجول في الشارع ويشعرون بالاشمئزاز الشديد من مظاهر الاختلاط العرقي وخاصة تلك الزيجات المختلطة. بل إن البعض يدّعي بأنهم

استخلصوا دليلاً من الكتاب المقدس على دونية السود ومخاطر الاندماج معهم" (2009، 47).

إنّ الذين اعتمدوا على الكتاب المقدس لدعم وجهات نظرهم العنصرية التطورية كان عليهم في كثير من الأحيان تشويه تعاليمه الواضحة بشكل كبير. على سبيل المثال: قدّم القس روبن سوير العقيدة البريطانية - الإسرائيلية - وكثيرًا ما يطلق اليوم عليها "الهوية المسيحية"- إلى الكلانسمين في ولاية أورغون. وقد أعلن مذهبهم العنصري أنّ الأوروبيين القدماء - وليس اليهود الحاليين - كانوا في الواقع "قبائل إسرائيل المفقودة" ولهذا السبب كانوا :"ورثة شرعيين لعهد الله القديم. واليهود الذين يتظاهرون بأنهم "الشعب المختارون" من قِبل الإله فإنّهم محتالون، والأسوأ من ذلك أنّ بعض الطوائف تعتقد أن اليهود الأوائل جاءوا من تزاوج حواء مع إبليس في جنة عدن (الذي أنتج أول قاتل - قابيل). وقاموا بدورهم بإجراء تجارب مختلفة في عصور ما قبل التاريخ أدت إلى زعم إنشاء "أجناس من الطين" - غير البيض - الذين كانوا يسكنون إفريقيا وآسيا وأميركا ما قبل كولومبوس (نيوتن 2007، 42).

محاولة أخرى شائعة للجمع بين التطور والمسيحية تعد شكل من أشكال نظرية الأصول المتعددة (فكرة أن الأجناس لها أصول منفصلة) تسمى نظرية ما قبل الآدمية والتي نصّت على: "أن خلق الله الأجناس الدنيا - ويطلق عليها "وحوش الأرض" في سفر التكوين 2:20- قبل خلق آدم وحواء. وهكذا فإن "هيمنة" آدم المعترف بها إلهيًا على تلك "الوحوش" يبرر العبودية أو الفصل العنصري أو حتى الإبادة الجماعية. وقد اعتنق حلفاء كلان - وليام دادلي بيلي وجيرالد إل. كيه. سميث - الهوية المسيحية في ثلاثينات القرن العشرين، في حين ظهر " الكلانسمِن " ويزلي سويفت باعتباره الناطق الرسمي باسم الطائفة بعد الحرب العالمية الثانية (نيوتن 2007، 42).

لطالما رفضت الكنيسة المسيحية نظرية ما قبل الآدمية، وأولئك الذين "اعتنقوا نظرية ما قبل الآدمية بالتأكيد مدانون" (براون، 2003، 122-123). هذه النظرية ما قبل الآدمية وردت بالتفصيل في ما كتبه المحامي وقائد حركة كو كلوكس كلان - روس بارنيت - : "أعتقد أن الرب الصالح فعل الفصل العنصري الأساسي. فخلط الأجناس يؤدي حتمًا إلى إنتاج هجين أدنى. الزنجي مختلف لأن الله جعله مختلفًا: جبينه يميل إلى الخلف وأنفه مختلف وشفاهه مختلفة ولونه مختلف بالتأكيد" (اقتبس من كتاب نيوتن 2010، 117).

يعد هذا الرأي مجموعة متنوعة من نظرية ما قبل الآدمية، وبعض نظريات ما قبل الآدمية تذهب لما هو أبعد من ذلك. أحد مؤيدي القوة البيضاء النشطين - آدم وايت (وهو اسم مستعار للي هولواي)- كتب أن الزنجي "هو وحش الأرض وهو مُغوي حواء". توضح نظرية وايت لماذا "استمر العديد من الأمريكيين الأفارقة في النظر إلى الأصول المتعددة باعتبارها تهديدًا أكبر من الداروينية" لحقوقهم المدنية (نيلسون 2003، 176). وقد اعتنق نظرية وايت الأكثر تطرفًا بعض أنصار كو كلوكس كلان وغيرهم من العنصريين. تنص النظرية على أنّه "لا يوجد حيوان غير الزنجي، يطابق وصف الحيوان الذي يسمى" الثعبان" في جنة عدن". والأدلة على هذا الإدعاء هي:

1. قوة الثعبان في الكلام. لقد تحدث الشيطان عن طريق الثعبان. والزنجي يلائم الوصف على أنه "وحش الأرض" القادر على الكلام، لأن الزنجي كان يمتلك دائماً القدرة على الكلام.

2. يمتلك الزنجي درجة مرتفعة من الذكاء مقارنة بالحيوانات الأخرى. إنّ وصف "الثعبان" على أنه "أكثر دهاء" أو أكثر حكمة هو الأنسب في تصور أنّه زنجي.

3. وفقًا للسجلات، لم تُظهر حواء أية مفاجأة من قدرة الثعبان على الكلام. إذا كان المغوي شئ مألوف كالزنجي، فمن الواضح أنها لم تكن مفاجأة لحواء.

4. اللعنة الملقاة على الثعبان لجعله يمشي على بطنه لها معنى حقيقي عند تطبيقها على الزنجي.

وأضاف أن الزنجي:

لُعن دونًا عن وحوش الأرض الأخرى، كان فوق كل الوحوش الأخرى بإجباره عل الزحف.

5. وحش الحقل كان من آكلى لحوم البشر وآكلى الخضروات. مثل هذه العادات الغذائية موجودة تحديدًا لدى الزنجي، ولا سيما في حالته البرية أو الطبيعية. إن الزنجي معروف جيدًا بأكل لحوم البشر.

6. إذا كان الثعبان زنجيًا، فلدينا مخلوق موضوع تحت هيمنة آدم وهو ما يفسر كيف كان آدم يبقي جنة عدن في حالة ملائمة. القليل فقط من الحيوانات يمكن استخدامه في العمل، والزنجي هو الحيوان الوحيد القادر على القيام بأعمال يدوية صغيرة تتطلب أدوات. الزنجي هو الأكثر قدرة على إتباع الأوامر المنطوقة من الحيوانات الأخرى. "وحش الحقل" (الزنجي) موصوف بشكل محدد في إرميا 27: 6 على النحو الذي أعطى به للملك نبوخذ نصر "لخدمته". من الواضح أن كان الزنجي خادمًا للإنسان من البداية (وايت 1966، 5-6).

أوضح وايت أن أكل الفاكهة المحرمة كان تمردًا على سلطة الله، لأن آدم قبل "مشورة حيوان - الزنجي -. حواء وآدم كان عليهم سيادة الحيوانات وليس العكس. بالكاد يمكن أن يكون هناك شئ مثير للغضب أكثر من التفكير في البشر - الذين خلقوا

على هيئة الله القدير[1]- يتدنون بحيث يسمحون لمن هم أدنى بتقديم النصح لهم. هذا هو بالضبط ما فعله آدم وحواء. وسرعان ما تبعت خطيئة آدم وحواء في اعتبار نصيحة مجرد حيوان فوق الأوامر الإلهية المباشرة، خطيئة الاندماج (التزاوج بين البشر والزنوج). على ما يبدو أن هذه هى الخطيئة الأولى ارتكبها قابيل - القاتل الأول -. لإثبات هذه النقطة أشرنا ببساطة إلى حقيقة أن قابيل كان لديه زوجة قبل أن يكون لدى آدم وحواء أي بنات. لم يتبق سوى احتمال أن تكون زوجة قابيل زنجية" (وايت 1966، 6).

ثم وثق وايت استنتاجاته بالاقتباس من العديد من العلماء والأساتذة التطوريين المعروفين مثل إرنست هيكيل الذي كتب في كتابه "تاريخ الخلق" أن: "عالم الحفريات الممتاز كوينستيدت كان على حق في قوله إن "إذا كان الزنوج والقوقازيون من القواقع فإن علماء الحيوان سيوافقون في كافة أنحاء العالم على أنهم يمثلون نوعين مختلفين للغاية لا يمكن أن يكونا قد خُلقوا من زوج واحد عن طريق التباعد التدريجي" (مقتبس من وايت 1966، 7).

يضيف وايت نقلاً عن أنصار التطور - تشارلز موريس (1988) وإرنست هيكيل - : "قد يمكن ملاحظة أن كافة القبائل الهمجية في الأرض تنتمي إلى الأجناس الزنجية أو المنغولية، ومن ناحية أخرى فإن الاجناس القوقازية تمثل الحضارة. لم يسجل أي مسافر

---

(1) هذا وفقًا للنصرانية، وأما في الإسلام فإن أئمّة الدين قرروا وكرروا في كتبهم: أن ثمة قدرًا مشتركًا بين الخالق والمخلوق؛ فالله سبحانه وتعالى سميع بصير عليم، وإن كان الإنسان يُوصف أيضًا بأنه سميع وبصير وعليم، مع الفارق الكبير بين سمع الخالق وسمع المخلوق، وبصر الخالق وبصر المخلوق، وعلم الخالق وعلم المخلوق، وكذلك إن اتصف الإله بصفة كصفة اليد أو صفة الوجه؛ فإن الفارق بين يد الخالق ويد المخلوق كالفارق بين سمع الخالق وسمع المخلوق، فالاختلاف بين صفة الخالق وصفة المخلوق كالاختلاف بين ذات الخالق سبحانه وذات المخلوق، وهذا هو معنى الحديث الصحيح: "**إن الله خلق آدم على صورته**"، يعني: سميعًا بصيرًا، وكل ذلك يدخل تحت قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [آية 11، سورة الشورى]. (الناشر).

أو مؤرخ قبيلة همجية من القبائل القوقازية" (الجنس الآري 1888، 23). على الجهة الأخري البعيدة من الخليج يقف الزنجي الجاهل الذي لا يسجل له التاريخ أي إنجازات. عاش آلاف السنين على الأرض دون إنجازات كما هو الحال مع الغوريلا. على الرغم من وجوده الكامل إلا أنه يعيش فقط باعتباره همجيًا أو خادمًا. لا "توجد أمة ذات شعر مجعد لها تاريخ هام" (وايت 1966، 7).

بعد ذلك اقتبس وايت من أتباع نظرية التطور الآخرين، مثل البروفيسور وايمان لدعم نظريته: "لا يمكن إنكار أنّه مهما اتسع الفاصل بين الزنجي وإنسان الغاب إلا أنّهما يستوفيان النقط التي – عند النظر في الهيئة العامة لكل منهما – تجعل الإنسان والحيوان يتقاربان". ويقتبس البروفيسور هيكل [من أحد المسئولين] حيث يقول: "أرى الزنجي بوصفه نوعًا أدنى من البشر، ولا أستطيع اعتباره بشر أو أخ، لأن الغوريلا عندئذ يجب أن تُقبل في العائلة." ... "يقول توبنارد في شرح السبب الحقيقي للفروق في البشرة المشاهدة بين ما يسمى "بالأعراق البشرية": "وهكذا أظهرت أعلى السلطات العلمية أن بشرة الزنجي السوداء عديمة اللون نتجت من تخلل الصبغة السوداء بين طبقتي الجلد الداخلية والخارجية ... والفرق بين دم الرجل الأبيض ودم الزنجي أُثبت من خلال اختبار تجريبي. بشرة الرجل الأبيض تصبح سوداء عند دمجها مع لحم زنجي. وتتحول البشرة السوداء المدمجة مع رجل أبيض إلى اللون الأبيض. لا شيء سوى الدم يمكن أن ينتج هذا التغيير" (مقتبس من الأنثروبولوجيا للشعب) (وايت 1966، 7).

ويضيف وايت أن الشعر الطويل المنسدل للعرق الأبيض "في تناقض تام مع الشعر القصير والمتعرج للزنجي"، وعلاوة على ذلك فإن "الجمجمة الواسعة نسبياً للبيض

تتناقض تناقض تام مع الجمجمة الطويلة الضيقة للزنجي". واستنتج أن "طول وضيق جمجمة الزنجي هي سمة من سمات القرد" (وايت 1966، 7).

ويضيف وايت نقلاً عن أستاذ علم الأنثروبولوجيا في جامعة ميتشيغان ألكسندر وينشل (1978)، الذي حاول مزج المسيحية والتطور معًا، يقول البروفيسور وينشل: "يبدو أن عرضًا نسبيًا معينًا للجمجمة يرتبط بالطاقة والقوة والقدرة التنفيذية". وهذا يفسر افتقار الزنجي إلى القدرة التنفيذية؛ لقد جعله الله كذلك. يمكن رؤية أهمية هذا بسهولة عندما نتوقف مؤقتًا لإظهار أن المهمة التي أُسنِدت للإنسان عند خلقه تتطلب أعلى قدرة تنفيذية. ... يبلغ متوسط وزن المخ للأوروبيين ذكورًا وإناثًا 1340 جرامًا، بينما الزنجي 1178، والهوتنتوت[1] 974، والأسترالي 907."

أوضح وايت أن أهمية هذه المقارنات تصبح واضحة عندما نقرأ أنّ: "بروكا – أبرز علماء الأنثروبولوجيا الفرنسيين – قال أنّه عندما ينخفض المخ الأوروبي إلى ما دون 978 جرامًا (يعني الذكور والإناث) فإن النتيجة هي البلاهة ... لون مخ الزنجي أكثر قتامة من لونه عند البيض، وكثافته وقوامه أدنى. تكون التلافيف أقل وأبسط وتقارب تلك الموجودة في ذوات الأربع (الرئيسيات ولا تشمل الإنسان) (مقتبس من وينشيل في ما قبل الآدمية).

"إن الفك القصير والضيق نسبيًا للبيض يتناقض مع الفك الطويل العريض عند الزنجي. طول وعرض فك الزنجي من سمات القردة. فك الزنجي – مثله مثل أي قرد آخر – "يمتد إلى الأمام على حساب تناسق الوجه وإلى الخلف على حساب تجويف المخ" يقول كاترفاغز: "من المعروف جيدًا أن وجه الزنجي وبخاصة الجزء السفلي

(1) الهوتنتوت أو الخويخوئيون: هم أحد المجموعات العرقية التي تتواجد في جنوب غرب افرقيا؛ ناميبا بالتحديد.(الناشر)

كل شئ فيه متوجهه إلى الأمام" (مقتبس من أنواع الإنسان).

ثم يقتبس وايت من عالم الأنثروبولوجيا الفرنسي الشهير بول توبينارد الذي كتب: "إنّ المساحة بين عيني الزنجي أكبر وأوسع من الأبيض" (توبينارد 1894، 489) (وايت 1966، 8-9). هذا الرأي يتطلب رفض التعاليم الكتابية الواضحة حول أصول كل البشر. كما أن مراجعة كتابات العنصريين المعاصرين المعروفين - مثل ديفيد ديوك - أكدت كذلك أن الأفكار الداروينية هامة للغاية في تطوير أفكارهم العنصرية والحفاظ عليها. ترأس ديوك - وهو أبرز عنصري في أميركا اليوم - أكبر منظمة مؤمنة بسيادة البيض في العالم. يمكن قياس تأثيره من خلال حقيقة أنّه انتُخِب للعمل في كونجرس ولاية لويزيانا. كتاباته واسعة النطاق حول التأثير المركزي للأفكار الداروينية على تطوير وجهات نظره العنصرية مُراجعة أدناه:

"بدأت نظريات ما قبل الآدمية في منتصف القرن السابع عشر، لكن كان ينظر إليها دائمًا على أنها بدع ابتدعها المسيحيون الرئيسيون. على سبيل المثال، حاول إيزاك دي لا بيرير أن يشرح ليس فقط التعاليم التطورية المبكرة حول الإنسان البدائي، بل تعاليم بعض آيات الكتاب المقدس الإشكالية. فقد جادل بأنّ الكتاب المقدس نص على أن آدم وحواء لم يكونا أول البشر فعلًا، بل مجرد أبوين للشعب اليهودي، وأنّ كافة الأجناس الأخرى خُلقت قَبل آدم وحواء لكن لا تنتمي إلى قصص العهد القديم الذي لا يهتم إلا بالشعب اليهودي. لقد فسرت ما قبل الآدمية - وجود بشر قبل آدم - عددًا من المشكلات المحرجة في بعض القصص التوراتية، مثل كيف وجد قابيل زوجة عندما كان هو وأخوه ذريتا آدم وحواء فقط، ومن كان يسكن أرض نود التوراتية. وقد

أُدين العمل اللاهوتي للا بيرير بأنّه هرطقة طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر. وقد تدفقت العديد من الأفكار الأوروبية حول ما قبل الآدمية لأكثر من قرن بعد لا بيرير. اضطر لا بيرير نفسه للتراجع، ولكن أفكاره لم تُنس" (نيلسون 2003، 164).

ومع ذلك ساد العلماء لأن نشطاء التطور الأوائل وعلماء الأعراق كانوا متأثرين بالاختلافات بين البشر أكثر من أوجه التشابه بينهم. وفي أوروبا وأميركا، استمرت القصص المثيرة التي تناولت تزاوج الهوتنتوتس مع الغوريلا أو الأورانجوتان كدليل على مدى الاختلاف بينهم وبين هؤلاء الأشخاص البعيدين. كما اقترحوا تدرجًا للأنواع البشرية من أولئك الأقرب إلى الحيوانات إلى الأبعد (نيلسون 2003، 165).

تأثير داروين العنصري في كو كلوكس كلان والجماعات العنصرية الأخرى ظهر في تحول ديفيد ديوك من مسيحي مؤمن بنظرية الخلق إلى تطوري ملحد.

قصة ديفيد ديوك

ديفيد ديوك، زعيم العديد من الجماعات العنصرية – بما في ذلك كو كلوكس كلان والحزب النازي الأمريكي – "أصبح نجم موسيقى الروك السياسي" وواحد من أكثر الأمريكيين شهرة في العقد الماضي (زاتارين 1990، 10) علاوة على ذلك، عمل ديوك مع كل عنصري أمريكي بارز تقريباً خلال الثلاثين سنة الماضية (بريدجيس 1994، 41، 115). يمكن قياس مدى شعبية ديوك بحصوله على 680,000 صوت في جولة مقاطعة لويزيانا الانتخابية عام 1991 وأُنتخب ليعمل في الكونجرس لولاية لويزيانا (بريدجيس 1994، 2).

خلفية ديفيد ديوك الدينية

نُشأ ديوك منتميًا إلى الميثودية البروتستانتية (كان والده مدرسا في مدرسة الأحد) وحضر في وقت لاحق كنيسة المسيح (ديوك 1998، 256). يشرح ديوك في سيرته الذاتية تفاصيل نشأته الدينية المبكرة ولماذا رفض فكرة الخلق "وأن هناك أصل واحد لكل الأعراق من آدم". لتعلم "كيف نشأت الاختلافات العرقية" كان عليه أن يدرس نظرية التطور بالتفصيل (ديوك 1998، 89). باختصار عندما قبِل الداروينية رفض الكتاب المقدس وتعاليم كنيسته ولكن، بدلاً من ذلك اعتمد على العلم الذي كان حقيقة بحسب استنتاجه.

وبمجرد إدراكه لتعاليم الداروينية حول "حقائق الاختلاف العرقى"، أدرك أنه "من خلال التعرف على القوى التطورية التى خلقت الأعراق المختلفة يمكننا أن نفهم شخصية وسلوك مختلف الأعراق، بما فى ذلك عرقنا نحن" (1998، 90). وأشار إلى أن العديد من الداورينين استخدموا مصطلحات "العرق" و"التكاثر" بالتبادل ومن ثمّ أُجريت البحوث على تطور "السلالات" الحيوانية إلى البشر.

لم تكن صراعات ديوك مع الكنيسة فقط حول الداروينية، ولكن كذلك وخصوصًا مع معارضة الكنيسة للعنصرية. وقد تحسّر على حقيقة أنّه عندما تخرج من الكلية في منتصف السبعينيات، تزايد عدد الكنائس التي تُعلّم أنّ العنصرية خطيئة (257).

معركته الدينية

حاول والد ديوك – وهو جيولوجي – التوفيق بين التطور والمسيحية من خلال الاستنتاج بأن التطور هو الوسيلة التي استخدمها الله لخلق الحياة. وضعت هذه الخلفية

الأساس لقبول ديوك فيما بعد للداروينية. بينما كان يقرأ أكثر فأكثر حول "القضية العلمية للعرق" أصبح ممزقاً بين دينه وعلمه (زاتارين 1990، 80). كان يقرأ وهو صبي بانتظام عن العلوم في مجلة ملخص العلوم وناشيونال جيوغرافيك، ومجلات علمية أخرى (ديوك 1998، 21).

شارك ديوك في الأبحاث حول الداروينية بينما كان لا يزال يحضر مدرسة كنيسة المسيح في نيو أورليانز. ونتيجة لدراسته للتطور، تحدّى ديوك علانية معلميه في مدرسة الأحد من خلال مناقشة أفكاره المتطورة حول أصل البشر وتأثيرهم في العنصرية. عند السعي إلى دمج معتقداته الداروينية العنصرية مع المسيحية استخدم ديوك العديد من التفسيرات التي استخدمها أنصار التطور من الموحدين اليوم لتسويغ العبارات البسيطة حول نظرية الخلق في سفر التكوين.

وفي النهاية إتخذ ديوك جانب الداروينية ورفض فكرة الخلق. وخلص إلى أنّه "في كل يوم يمر يظهر المزيد من الأدلة على الاختلافات الديناميكية الوراثية بالولادة - البدنية والفسيولوجية - بين الأعراق" (1998، 103). لذلك أنهى "التزامه العابر" بالمسيحية الأرثوذكسية (بريدجيس 1994، 7). على الرغم من أنه لا يزال يستخدم في كتاباته العبارات الدينية مثل: لو "أمكنني أن أحرك شعبنا بوصة واحدة نحو الله، حياتي ستكون ذات أهمية" (ص 273).

تحكي حياته قصة مختلفة تمامًا. باختصار، بعد قبوله للداروينية، صنف ديوك دون خجل كلا من الأعراق الأوروبية والآسيوية على "أنّها مستوى أعلى من التطور البشري من العرق الأفريقي" (1998، 103). وخلص إلى أنّ "تطور الإنسان من البدائية إلى

حالته الحديثة من صنع الطبيعة" (1998، 104). يؤمن ديوك الآن بقوة بأن "كل الحياة على الأرض قد تطورت ولا تزال تشهد تغيرًا" (1998، 101).

كان من العوامل المهمة بشكل خاص في تحول ديوك إلى الداروينية: "الدليل القاطع على عمر الأرض الطويل - مثل العصور الجيولوجية التي استغرقها رفع جبل إيفرست من قاع البحر" (1998، 103). هذا الدليل جعل ديوك يرفض فكرة الخلق في الكتاب المقدس (بالرغم من أنها مفسرة بتوسع) وقبول تفسير الداروينية. يبرز دليل عمر الأرض الطويل كذلك في الحجج العنصرية التي تبناها ديوك. وخلص إلى أن مقدار الوقت الذي يعتقد الداروينيون أن السود والبيض استغرقوه لينفصلوا عن طريق التطور هو أكثر من كافي لإنتاج ما يعتبره اختلافات عميقة موجودة بين الأجناس البشرية (ديوك 1998، 90-91).

كما جادل ديوك بأنّ: "إنكار حقيقة العرق هو مثال جيد على تعلق المؤمنين بالمساواة بين البشر بأي قشة. وهناك مجموعة هائلة من الأدلة العلمية التي تثبت وجود سمات وخصائص تميز السلالات المختلفة وراثياً من الجنس البشري، تماماً كما توجد سلالات مختلفة وراثياً من الكلاب أو القطط" (1998، 87). وتأكيدًا على نظرية داروين التدريجية، جادل ديوك بأنّ الزيادة في متوسط معدل الذكاء لإنتاج ما خلص إلى أنّه الانحراف المعياري القياسي للفرق القائم اليوم بين معدل الذكاء لدى السود والبيض، ولتقليل تأثير عامل البيئة في النتائج، يتطلب الأمر زيادة متوسط معدل الذكاء بمقدار ضئيل للغاية - جزء صغير من الواحد بالمائة (0,003)- في كل جيل من البيض. اعتمد هذا الاستنتاج على أعمال أخرى مثل أعمال بنديل (1951)، والتي

أعادت النظر في أبحاث معدل الذكاء والعرق، وخلصت إلى أن الوراثة تلعب "دورًا رئيسيًا في القدرات العقلية" (ص 188).

قام ديوك بطريقة ساخرة بتسمية "المؤمنين بنظرية الخلق - الذين يؤمنون بأنّ الله خلق البشرية وكل الطبيعة بشكل فوري - "مؤيدي المساواة بين البشر"، وتحسّر على حقيقة أن المساواة بين البشر أصبحت "عقيدة عصرنا". كان ينتقد بشكل خاص نظرية الخلق لأن المؤمنين بها يؤمنون بالمساواة ويقولون بأنّ "الله خلقنا جميعًا سواسية". وقال إنه استغرب كيف ساعد الإعلام الجماهيري في تحويل "كلًا من المجتمع العلمي - الذي تبنى نظرية التطور - والمجتمع المناقض له تمامًا - من أنصار نظرية الخلق - على إطلاق عقيدة تقريبًا متطابقة تنص على المساواة بين البشر" (1998، 102-103). أدعى ديوك أنّ "أي شخص في المجتمع الديني تجرأ على قول حقيقة العرق - دونية الزنوج - اتُّهِم بأنه ضد الله ذاته" (ديوك 1998، 103).

لم يستخدم ديوك الحجج الداروينية فقط لتبرير العنصرية، بل استخدم كذلك اقتباسات من الكتاب المقدس موضحًا مدى أهمية الإيمان في الوصول إلى النتائج. على سبيل المثال، اقتبس من الكتاب المقدس الآيات التي ذكرت أن العبيد يجب أن يكونوا مطيعين لأسيادهم على الأرض (أفسس 6: 5، تيموثاوس 6: 2، وتيتوس، 2: 9-11). لا يمكن استخدام هذه الحجة لتبرير العنصرية الأمريكية لأن العبودية في الأيام التوراتية كانت مختلفة تمامًا عن تلك التي كانت تمارس في الجنوب الأمريكي قبل الحرب الأهلية. ففي الأيام التوراتية، يمكن أن يصبح العبد في روما حرًا من خلال الجدارة والعمل (حتى أن البعض أصبحوا ملوكًا أو مسئولين كبار).

ومن أساسيات عنصرية ديوك الاستنتاج القائل بإن علم الوراثة أساسي لتحديد مجموعة كبيرة من السمات، بما في ذلك الانحراف الجنسي والاختلافات بين الذكور والإناث والشذوذ الجنسي وغير ذلك من السمات. تتشابه استنتاجاته في هذا المجال مع استنتاجات رواد تحسين النسل الأوائل الذين لعبوا دورًا هامًا في التاريخ الأمريكي في مطلع القرن الماضي، وكذلك في ألمانيا أثناء الحكم النازي. ناقش ديوك بشيء من التفصيل كل من تحسين النسل الإيجابي والسلبي مع دعمه لكليهما.

أحد المخاوف التي ناقشها ديوك باستمرار هي تردّي السلالة؛ انحطاط العرق الذي خلص إلى أنّه ينتج – من بين عوامل كثيرة – عن تزاوج القوقازيين مع الأعراق الأدنى. يوضح ديوك في سيرته الذاتية أن عنصريته لم تنشأ فقط عن قبوله الداروينية بل أيضًا عن قبوله لتحسين النسل الذي هو نتيجة منطقية للداروينية. كما يكرر ديوك كل الحجج التي نُشرت في الأعمال الأدبية البيولوجية الرائدة حتى حركة الحقوق المدنية الأمريكية، على سبيل المثال: ادعاء أن الاختلافات بين الأجناس الرئيسية لا يرجع فقط إلى لون البشرة وملمس الشعر، لكن أيضًا إلى حجم المخ وتركيب الجمجمة والذكاء والبنية العضلية والأسنان والمستوى الهرموني والسلوك الجنسي والطباع وحتى الشخصية (1998، 86).

ديوك يواجه منتقدي العنصرية

انتقد ديوك أيضًا مختلف الحجج العلمية ضد العنصرية، مثل أسطورة البشر الأكثر خطورة: مغالطة العرق لآشلي مونتاجو. وقد خلص إلى أنّ "أسطورة العرق" لمونتاجو أشبه بالقول بأنّ سلالات الكلاب هي مجرد أسطورة لأن المرء يستطيع إيجاد صفات

مشتركة بين السلالات المختلفة؛ "فكرت طويلًا وكثيرًا وتسائلت: هل لأنّه يوجد بعض الصفات المشتركة بين سلالات الكلاب المختلفة فلا يوجد سانت برنارد أو شيواوا؟" (ديوك 1998، 85).

كما انتقد ديوك حجج جاريد دايموند ضد العنصرية والتي حاول دحضها من خلال الإشارة إلى أنّ "الأقرب إلى الإنسان هم الرئيسيات الحديثة والتي أيضًا تتقارب معه نسبيًا في الحمض النووي. فالشمبانزي - على سبيل المثال - يشترك في 98,5 بالمائة من الحمض النووي مع الإنسان" (ديوك 1998، 103-104). لكنّه جادل بأن هذا الادعاء يبطله الإدعاء بأنّ اختلاف الحمض النووي بين السود والبيض أقل من واحد بالمائة. لكن ديوك خلص إلى أنّه إذا كان الفرق في الحمض النووي بين البشر والشمبانزي الذي هو 1,5 بالمائة فقط أنتج البشر الذين لديهم أدمغة تبلغ ضعف حجم أدمغة الشمبانزي؛ يمكن أن تؤدي الاختلافات الطفيفة في الحمض النووي إلى اختلافات كبيرة بين الأجناس البشرية (1998، 85-86). وخلص ديوك إلى أنّه "بحسب مبدأ دياموند لا يوجد اختلاف بين البشر والشمبانزي، لأننا نستطيع العثور بشكل عشوائي على مجموعات من الصفات الوراثية المشتركة بينهما" (1998، 85).

غالباً ما تستخدم نسبة الـ 98 بالمائة كحجة لصالح الداروينية، وقد [أكد] ديوك دون تفكير على الرغم من أن الفرق بين البشر وقردة الشمبانزي لا يمكن تحديده بدقة حتى يتم معرفة الكثير حول الجينوم البشري والشمبانزي، خاصة وظيفة وبنية جينات الشمبانزي. التشابه بين البشر والشمبانزي يقدّر الآن بأقل من 80 بالمئة (بيرجمان وتومكنز 2012، تومكنز وبرجمان 2012). ويخلص ديوك إلى أن "الغالبية العظمى من

الجينات الأساسية التي تُشكّل الأجناس ليست مشتركة بين أجناس البشر فقط، بل تشترك فيها كذلك كافة الثدييات وحتى كافة الكائنات الحية الأخرى. النسبة الصغيرة المختلفة بين الجينات هي ما يصنع الفروق الهامة التي تؤثر على بنية وتكوين أشكال الكائنات الحية تلك" (1998، 86).

الداروينيون الذين أثّروا على ديوك

يعترف ديوك بأن اهتمامه "بآثار التطور على العرق" كان يثيره في الأساس البروفيسور " كارلتون كون " الذي كان لا يزال أستاذًا نشطًا عندما كان ديوك يقوم بأبحاثه. كانت أفكار كون العنصرية آنذاك أساسية وأثرت على مئات من طلابه الذين أصبحوا أساتذة في الأنثروبولوجيا في العديد من الجامعات الرائدة في أميركا. كان آنذاك عالم الأنثروبولوجيا الفيزيائية الرائد ورئيس الرابطة الأمريكية لعلماء الأنثروبولوجيا الفيزيائية. ونشر كون العديد من كتبه مع كبار الناشرين، وقبل وفاته كان باحثًا مشاركًا في متحف بيبودي في جامعة هارفارد.

قرأ ديوك كافة كتب كون التي تمكّن من العثور عليها، بما في ذلك: الأعراق البشرية الحية، وقصة الإنسان، وأصل الأعراق، وأعراق اوروبا. وقد زعم زاترين أن كون هو الذي "ساعد ديوك على الاطلاع على الرأي القائل بإن العرق كان عاملا رئيسًا في تطور الإنسان الحديث" (1990، 79). كما تأثر ديوك بشكل كبير بالعديد من الداروينيين الآخرين وخاصة بروفسور جامعة هارفارد للأنثروبولوجيا إيرنست هوتون. على الرغم من أن ديوك اعتمد على العديد من كتابات التطوريين ما قبل الستينيات حيث كانت العنصرية موضوعًا مهيمنًا إلّا أنّه استشهد كذلك بالداروين المعاصرين.

بعد دراسة النظريات الأنثروبولوجية حول أصل الأجناس، لخّص ديوك النظريتين السائدتين للتطور - فرضية أحادية المنشأ وفرضية المراكز المتعددة[1] (التي دعا إليها البروفيسور ميلفورد ووللفوف من جامعة ميشيغان)-. ناقشت نظرية أحادية المنشأ أن الأجناس المختلفة عبرت عتبة الإنسان العاقل (الهومو) بشكل منفصل أثناء التطور. كان ديوك منبهرًا بشكل خاص بالأبحاث التي افترضت أن الإنسان العاقل (الهومو) الذي تطور لأول مرة في أفريقيا، ثم "تطور مرة أخرى إلى مجموعتين جينيتين مختلفتين، أفريقية وغير أفريقية، منذ حوالي 120,000 عام" (1998، 90-91).

كان اعتقاد ديوك بأن الأجناس الرئيسة موجودة منذ عشرات الآلاف من السنين يعني أن هناك "وقتًا كافيًا للجغرافيا والمناخ ليخلق (من خلال التطور) الاختلافات العميقة القائمة" اليوم بين الأعراق (ديوك 1998، 91). استنتاج الداروينية أن المجموعات القوقازية والزنجية قد انقسمت منذ ما لا يقل عن 110,000 سنة مما جعل ديوك مقتنعًا بوجود اختلافات كبيرة بينهما (1998، 91). وفي المقابل، انقسم القوقازيون والآسيويون منذ 40,000 سنة فقط.

ولهذا السبب توجد اختلافات أقل بكثير بين الآسيويين والقوقازيين مما هو موجود بين الزنوج والقوقازيين الذين انفصلوا قبل ذلك بوقت طويل. وأكد ديوك مرارًا وتكرارًا

---

(1) نظرية المراكز المتعددة (multiregional evolution): هو نموذج علمي يقدم تفسير للتطور بدلًا من فرضية أحادية المنشأ – أن البشر جميعًا تطوروا من أصل واحد- وتنص على أنّ البشر تطوروا من الأشكال الأكثر بدائية للأشكال الحالية وفقًا للإقليم الجغرافي –على سبيل المثال: الإنسان الأفريقي الحديث تطور من الإنسان الأفريقي البدائي والإنسان الأوروبي الحديث تطور من الإنسان الأوروبي البدائي وهكذا- خلافًا للنظرية أحادية المنشأ التي تقول بأن الإنسان الأوروبي الحديث تطور من الإنسان البدائي مرورًا بالإنسان الأفريقي وباقي الأجناس الأخرى. (الناشر)

أن استنتاجاته حول العرق استندت على البحث العلمي الذي قام به عدد من العلماء الرواد في العصر الحديث، وأن هذا البحث أجبره على رفض رواية الخلق في الكتاب المقدس الذي تربى على الايمان به (ماغينيس 1992).

تأثير البروفيسور إلمر بيندل

كان لكتابات البروفيسور إلمر بيندل آثر آخر كبير على ديوك بما فيها: لماذا تُدمّر الحضارات ذاتيًا (1977) والجنس مقابل الحضارة (1967). خلص كلا الكتابين إلى أنّه يجب التركيز أكثر على مسألة الجودة البشرية، بدلاً من التركيز على الكمية البشرية (1998، 109). د. بيندل هو محرر ومؤلف أحد المراجع الرئيسية (1942). قام بالتدريس في جامعة كورنيل، وجامعة ولاية بنسلفانيا، وكلية بالدوين - والاس. حصل على شهادات من جامعة كورنيل وجامعة شيكاغو.

وقد استقى ديوك من بيندل على فكرة أن الأقل ذكاء والأقل ملاءمة، ككل يتكاثر أسرع من الأكثر ذكاء والأكثر ملائمة (ديوك 1998، 109). وكان الحل الذي توصل إليه بيندل هو قيام الدولة بتنظيم التكاثر وفقًا لمبادئ تحسين النسل، والتي تترجم إلى تعقيم البشر "الأدنى" (بيرش وبيندل 1945، بيرش وبيندل 1947). عزز بيندل وجهة نظر ديوك بأن "التفوق الثقافي هو نتاج البيولوجيا" (بريدجس 1994، 123) حتى أن آراء ديوك العنصرية قد تطرقت إلى قضية الإجهاض: "من الواضح أن اعتقاد ديوك بأن العديد من البشر كانوا "حثالة" ولا يستحقون العناية كان بعيدًا كل البعد عن الأساس المسيحي لحركة الحق - في - الحياة[1]. لكن اعتقاد ديوك بتحسين النسل جعله يعارض الإجهاض، لكن معارضته للإجهاض ليست لأنه آمن بقدسية الإنسان كما فعل

المسيحيون الإنجيليون، بل لأنه اعتقد أن حظر الإجهاض سينتج عنه زيادة في المواليد المزيد من الجنس الأبيض وعدد أقل منهم بالنسبة للأقليات (بريدجيس1994، 125).

وشدد البروفيسور بيندل على أن "المصدر الوحيد للأدمغة هو الوراثة"، ومفتاح التطور هو "القضاء" في الأقل ملاءمة (1960، 20، 23). ونتيجة لذلك "إذا تم القضاء على الأفراد ما دون المتوسط، وارتفع المتوسط إلى أعلى؛ فقد نجح جانب التطهير في التطور البيولوجي في الأنواع البشرية كما نجح في الأنواع الأخرى". وأنّ "انتقاء المجموعات البشرية أساس للتطور العقلي"(1960، 23، 28، 116-117). خلص بيندل إلى أنه كان "يتبع" داروين فقط (1960، 208).

اختلاط الأعراق

من الواضح أنّ الداروينية كانت محور جدل ديوك العنصري؛ العديد من حججه كانت مستقاه من كبار أتباع النظرية الداروينية، بعضهم من حقبة ما قبل الحقوق المدنية ولكن أيضًا العديد من العلماء المعاصرين الذين يحظون بالاحترام على نطاق واسع. يدعم ديوك تحسين النسل بنشاط، ولهذا السبب يعارض كل محاولات "تلويث العرق" عن طريق التزاوج بين الأعراق المتخلفة، والذي يعتقد أنه يُنتج "اختيار متراجع جينيًا". وهو يعارض "اختلاط الأعراق"، لأنّه يعتقد أنّ "انتحار العرق" يتم التعجيل به إذا سمحنا "بهجرة أعداد هائلة من عرق غريب" إلى مجتمعنا و"فقدان البقاء الجيني من خلال الاختلاط العنصري" (ديوك 1998، 106).

يعد اختلاط العرق تحديدًا لعنة بالنسبة لديوك، وهذا هو السبب في أنه مهتم للغاية بأمر الفصل العنصري. إن الحفاظ على التركيب الوراثي القوقازي أمر هام للغاية،

والزواج بين الأعراق مطلوب منعه ولا يمكن ذلك إلا بفصل الأجناس، وهو أمر مطلوب لمنع انتكاس الجينوم البشري. حتى أن ديوك يدّعي أن الزواج بين الأعراق هو إبادة جماعية، وليس أقل فظاعة مما حاول الألمان فعله ضد اليهود؛ وستكون النتيجة النهائية - كما يؤكد - متطابقة (1998، 108-109). إن الحفاظ على العرق القوقازي شرط مسبق لمواصلة تطوره إلى مستوى أعلى (1998، 110).

لكل هذه الأسباب، يساور ديوك قلق بالغ بشأن ما يخلص إليه من الآثار السلبية لكافة الجهود القائمة على المساواة وخاصة التكامل والدفع نحو المساواة في التعليم للأعراق. ويخلص إلى أن التحدي الكبير اليوم هو مسألة "مساواة الأجناس"، وأنه من أجل الارتقاء بالسلم التطوري يجب أن يصبح البشر أكثر ذكاءًا وصحة وذلك عبر عتبات جينية تجعل السفر إلى القمر وغيره عمل روتيني (1998، 110). يؤمن ديوك بأن الداروينية والعنصرية هما أمران أساسيان لمستقبل المجتمع الغربي بشكل واضح، وبالتالي كان لديه دوافع قوية لمعارضة كافة الجهود التي تسعى للمطالبة بالمساواة، ودعم كلًا من الفصل العنصري و"تقدم" القوقازيين.

ويؤكد ديوك أن العديد من الصفات المتناقضة للقوقازيين والزنوج كانت نتيجة للتطور. أشار ديوك على سبيل المثال إلى أنه عندما بحث في التطور، قارن بين سلوك "الزنوج" والقوقازيين. مثال على ذلك المباراة بين محمد علي وتشاك ويبنر (قوقازي). وخلص إلى أن علي يمتلك "ميزة تطورية" في المباراة، مضيفًا: "ربما كنت الشخص الوحيد في الجوار الذي فكر في الاختلافات العنصرية التطورية بين علي وويبنر مع إعادة ظهور المباراة على التلفزيون" (ديوك 1998، 97).

وسرعان ما تعرّف أولئك المشاركين في الحركات العنصرية إلى فكرة أنه ليس "الزنوج" المتدنيون وحدهم ولكن اليهود كذلك. وبالمثل، استجاب ديوك لهذه القضية وتناولها من خلال دراسة "تطبيقات البيولوجيا التطورية لتنمية الشعب اليهودي" (1998، 450). وخلص إلى أن اليهود هم أقل شأنا للعديد من الأسباب؛ هي ذاتها التي تبنّاها هتلر. هذا الاعتقاد يرجع جزئيا إلى مشاركته النشطة في الحزب النازي الأمريكي.

يجادل ديوك بأنّ "تشارلز داروين في دراسته لتطور وتغير شخصية كافة أنواع الأحياء، أظهر أن مبادئ الوراثة بالاشتراك مع ما سماه "الانتقاء الطبيعي"، قد طورا القدرات الاستثنائية للجنس البشري نفسه. ويحمل كتابه أصل الأنواع عنوانًا فرعيًا يعبر عن فكرته بالكامل باختصار: الحفاظ على الأجناس المفضلة في الصراع من أجل الحياة"(ص 640). كما أشار ديوك كذلك إلى أن مفهوم داروين حول الحفاظ على الأجناس المفضلة في الصراع من أجل الحياة يعالج الانتقاء الطبيعي ليس فقط على المستوى الفردي، بل كذلك "والأهم على عملية الاختيار التي تشمل الأنواع والأنواع الفرعية (الأجناس)" كما يوضح العنوان الفرعي لـ "رائعته"[كذا أطلق عليها] (1998، 450 - 451).

تأثير إتش. جي. ويلز على ديوك

تعرف ديوك على الداروينية في وقت مبكر من حياته. وذكر ديوك أن أحد الكتب الأولى التي أعطاها له والده للقراءة في المدرسة الابتدائية كانت العمل الكلاسيكي ملخص التاريخ (1922) لإتش. جي. ويلز. كان ويلز مؤيدًا نشطًا للداروينية طيلة

حياته منذ أن تعرّف على النظرية في الكلية من قِبل معلمه - تابع داروين الشهير - تي. إتش. هكسلي. يحاول ملخص التاريخ أن يدافع ليس فقط عن الداروينية، ولكن كذلك عن استخدام علم تحسين النسل بدعم من الدولة لانتاج البشر المتفوقين جينيًا (1998، 118-119).

جادل ويلز بأنّ التطور هو عنصر أساسي في صعود وسقوط الأمم؛ التداخل مع الأعداء المنهزمين يؤدي إلى الخلل، وتبدأ العملية التي تؤدي إلى سقوط الأمة لأنّ المنتصرين المتفوقين يتزاوجون مع الخاسرين المتدنيين، وينتجون ذرية أدنى؛ ونتيجة لذلك فإن الغزاة أنفسهم يتم غزوهم. يشير ديوك إلى أنّ موضوع كتاب ويلز هو أنّ "الأمم العظيمة تنشأ ويكون لديهم الذكاء والقوة والطموح" ويخلقون مجتمعًا قويًا ويغزون جيرانهم الأدنى. سرعان ما تحدث "عملية استيعابهم للمنهزمين في دولتهم القومية" وتبدأ الصفات التي أدت بهم في الأصل إلى النصر والهيمنة بالضياع لأنهم يتأثرون تدريجيًا بالمهزومين الذين استوعبوهم في مجتمعهم. وتبدأ العملية مرة أخرى من جديد، ويأتي أشخاص آخرون إلى الساحة ويقومون بالغزو مرة أخرى فقط لكي يستوعبوا المهزومين. أصبح من الواضح لي أن عامل العرق موجود في صعود وسقوط كل حضارة. في الواقع في كل حضارة سقطت كان هناك تغيير عنصري في السكان الأصليين المؤسسين. إن التبرير الحقيقي الوحيد لبقاء أمة هو التبرير العنصري؛ بقاء تلك المجموعة المحددة ككيان جيني متميز، كمصدر للجيل التالي (1998، 118).

أقنعت كتابات ويلز ديوك عندما كان لا يزال شابًا أن العرق كان أساسيًا في التطور. من قراءة كتب ويلز وبندل، توصل ديوك إلى استنتاج أن حملته ضد العرق

الأسود هي مسألة بقاء أميركا ذاتها، وهي الدولة التي يقول مرارًا وتكرارًا أنّه يحبها (1998، 118-119). على الرغم من أنه تلميذ ويلز فقد كان ديوك يعمل بالفعل لتحقيق أهداف أكثر اعتدالا من معلمه. لم يجد ويلز أي غضاضة في الاعتراف بحلّه لمشكلات العالم؛ وهو برنامج جذري لتحسين النسل الذي تضمن علناً قتل الكائنات المتدنية. أفضل تلخيص لموقف ويلز هو قوله: "هناك شئ واحد فقط عقلاني ومنطقي يجب فعله مع الأجناس المتدنية، ألا وهو الإبادة" (مقتبس من ترومبلي 1988، 32).

كما تأثر ديوك كذلك بعدم مساواة الأجناس للكونت آرثر دي جوبينو، وهو عمل كلاسيكي لا يزال إلى اليوم يُطبع ويُستخدم من قبل العنصريين في الغالب (1998، 119-120). على الرغم من أن دي جوبينو ألف كتابه الشهير قبل نشر داروين لكتابه أصل الأنواع، فإن العديد من الأفكار متشابهة. جادل دي جوبينو أن الحضارة كانت في نهاية المطاف نتاج البيولوجيا وتحديدًا الخصائص العنصرية لمؤسسيها. الحضارات التي تراجعت كان بسبب تغير التكوين الأساسي لمؤسسيها؛ أي أن جودتها العرقية انخفضت بسبب "الاختلاط العنصري". فسَّر ديوك هذه المخاوف - لا سيما تلك المتعلقة بالحالة في أميركا - بأنها نتيجة الاختلاط بين الأمريكيين - الأفارقة والقوقازيين.

كما استخدم ديوك الفكرة التي دعا إليها دي جوبينو 1966 والعديد من الداروينين الآخرين الذين أكدوا أن الحضارات انهارت لأنّه بعد فوزهم في الحرب، أدخل المنتصرون المنهزمين كعبيد إلى مجتمعهم؛ وانتهي الأمر باستيعاب جيناتهم في مجموع جينات الأمة المنتصرة. وكانت النتيجة انهيار حضارة المنتصر بسبب ضعفه الوراثي بالتزاوج مع الأشخاص الذين خسروا الحرب. يفترض ديوك هنا الفكرة العامة (الخاطئة)

لتحسين النسل بأنّ أولئك الذين ينتصرون في الحروب متفوقون جينيًا، وأولئك الذين يخسرون الحروب متدنيون جينيًا.

كان علم الأحياء الاجتماعية، كما دعا إليه إدوارد ويلسون من جامعة هارفارد وغيره من علماء الأحياء مهمًا كذلك في تطور تفكير ديوك. كان على وجه الخصوص "العمل البارز للدكتور إدوارد ويلسون علم الأحياء الإجتماعية؛ توليفة جديدة". قرأ ديوك هذا العمل بعد بضعة أشهر من ظهوره و"وجده رائعًا" (1998، 451). وخلص إلى أن ويلسون قدم أدلة قوية على أن السلوك كان له أساس بيولوجي مدفوع بالحافز للحفاظ على التركيب الوراثي وذلك في كل المخلوقات من البدائية مثل النمل إلى المعقدة مثل الإنسان ذاته. اتضح أنّ صلة الدم الوراثية هي عامل قوي في التطور والسلوك. في مثل هذا السياق أصبح الولاء للمجموعة والإيثار مفهومين من وجهة النظر التطورية على أنّ الفرد قد يضحي بحياته وتناسله الفردي لضمان بقاء النوع" (1998، 451).

كانت فكرة دوكينز "الجينات الأنانية"، كما هو موضح في هذا البيان من قبل ديوك، هامة للغاية كذلك.

التطوريون الآخرون الذين أثروا على ديوك

من بين العديد من الأشخاص الذين يدرجهم ديوك، والذين أثروا في وجهات نظره العنصرية كان غالبيتهم من الداروينيين المحترفين بما في ذلك جوليان هكسلي وجورج برنارد شو (ص 640). درس كذلك كتب هنري جاريت الرئيس السابق لقسم علم النفس بجامعة كولومبيا ورئيس الجمعية الأمريكية لعلم النفس، ونشأة أفريقيا لروبرت أودري (زاتارين 1990-79-88). واعتمد ديوك كذلك على كتاب السير "آرثر كيث"

"الديناميكي"، "النظرية الجديدة للتطوُّر البشري" (1949)، والذي شدد على أن من يتعرض لضغوط تطورية ليس فقط الأفراد،بل الجماعات كذلك (مثل المجموعات العرقية).

حتى أن ديوك اعتمد على كتابات فرانسيس جالتون، الرجل الذي صاغ مصطلح "تحسين النسل" وسعى للسيطرة على التكاثر البشري لتحسين "الصفات الوراثية للعرق" (1998 - 640). يلاحظ ديوك أن داروين كتب إلى جالتون، حيث قدم دعمًا لوجهات نظر جلوتن النحوية - وخلص ديوك إلى أن الاعتماد على رجال عظام مثل داروين وجالتون (بالإضافة إلى أساتذة هارفارد ويلسون وهوتين وكاون وآخرين، بما في ذلك العديد من الأضواء الرائدة للحضارة الغربية ") قدم الدعم العلمي لأفكاره، وتمكينه من الاستمرار في حملته بثقة ونشاط (1998 - 640).

وقد أعادت العديد من المجموعات العنصرية الحديثة طبع العديد من الأعمال البيولوجية التي أنجزها العلماء المشهورون الذين قرأ لهم ديوك. أحد الأمثلة على ذلك هو كتاب جامعة تكساس في أوستن للبروفيسور روجر جاي ويليامز، "حر وغير متكافئ" الأساس البيولوجي للحرية الفردية والذي نشر أصلا في عام 1953 من قبل مطبعة جامعة تكساس وأعيد طبعه في مطبعة الحرية وهي منظمة عنصرية. يشدد الكتاب على أن الأجناس سواء في الفئران أو الجرذان أو الخيول أو الحشرات.

قد تطورت جميعها من خلال التطور - وأنه "إذا إخفق البشر في تطوير الأجناس فإنهم يشكلون الاستثناء الوحيد في المملكة البيولوجية بأكملها" (1953 - 210).

كما يشير ويليامز إلى أنه على الرغم من أن القوقازيين وغيرهم من الأعراق يمكن أن يتكاثروا، فإن هذا لا يثبت المساواة. كذلك يؤكد على أن أساس التطور بأكمله هو

التباين وأن بعض الاختلافات البشرية تفوق غيرها. ووفقا لكلام وليامز، "التباين هو أساس الحياة البشرية وكل الحياة. إن مفهوم التطور كما لدينا اليوم هو مفهوم لا غنى عنه تمامًا. لا يمكن دون التباين الوراثي أن يحدث التطور وتمشيا مع الفكر المقبول حاليًا، فإن البيولوجيا ذاتها لن تكون موجودة ! "(1953 - 56).

وعلى الرغم من أن هذا العمل عنصري بشكل معتدل مقارنة بالكثيرين هذا التغير هو ما يختاره التطور من الآثار العنصرية الواضحة - وهذا هو السبب في أن مطبوعات الحرية قامت بطباعته يوضح البروفيسور ويليامز أن كتابات داروين وابن أخيه جالتون، هما أساس علم تحسين النسل. ويعترف وليامز بأن أفكارهم حول تحسين العرق لم تكن لها ميزة في معرفة "مدى تعقيد الوراثة"، وهم "لم يكتفوا بمواجهة التعليم الديني بل كانوا أكثر تبسيطًا لدرجة أنهم أصبحوا يعتبرون غير صحيحين علمياً" (1953، 314-315). ويشير ويليامز إلى أن تحليلًا أكثر تعقيدًا للمشكلة قد يقودنا إلى برنامج تحسين للنسل عملي عمليًا.

اعتمدت الكتب التي ذكرها ديوك على أنها هامة في تطوير أفكاره كذلك بشكل كبير على الداروينية. على سبيل المثال، أحد أكثر الكتب عنصرية سمعة في القرن الماضي، "عرق وبوتنام والسبب: وجهة نظر يانكي" (1961) وقد نشرتها دار الصحافة العامة في واشنطن العاصمة حيث يقدم المقدمة روجلز جيتس ودكتور هنري جاريت دكتوراه في العلوم وروبرت جيريوويسلي جيم جورج دكتوراه و جميعهم من العلماء الداروينين البارزين. قدم المقدمة تي ار وورنج الذي أكد أن د.جيتس "يُعترف به عمومًا على أنه أحد أبرز علماء الوراثة البشرية في العالم" (بوتام 1961- الرابع.(كان جيتس أستاذًا في علم الحيوان في جامعة كاليفورنيا لعدة سنوات وأنهى حياته المهنية كزميل لأبحاث

في علم الأحياء في جامعة هارفارد. كان جاير رئيس تحرير "البشر الفصلية"أستاذ الأنثروبولوجيا ورئيس قسم الدراسات العليا في علم الأجناس البشرية بجامعة سوجور في الهند. وتشمل منشوراته العديدة مجموعة من ثلاثة مجلدات بعنوان الإثنولوجيا.

كان ويسلي جورج أستاذ علم التشريح في جامعة نورث كارولينا، حيث كان رئيس قسم لمدة عشر سنوات. كما كان مؤلف العديد من المقالات حول تطور البشر والفقاريات الأخرى. يخلص وارينج إلى أنه : "لا يمكن أن يكون هناك شك في أن تأييد هؤلاء الرجال جنباً إلى جنب مع أدلة علماء آخرين والذين يسميهم الكاتب شهود يضمن السلامة العلمية للعرق والعقل ويؤكد سلامة أماكن عمله". (بوتنام 1961 – الخامس). كان هذا الكتاب هو "بدء رحلة ديوك الفكرية" باعتباره أكثر العنصريين سيئي الصيت (بوتام 1961–256)

وبصرف النظر ما نقل عن علماء الأنثروبولوجيا والداروين الذين اتفقوا مع موقفه العنصري فقد هاجم بوتنام كذلك العلماء الذين اختلفوا معه. كان من أبرزهم فرانز بواس وطلابه ولا سيما آشلي مونتاجو وجين ويلتفيش. كان بواس أحد علماء الأنثروبولوجيا الأوائل الذين يعارضون حركة النسل صراحةً وبشكل نشط ومحاولات إلقاء العنصرية على العلوم. ويلاحظ بوتنام أن بواس وتلاميذه "أبو الأنثروبولوجيا الاندماجية في أميركا" (بوتنام 1961، 23).

قام بواس وهو يهودي بتدريب العديد من علماء الأنثروبولوجيا بما في ذلك مارجريت ميد (الذي كان له تأثير عميق في الأنثروبولوجيا). بدأ بواس بالتدريس في جامعة كولومبيا في عام 1896 وكان في الأصل عنصريا كذلك (ما يسميه بوتنام "غير

متساوٍ") حتى "تغير في آواخر العشرينات" (بوتنام 1961 - 18) مع صعود معاداة السامية على أساس داروين. بعد وفاة بواس يلاحظ بوتنام أن كولومبيا استأجر رالف لينتونا "غير المتساوٍ" - الذي فصل كافة الأشخاص المعينين الذين لم يحظوا بالتأييد من بواس وأطلقوا النار على فيلتفيش بتهمة "طويلة الأمد" (بوتنام 1961 -18).

كانت جهود بوتنام الرامية إلى استبعاد أفكار بواس بمثابة دعوة إلى الأسماء، مثل أن أفكاره كانت "دعاية ذكية وغريبة تشكل اسم العلم وجهود عقيمة في إثبات نظريات غير قابلة للحياة" (بوتنام 1961 - 18). كان قلق بوتنام، كيف كان "من الممكن أن يتأثر جيل كامل من الأمريكيين... بكتابات بواس"؟ (بوتنام 1961، 18-19)

على الرغم من أن بوتنام لم يحاول مطلقًا تفنيد استنتاجات بواس (وقد أثبت التاريخ أن الكثير منها صواب) لكنه ذكر أنه وجد"علماء محترفين كثيرين رأوا ما رأيته" -" - أي أن كتابات بواس التي كانت تناقش الحقوق المدنية للأمريكيين من أصل أفريقي باطلة علمياً. ويخلص بوتنام إلى أن حجة بواس تستند إلى "افتراض الاختلافات الثقافية بين عصر الزنوج والأعراق الأخرى، وليس بسبب أي قيود طبيعية، بل إلى العزلة والحوادث التاريخية" (بوتنام 1961 - 24).

إن سبب اعتراض بوتنام على الاندماج سواء في المدارس أو في أي مكان آخر كان وفقًا لرسالة من أستاذ علم وظائف الأعضاء في إحدى المدارس الطبية الرائدة: "دمج المدارس هو التكامل الاجتماعي والتكامل الاجتماعي يعني معدل متزايد من التزاوج. (هذا صحيح بغض النظر عما إذا كانوا سيفصلون الجنسين في المدارس. لا يزال الأخ الأصغر يجلب صديقه الجديد إلى المنزل بعد المدرسة.) وبصفتي عالم أحياء. أرى أن

هذه العملية هي مزيج من الجينات الزنجية في بلازما الجرثومة البيضاء، وهي عملية لا يمكن أن يكون هناك خلط بينها (بوتنام 1961 - 37).

الحجة الأساسية ضد الزواج بين الأزواج هي الاستنتاج القائل بإن لدى الزنوج ذكاءًا أقل وراثيًا - من 10 إلى 20 نقطة أو أكثر - وأن الخلط سيقلل من معدل الذكاء البشري الإجمالي. كدليل على ذلك يستشهد بوتنام بالمجلات الرئيسة مثل مقال بقلم فرانك سي. ماك. ماكجورك نُشر في فصل الشتاء لعام 1959 في مجلة هارفارد التعليمية. كما أنه يقتبس خبراء مثل جامعة وايلد بينفيلد، التي ذكرت: "ليس هناك شك في أن الفص الجبهي للنيجرو النموذجي أصغر والقشرة الدماغية أقل تجعيدا من القشرة البيضاء النموذجية" (بوتنام 1961 - 41). تركت العديد من الاقتباسات المشابهة الانطباع بأن علماء الأحياء وعلماء الأنثروبولوجيا اتفقوا على هذه المسألة. وللتأكيد أكثر على وجهة نظره ويقتبس بوتنام نصف دستة من الكتب لأساتذة ينشرها كبار الناشرين.

يستميل بوتنام باستمرار العلم، مدعيًا أن نظرته إلى الاختلاط العرقي لها "صلاحية علمية" (بوتنام 1961 - 84). العديد من العلماء والمجلات العلمية الرئيسة التي تدعم وجهات نظره تشمل د.رزينزكي الذي جادل بأن تكتل "العناصر العرقية والإثنية" في أميركا الآن "يجعل من التدهور الثقافي شيء لا مفر منه" (بوتنام 1961 - 85). يجادل بوتنام حتى أن العنصرية تفيد أولئك الذين يميزون ضد - نهج أقنع العديد من الأشخاص في وقت كتابة هذا الكتاب.

يزعم بوتنام أن الأمثلة القليلة للأميركيين الأفارقة الذين قاموا بعمل جيد لديهم جينات بيضاء. على سبيل المثال، كما يقول، "يُعد جورج واشنطن كارفر عالما زنجيًا

مثاليًا، لكن جيناته البيضاء تظهر في عينيه الزرقاوين" (بوتنام 1961، 92). الذكاء وخصائص أخرى مشابهة و الخداع هي سمات بيضاء ويضيف أن "قيود الزنوج في عالم الشخصية والذكاء" (بوتنام 1961 – 94).

ويستنتج بوتنام أن قرار براون مقابل قرار مجلس إدارة التعليم يستند إلى "بواس أنثروبولوجيا"وهو ما يتناقض مع ما يُقال عنه (وهذا يعني ضمنا) تقريبا العالم العلمي بأكمله. علاوة على ذلك، لم تفحص الأنثروبولوجيا المتساوية لدى بواس على النحو الصحيح ".

ويقتبس بوتنام كذلك من الأستاذ في جامعة هارفارد كلايد كلوخهون الذي قال: "في ضوء تراكم المعلومات المتعلقة بمختلف الجينات المعيّنة بشكل كبير بين مختلف الأشخاص يبدو من غير الحكمة أن نفترض بشكل قاطع أن" قدرة الإنسان الفطرية لا تختلف من مجموعة واحدة إلى أخرى. " الذي استنتجه بوتنام أنه "لم يعد من الممكن افتراض المساواة العرقية في الفكر" (بوتنام 1961 –51).

ثم يستنتج بوتنام، بعد أن اقتبس من العديد من الأساتذة البارزين الآخرين (غالبيتهم من علماء الأنثروبولوجيا والداروينين)، أنه سيكون "على استعداد للتنازل عن احتمال أن الزنجي قد يتجاوز من خلال العمليات الطبيعية للطفرة والانتقاء الطبيعي... في نهاية المطاف العرق الأبيض. "هذه العملية، على الرغم من ذلك يقدرها بخمسمائة مليار سنة ! (بوتنام 1961 – 53). التطور جعل "البيض" متفوقين، ولا يمكن كسر قانون التطور، ولكن يجب أن يستجاب له.

تأثير ديوك في العنصرية الحديثة اليوم

يبدو أن كتابات ديوك على العرق، والتي اقتبست العديد من العلماء البارزين

(سيرته الذاتية وحدها تسرد 45 صفحة من المراجع، غالبيتها أكاديمية) ستكون مقنعة للغاية للعديد من غير المؤيدين لنظرية الخلق الذين يخالفون الحجج التطورية. ووفقا لمراجعات أمازون كوم لسيرة ديوك لعام 1998 والتي هي أكثر اعتذارًا عن العنصرية العلمية والحجج العنصرية التطورية مقنعة للغاية للعديد من الأشخاص اليوم. اعتبارًا من عام 2014، من أصل 146 مراجعة (كانت الغالبية العظمى من الكتب لديها عدد أقل من المراجعات)، كان متوسط تقييم العملاء مرتفعاً بشكل استثنائي (4,4علامة من إجمالي 5).

أعطى غالبية المراجعين كتاب ديوك خمس نجوم، وقامت حفنة من النجوم بإعطائه نجمة تحت عناوين مثل "غير دقيقة ومتعصبة" أو "دعاية في أضيقها". أدان العديد من المراجعين "علم" ديوك، ولم يدركوا أن العديد من أفكاره أُخذت بشكل مستقيم من كتابات العلماء الذين يحظون باحترام كبير – على الرغم من أن العديد من العلماء، ولكن ليس جميعهم كانوا من علماء الجيل السابق في مجال الحقوق المدنية. بعد "تقاعد" ديوك عام 1980 ولم يتمكن أي زعيم من قبيلة كلان من تحقيق فاعليته ونتيجة لذلك فقد كلان الكثير من نفوذه (نيوتن 2007 – 39).

ملخص لتأثير الداروينية في كلان

البروفيسور مارتن جيتلين، في دراسة بحثية تاريخية واسعة النطاق من كلان، خلص إلى ما يلي:

يعتقد غالبية كلاً من "كلانسمان" وغيره من المفكرين البيض ليس فقط في الدونية البيولوجية للسود، بل كذلك في داروينية العصر الحديث التي اعتنقها هتلر والنازيون. يؤكد هذا الرأي... يتفوق العرق الأبيض الآري على كافة الأنواع الأخرى. وأن السود

هم الأكثر انخفاضًا مع العديد من الأجناس الأخرى التي تقع في مكان ما بينهما. إنهم يشعرون أن النظام الطبيعي للجنس البشري لا يختلف عنه في عالم الحيوان الذي لا ينجو منه إلا الأقوياء. إن العنصريين المتشددين الذين لديهم عزيمة سياسية يشعرون بحرب عرقية سيقومون إما بتطهير أميركا من ما يعدونه العرق الأسود الأدنى أو في الأقل توفير الفصل (للأعراق) (جتلين 2009، 49).

علاوة على ذلك، على الرغم من أن فقدان كلان الكثير من نفوذه في آواخر عشرينيات القرن العشرين قد أدى إلى نهاية مشاركة واسعة النطاق من جماعة كلان، لكن العديد من العلماء "اعتقدوا أنه من العبث أن يدعم رجال كلان ونساء كلان بأمانة أو يناضلن من أجل الحقوق الدستورية للعرق أسود". لقد اعتبروا دائما أقل شأنا "(جتلين 2009، 58). أحد الأمثلة على حقيقة أن الاعتقاد الإيضاحي لعقيدة الدونية السوداء كان له تأثير هائل على تاريخ كلان كما يلي:

في ضوء قوة كو كلوكس كلان واسعة الانتشار في الولايات الجنوبية، فإن حيادية أي محلف أبيض بغض النظر عن المكان الذي يقيم فيه ستكون موضع شك.... تاريخيا، كانت شهادة الرجال السود ضد الرجال البيض في المحاكم الجنوبية تسبب مشكلة.

في بعض الحالات، لا يُسمح للسود بالشهادة ضد البيض. حتى عندما يسمح بشهاداتهم تميل هيئات المحلفين إلى النظر إلى السود باعتبارهم أقل شأنا من البيض. وبالتالي، نادراً ما كان المحلفون البيض يؤمنون بالشهادة التي يقدمها السود، أو إذا كانوا يصدقونها، فإنهم لا يعطوها إلا القليل من الاهتمام في مداولاتهم (مارتينيز 2007-166)

وكانت النتيجة التاريخ الطويل للظلم ضد السود في أميركا. مثل ملاحظات نيوتن:

لم تذكر الوصفات الأصلية لكلان لعامي 1867 و 1868 تفوقًا للبيض لمجرد أنه لم يكن ضروريًا. لقد ولد ونشأ رجال كلان في مجتمع استعبد السود... لقد رأوا من المسلمات أن السود هم من غير البشر غير القادرين على أي مظهر من مظاهر التكافؤ مع البيض - أقل بكثير من المساواة التامة مع شبح التضليل و"الاندماج" الذي ما زال قائما على الدوام. حتى في أيامها الأخوية "البريئة"، ربيع 1866 وأبريل 1867، حافظت كو كلوكس كلان على التقاليد العنصرية من خلال ارتداء الملابس كأشباح لتخويف العبيد السابقين.... وحقيقة أن هؤلاء "غير المرغوب فيهم" كانوا دائماً تقريباً من السود فيما يتعلق بعقلية كو كلوكس كلان (2007-38).

وهكذا كان يعتقد على نطاق واسع "أن السود كانوا أدنى من البيض وبالتالي يستحقون حماية قانونية أقل" (مارتينز 2007-169). هذه النظرة الداروينية عززتها كتب مثل "رجال كلان" وهو عمل شُبع بالعنصرية في كل صفحة تقريبًا، وكان أكثر أعمال ديكسون شيوعًا. حيث كانت نظرته إلى السود عدائية ومهينة. وكتب عن "زنجي مغمور ذو شفاه سميكة وأنف مطموس زنجي ينضح برائحة الحيوان الغاضبة". كانت هذه الجملة واحدة من العديد من هذه الأوصاف. بالنسبة لقرائه المخلصين، كانت وجهات نظر ديكسون حول العرق بعيدة كل البعد عن كونها غير عادية. حيث وصف ما يعتقده العديد من البيض بالفعل مما أذهل الجمهور. وبدلاً من ذلك، استهدفت خطوط المؤامرة المفتعلة بشكل مثير للسخرية كانت موجهة إلى البيض(مارتينز 2007-242).

وفي مراجعة لمواقع كو كلوكس كلان التي أجريت في عام 2011 حيث لا تزال تُقتبس من نظرية التطور لتبرير معتقداتها، مثل المجلد 19، صفحة 344 من الطبعة

الحادية عشرة المشهورة من موسوعة بريتانيكا: "يبدو أن الزنجي يقف على مستوى أقل تطورا من الرجل الأبيض، وترتبط بشكل أوثق بأعلى البشر مستوى.... وعقليا الزنجي هو أقل شأنا بالنسبة للبيض. كما أنهم يستخدمون الكتاب المرجعي القياسي العلوم الشعبية – المجلد رقم 11 صفحة رقم 515، الذي ينص على: "إن الحكم (من العلم) هو أن الزنوج لا ينتمون إلى جنس أدنى. وأن قدرة دماغه أكثر فقراً وبناءها أبسط. "غالباً ما أهملوا ملاحظة أن هذا الاقتباس من طبعة 1931 من العلوم الشعبية[1].

الاستنتاجات

يتضح من المراجعة لكتابات العديد من أبرز المتعصبين اليوم أن الدعم الرئيس لمعتقداتهم كان كتابات علماء التطور الرئيسيين لما قبل عام 1950. إن "حقائق" العلم وقبول كبار العلماء لاستنتاجاتهم العنصرية لا سيما أولئك من مدارس ايفي ليجو مثل هارفارد أقنعت العديد من العنصريين بأن مفتاح صفقة أميركا هو تقليل الضرر الناجم عن الأجناس المتدنية، وخاصة الأمريكيين الافارقة واليهود (وايز 2003 – روز 1992). وبهذه المعرفة، كان ديوك وآخرون مصممين على حمل رسالتهم الخاصة بالداروينية وعلم تحسين النسل إلى حيث تقودهم أي العنصرية إلى العالم.

اختتم ديفيد ديوك سيرته الذاتية بالكلمات التالية: "أعتقد حقاً أن مستقبل هذا

---

(1) انظر http://kkk.org and

http://www.thebirdman.org/Index/Others/Others-Doc-Blacks/+Doc-Blacks-Intelligence&Competence/ScientificFactsOfBlackIntelligence.htm.

على سبيل المثال يستخدم نظرية ما قبل الآدمية في محاولة لمواءمة التطور مع الداروينية ، انظر أيضًا

http:// kkk.bz/shocking_story_of_real_slavery_i.htm. (المصنف)

البلد والحضارة والكوكب مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمصير جنسنا الأبيض" (1998 -273). لقد كرس هو وآخرون حياتهم لهذا الهدف على الرغم من حقيقة أن الحجج الداروينية العنصرية التي اعتمد عليها ديوك قد دُحضت بعناية وتم توثيقها على أنها ضارة من قبل كل من مؤيدي نظرية الخلق والمتطرفين (بيرجمان 1993).

المراجع

جيري برغمان، 1993 "التطور وأصول نظرية العرقالبيولوجي. مجلة سي آي ان التكنولوجية 7(2) 155-168.

وجيفري تومكنز،2012. "هل الجينوم البشري متطابق تقريباً مع الشمبانزي؟ - إعادة تقييم المؤلفات ". مجلة الخلق 25 (4): 54-60.

تايلر بريدجيس. 1994. صعود ديفيدديوك. جاكسون، م اس: جامعة ميسيسيبي.

هاروود براون،2000 (طبعة إعادة الطبع). ورقات - اقرأ في اجتماع فرسان التنانين الكبار لفرسان كو كلوكس كلان في اجتماعهم السنوي الأول الذي عقد في آشفيل، كارولاينا الشمالية، يوليو 1923. نورث ستراتفورد، نيو هامبشير الناشرون شركة اير

جانيت براون، 2003." الطوفان، السفينة، وتشكيل التاريخ الطبيعي،الفصل 5 ليدنبيرج 2003

بيرش وجاي إيرفينج وإلمر بندل. 1945. الطرق السكانية نحو السلام أو الحرب. واشنطن العاصمة: مكتب المراجع السكانية.

1947تربية البشر وبقائهم: طرق سكانية للسلام أو الحرب. نيويورك: كتب بينجوين.

آرثر دي جوبينو،1966. عدم المساواة في الأجناس البشرية: دراسة رائدة لعلوم الأجناس البشرية. لوس أنجلوس، كاليفورنيا: نون تايد للنشر.

ديفيد دوق، 1998. إدراكي: طريق للتفاهم العنصري. كوفينجتون مطبعة فري سبيتش.

هنري فري 1922 كو كلوكس كلان الحديث بوسطن، ماساتشوستس مينارد وشركة.

مارتي جيتلين، 2009. كو كلوكس كلان المرشد الي الثقافة الفرعية الأمريكيةسانتا

باربرا، كاليفورنيا: جرينوود.

ستيفن جاي جولد، 1977.اونتوجوني وفوتوجني. كامبريدج، ماساشوستس: مطبعة جامعة هارفارد.

سير آرثركيث، 1949. نظرية جديدة للتطور البشري. نيويورك: المكتبة الفلسفية.

مارتن أيه لي 2003" تفاصيل ديفيد ديوك "مركز قانون الفقر الجنوبي

http://www. splcenter.org/get – informed/intelligence – report/browse – all –issues/2003/spring/detailing – da– vid – duke.

ديفيد لينـدبرج ورونالـد نمـبرز. 2003. عنـدما التقـى العلـم والمسـيحية. شـيكاغو،: مطبعة جامعة شيكاغو.

جون ماجينيس، 1992.العبور للدب باتون روج مطبعة دارهورس

جي مايكلمارتينيز، 2007.، فرسان كو كلوكس كلانفضح الإمبراطورية غير المرئية أثناء إعادة الإعمار. نيويورك رومان وليتلفيلد.

تشارلزموريس، 1888. العرق الآري: أصوله وإنجازاته. شيكاغو، إلينوي:جريس والشركة

جـاري بلـير نيلسـون، 2003. "الرجـال قبـل آدم! منـاظرات أميركيـة حـول وحـدة الإنسانية وتاريخها. "الفصل السابع، ص. 161—181 2003 – ليدنبيرج.

مايكل نيوتن، 2007 كو كلوكس كلان، تاريخ ومؤسسة ولغة وتأثير وأنشطة أميركا جيفيرسون ما كفرلاند

2010 كو كلوكس كلانفي مسيسيبي: تاريخ. جيفرسون، كارولاينا الشمالية: مكفارلاند.

إلمـر بينـدل، (محـرر). 1942. المجتمـع تحـت التحليـل، مقدمـة لعلـم الاجتمـاع.

لانكستر، بنسيلفانيا: كاتيل.

1951- السكان علي حريتهم. نيويورك: ويلفريد فونك.

1960- الحضارة القادمة. دالاس، تكساس: شركة النشر الملكي.

1967 - الجنس مقابل الحضارة. لوس أنجلوس، كاليفورنيا مطبعة نونتايد

1977 - لماذا التدمير الذاتي للحضارات. كيب كانافيرال، فلوريدا: هوارد ألن إنتربرايزيز.

كارلتون بوتنام، 1961. العرق والعقل: عرض يانكي. واشنطن العاصمة: مطبعة الشؤون العامة.

كاترفيدجس أ ديالأنواع البشرية. نيويورك د. ابيلتون كامباني 1879

دوجلاس ديروز، (محرر). 1992. ظهور ديفيد ديوك وسياسة العرقتشابل هيل مطبعة جامعة شمال كارولينا

جيفري تونكينز وجيري بيرجمان 2012تقديرات متطابقة تقريبًا بين الإنسان والشمبانزي تشابهقيم باستخدام البيانات المحذوفة 25 (4) 94-100.

بول توبنارد، 1894. الأنثروبولوجيا. لندن: تشابمان اند هول

ستيفن ترومبلي، 1988. الحق في التكاثر: تاريخ التعقيم القسري. لندن: فيدينفيلد ونيكلسون.

جون تيرنر، 1982كو كلوكس كلان: تاريخ العنصرية والعنف. مونتجمري، أل: مركز قانون الفقر الجنوبي.

هربرت جورج ويلز 1922ملخص التاريخ. نيويورك: كولير.

آدم وايت، 1966. الزنجي... الحيوان أم الإنسان؟ الإسكندرية، فرجينيا: آدم وايت.

روجر جون ويليامز 1953، الحرية وعدم المساواة: الأساس البيولوجي للحرية الفردية. انديانابوليس مطبعة الحرية

ألكساندروينشل، 1978. إثبات من النقص الزنجي. ميتريري أبناء الحرية

ألكساندروينشل، وروبرت بيرناسكوني. قبل الأدمية. بريستول، إنجلترامطبعة ثوميس 2002

تيك وايز، 2003. خدعة بيضاء كبيرة: الرد على ديفيد ديوك وسياسة القومية. سياتل، واشنطن: تحالف الشمال الغربي من أجل كرامة الإنسان.

مايكل زاتارين 1990 – ديفيد ديوك تطور رجال كلان جرينتا ال ايه مطبعة بيليكان

الفصل التاسع

استغلال غير الغربيين كدليل على التطور

مقدمة

اسْتُغِل الأفارقة وغيرهم من غير الغربيين في السيرك والعروض الغريبة لعقود بصفتهم دليلًا على نظرية التطور. لأكثر من قرن كانت هذه العروض نقطة جذب رئيسة في العديد من المعارض والعروض الجانبية. ربما أثّرت على ملايين الأشخاص لقبول الاعتقاد بأن البشر تطوروا من بعض الرئيسيات الأدنى الأقل تطوراً. على الرغم من أن المال كان عادة الدافع الأساسي، إلا أنّ مروجي هذه البرامج حاولوا بشكل مخادع الترويج لفكرة أنّ مختلف الشعوب غير الغربية تعتبر الحلقة المفقودة أو على الأقل بشر بدائيين أقل تطورًا من الغربيين. كان لهذه العروض تأثيرٌ كبيرٌ على العنصرية وكانت دعمًا هامًا لحركات مثل كو كلوكس كلان. واليوم، نرى هذا التاريخ كمثال كبير على الاستغلال غير الأخلاقي للأقليات.

لعقود من الزمان قامت المعارض الرئيسة أو المتنزهات الترفيهية أو أماكن الجذب الكرنفالية بعرض الأفارقة أو الآسيويين أو الأمريكيين الجنوبيين أو الأستراليين بالإعلان عنهم بوصفهم أنّهم "عرض علمي للبشر البدائيين" أو البرابرة أنصاف البشر "البشر - القرود" أو البربرية "البرجية"، "الرجل القرد" و"المرأة القرد"، أو"الحلقة المفقودة" (بوغدان 1988، 177). عادةً ما كان هؤلاء غير الغربيين "مزينين بشكل متقن" وكانوا يباعون للجمهور باختلاق "مجموعة من الحكايات المبتكرة" عُبِئت جميعًا "ضمن إطار أنثروبولوجي زائف" (بوغدان 1988، 178). "عوامل الجذب هذه أشاعت المفاهيم

الداروينية للتقدم العرقي من "الهمجية" إلى "الحضارة" (ريديل 1999، 140).

ونتيجة جزئية لذلك أنّ الجمهور – من آواخر القرن التاسع عشر إلى أوائل القرن العشرين – كان "مفتونا، أو مدمنًا لعروض البشر البدائيين" (برادفورد وبلوم 1992). وفي الماضي كانت هذه العروض الشعبية – على الأقل بالنسبة للكتلة الجماهيرية – واحدة من الأدلة الأكثر إقناعا بالداروينية (جوردون 1999 وبارسونز 1999). منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى اليوم، زار مئات الملايين من الأشخاص في كافة أنحاء العالم المعارض والسيرك. وكانت المعارض وسيلة ترفيهية رائدة لأكثر من قرن من الزمان وظلت شائعة لبعض الوقت حتى بعد ظهور الرسوم المتحركة (دورانت ودورانت 1957 وبراندا وسبينس 1952). ونتيجة لذلك، تعرض الملايين لهذه البرامج الدعائية الداروينية خلال فترة "يطلق عليها أحيانًا عصر داروين" (ليندفورز 1999، 6).

واستخدمت هذه العروض الأفارقة والأقليات العرقية الأخرى التي شُكّلِت لتظهر في صورة بشر بدائيين بشكل مقنع؛ حلقة الوصل بين البشر والقرود كما تتطلب نظرية داروين (لينفورز 1999). على الرغم من أن المثال الكلاسيكي هو عرض القزم المسمى أوتا بينغا في حديقة حيوان برونكس، لكن هذه الممارسة كانت مستمرة منذ عقود (برادفورد وبلوم 1992، بيرجمان 1993). من المعروف الآن أن كافة هذه "الحلقات المفقودة لداروين" كانت من البشر العاديين من الدول والثقافات غير الغربية. وعادة ما يكونون الأفارقة، ولكن كذلك الآسيويين والأستراليين وسكان جزر الجنوب.

عرض السيرك الشهير بارنوم وبيلي بانتظام عروض البشر التي زعموا أنها على الأقل قدّروا أنّها دليل على نظرية داروين للتطور البشري، أو في أغلب الأحيان وجهت الزائر

بطريقة مخادعة إلى استنتاج أنه دليل سليم على الداروينية (بيرغمان 2002).

صُممت العديد من الإعلانات لهذه المعارض خصيصًا لتلبية فضول الجمهور حول داروين. واستنتج أحد الباحثين أن بارنوم كان خبيرا في التوصل إلى الأنواع الوسيطة المزيفة، وأن "الحلقة المفقودة كانت تخصصه، وأبقى متحفه معبأً بهم سواء من أجل اخراج السلسلة الكبرى للوجود، أو لدعم نظرية التطور، وذلك بعد عام 1859 عند ظهور أصل الأنواع لداروين" (بلوم 1999، 190). ولاحظ كونهاردت وآخرون أهمية هذه العروض عند تدوينهم تاريخ بي. تي. بارنوم.

عرض بارنوم وبيلي الأعظم على وجه الأرض!! مع أصغرجل على قيد الحياة و"عملاق الكونغو"

ربما كان أهم عرض قدمه بارنوم في حياته المهنية بالكامل هو "ملتقي الأمم العرقي الكبير" المكون من "القبائل" الأصلية من كافة أنحاء العالم. وكان يخطط لمثل هذا التجمع منذ عام 1860 عل الأقل - وربما منذ عام 1851-. وفي 1880 وما بعدها، أراد أن يعرض أكثر عن "الأجناس غير المتحضرة." كتب في أغسطس 1882 "أنا أرغب في مجموعة من أزواج أو غير ذلك من كافة الأجناس غير المتحضرة في الوجود". وبتوظيف عملاء في كل قارة، في النهاية بدأ المشروع في تقديم "العينات" التي طال انتظارها من الزولو والبولينزيين والنوبيين والهندوس وهنود التودا والأفغان والأبورجينين الأستراليين وهنود السو واللابيين (الساميين)[1]. هذا الشئ لم يُرَ له مثيل من قبل في أميركا أو في أي مكان آخر. كان الافتتان العام بمؤتمر "بارنوم" شديدًا. وخصوصًا الجماهير البيضاء الذين صاحوا في سخرية من الكائنات "المتدنية" المعروضة. لخصت جريدة شيكاغو تريبيون مواقف الأمريكيين من خلال وصف السكان الأبورجينين الأستراليين بأن لهم "بشرة سوداء فاحمة" و"ملامح غوريلية" (1995، 296).

العديد من العروض "العلمية" زادت من المشكلة. على سبيل المثال: عرض "القرى الأصلية" في المعرض الكولومبي 1893 في شيكاغو "ألهم السيرك لتوسيع عروضه حول أهل القبائل" (بوغدان 1988، 185). أحد المؤشرات على ارتفاع مستوى شعبية

---

(1) الزولو: مجموعة من القبائل الافريقية اشتهرت بأنها الأقوى. يسكنون جنوب أفريقيا. – البولينزيون: سكان جزر بولينزيا؛ وهي مجموعة من الجزر في المحيط الهادي. – النوبيون: هم سكان شمال السودان وجنوب مصر. تودا: قبائل تعيش جنوب الهند. – قبائل السو: هم السكان الأصليون للولايات المتحدة. وقد قادوا الكثير من حركات التمرد ضد الأوروبيين لكنها باءت بالفشل. أشهر زعمائهم هو "الثور الجالس" الذي يعد أخطر المتمردين. – اللابيون أو الساميون: هم الاسكندنافيون -سكان المناطق الشمالية لأوروبا التي تمثل الآن السويد والنرويج وفنلندا-.(الناشر)

عروض "البشر البدائيين" هو المعرض العالمي لعام 1917. حصلت عروض الأنثروبولوجيا حول الإنسان "البدائي" في هذا المعرض على 40٪ من كافة التقارير الصحفية. "الطبيعة الحيوانية" للأفارقة كانت السمة التي اعْتُقِد أنها تضعهم "بعيداً عن أنواع البشر الأخرى الأكثر عقلانية" (ليندفورز 1983، 8). هذا المعرض - كما فعل الكثير من المعارض غيره - عرض مجموعة من الأقزام - ويبين "السجل التاريخي أن الأقزام كانوا مطلوبين بشكل كبير من قديم الازل" (برادفورد وبلوم 1992، 18).

وعلى مدار عدة عقود، كان يُعتقد حتى من قِبل بعض "الخبراء"، أنّ الأقزام كانوا نوعًا من القرود" (برادفورد وبلوم 1992، 20). الأقزام "بالكاد يشبهون البشر ... ليسوا أكثر ذكاءً من بابون مُدرّب على دراجة" (غرين 1999، 172). و"كانوا موضوع بحث ونقاش من قبل علماء الإثنولوجي في الأوساط المتعلمة" (بوغدان 1988، 188). كثير من هؤلاء الأشخاص البدائيين - كما ادّعى كذبًا رجل العروض - لم يكن لديهم لغة معترف بها، ولا حالة اجتماعية، وعاشوا مثل الحيوانات. وفي الواقع كان الأقزام "بطرق عديدة أفضل من الأشخاص الأوروبيين العاديين"؛ كانوا يحترمون الممتلكات و" القتل والسرقة والجنس قبل الزواج كانوا غير معروفين بالنسبة لهم تقريبًا" (مارشاند 2003، 300).

وبالمثل، تم تسويق أشخاص آخرين من أفريقيا (مثل قبيلة الزولو) على أنهم "مخلوقات أشباه قرود" و"أفارقة همجيين" (بوغدان، 1988، 187). كان كثيرًا ما يُعرض الهوتنتوت ويُسَوّقون على أنّهم "أمثلة على أكثر البشر بدائية في العالم" (بوغدان 1988، 187). وكثيرًا ما زعمت الإعلانات اليومية أنّه من وجهة نظر تطورية، كان الأفارقة أقرب إلى القرود منهم إلى البشر. لم يدّعوا صراحة - في كثير من الأحيان - أن الزنوج

هم الحلقة المفقودة، بل يستخدمون عبارات أخرى مثل: " لايسعنا إلا أن نتساءل عما إذا" كان الأفارقة "حلقة داروين المفقودة" (بوغدان 1988، 192).

اعتُبِر العديد من الأعراق الأخرى أيضًا أقل تطوراً من البيض؛ "روابط" حية مع ماضي التطور البشري. توافد الناس لرؤية هؤلاء "القردة" في المعارض حتى دحض العلماء تمامًا أفكار تحسين النسل حول الدونية الإنسانية العرقية وحركة تحسين النسل كلها. وقد أوضح غرين أنه في أسبوع واحد "كان أكثر من عشرة آلاف بريطاني يتسلّون بالأقزام الكونغولية" (1999، 174). كان عمل ترنبول في خمسينيات القرن العشرين فقط هو السبب في الفهم الصحيح أن الأقزام بشر، ودَحَض تمامًا ونهائيًا الاستنتاج القائل بإنهم كانوا "البشر – القرود" (ترنبول 1968).

كانت كتابات داروين حاسمة في انتشار وجهة النظر القائلة بأنّ البشر تطوروا من بعض الأسلاف أشباه القرود. كان عمله كذلك دافع هام للغاية لاستغلال غير الغربيين في عروض غريبي الأطوار. على سبيل المثال، دعّمت كتابات داروين استنتاج "أن بعض أنواع البشر أقرب إلى أسلافهم البدائيين من غيرهم" (بوغدان 1988، 249). خصص داروين فصلاً كاملاً للأشخاص "البدائيين" في كتابه "مجلة الباحثين" (يعرف الآن باسم "رحلة البيجل") الذي صدر عام 1839. ادّعى فيه أنهم كانوا بدائيين إلى درجة أنه "عندما يتعرضون للضغط في الشتاء بسبب الجوع يقتلون ويفترسون نساءهم قبل أن يقتلوا كلابهم" (1839، 214).

بعد فترة وجيزة من مناقشة موضوع التطور للنقاش على نطاق واسع (وقبوله إلى حد كبير بعد ذلك) بسبب عمل داروين: ازدادت أعداد وأنواع تواتر عروض "غريبي

الأطوار" بشكل مطرد (روتفلز 1996، 164). تحت عنوان "البحث عن أسلاف الإنسان" أشار سميث وآخرون أنه بعد داروين "كان علماء الأنثروبولوجيا وعامة العلمانيين مهتمين جدًا بإمكانية العثور على حلقات أخرى لأسلاف الإنسان، سواء كانت ميتة أو حية" (1931، 20).

لقد كان يمكن للناس – من خلال هذه العروض – رؤية بشر يشبهون إلى حد الكبير البشر بعد فترة قصيرة من "تركهم القرود وراءهم" (روتفلز 1996، 164). استخدمت القبائل أشباه القرود كدليل على التطور قبل أن ينشر داروين عمله الكلاسيكي "أصل الأنواع"، لكن الكثير من الأشخاص – على الأقل حتى منتصف القرن التاسع عشر – كانوا يعتقدون أن دونية الأفارقة كانت بسبب البيئة (ايرلمان 1999، 112 وفيدلير 1978، 240). استُغلت بعض مجموعات عرقية محددة قبل عصر داروين، ولكن المشكلة أصبحت أكثر سوءًا بعد أن تمّ نشر التطور من قبل علماء (مثل إيراسموس داروين في أوائل القرن التاسع عشر) وكُتّاب (مثل روبرت تشامبرز في أربعينيات القرن التاسع عشر).

على الرغم من أنه كان معروفًا على نطاق واسع في زمن ما قبل داروين أن العديد من البشر الذين عاشوا في ظروف بدائية أو غير حضارية، ما زالوا يُعدّون كائنات نبيلة خُلقت بواسطة إله مُحب (سنيجروفيتش 1999). تغير كل هذا بمجرد اعتناق الجماهير للداروينية. وبمجرد أنّ قُبلت فكرة أنّ البشر تطوروا من أسلاف أدنى على نطاق واسع، أصبح هؤلاء الهمج ليسوا بشرًا يعيشون في ظروف بدائية، بل مخلوقات بدائية بيولوجيًا أقل تطوراً من الغربيين.

كان يعتقد أن بعض الأجناس (مثل هوتينتوس) هي "الحلقة المفقودة" بين البشر والحيوانات (ستروثر 1999، 10) عندما أصبح البشر "مجرد قرود متحولة" – كنتيجة للداروينية – يمكننا أن نتوقع العثور على بعض البشر الذين ما زالوا يتحولون ويتطورون (سنيجروفيتش 1999). حتى أن بعض الدارونيين زعموا أن "الزنوج كانوا نتيجة للتزاوج المتبادل بين البشر والسياميين" (فيدلر 1978، 240). وفُسر الدافع وراء عرض غير الغربيين في المعارض على النحو التالي: "مع اكتشافات مثيرة مثل اكتشاف الإنسان البدائي – أحد أهم غريبي الأطوار في كل العصور – في كهف خارج دوسلدورف في 1856، والأهم من ذلك نشر أصل الأنواع لتشارلز داروين في عام 1859، والذي استقبله العلماء الألمان بفارغ الصبر؛ لاقت فكرة التطور رواجًا على المستوى العلمي والشعبي في ألمانيا على عكس ردود الفعل في البلدان الغربية الأخرى. أصبحت قطاعات واسعة من العامة والجمهور العلمي مفتونة بما اقترحته نظرية الانتقاء الطبيعي حول تطور الإنسان من الأنواع غير البشرية، وكذلك مع ما ينطوي عليه عن أصل الأجناس والثقافات. بتذكر تسارع الاهتمام بالنظرية التطورية في ألمانيا، صرح عالم الأنثروبولوجيا كارل ستراتز في عام 1904 بأنّ: "تم فحص الأجناس البشرية البدائية المختلفة لتشابهها مع القرود، وجمعت قائمة بخصائص البشر (أشباه القرود)، وجرى البحث بعد ذلك بحماس عن الحلقة المفقودة – آخر رابط حلقة بين الإنسان والقرد – " (روثفلز1996، 162).

التدريب على التصرف كحلقة داروين المفقودة

لم يختاروا الرجال والنساء لهذه العروض فقط لجانب المظهر، بل دربوا في كثير من الأحيان على أداء الأدوار كذلك – على سبيل المثال، أخبروهم بكيفية التصرف وكثيراً ما أعطوهم دعائم مثل عصى للتعكز عليها مما يدل على أنه ليس من عادتهم المشي على قدمين ولكنهم يتحركون مثل القرود. وكان بعضهم يرتدون مآزر فقط، وكانوا يُدرَّسون "لغة الأدغال" – مع همهمات بشعة – لمساعدتهم على أداء التمثيلية الداروينية الهزلية، الرجل القرد. كان العديد من الممثلين جيدين وأقنعوا الملايين بالاعتقاد أنهم كانوا في الواقع من البشر القردة (كوك 1996).

على الرغم من أن غالبيتهم كانوا أدنى من الذكاء العادي، فقد تعلموا كيف يتصرفون بغباء (وكان عليهم أن يكونوا ممثلين جيدين لجذب الحشود اللازمة لكسب المال). شمل التشويه الشائع لثقافتهم المزاعم بأنهم كانوا من أكلة لحوم البشر الذين مارسوا تعدد الزوجات، صيد الرؤوس أو التضحيات بالبشر، وأكلوا القوارض والحشرات والأوساخ. وكان هناك بعض "الأكاذيب والإدعاءات الزائدة والمبالغ فيها" الأخرى الشائعة (بوغدان 1988، 107). كان توظيف هؤلاء "الممثلون الزولو" "سهل ورخيص وكانوا متعاونين" (بوغدان 1988، 176). بعد القبول الواسع النطاق للداروينية حدث إرتفاع سريع في استغلال الأجناس الأجنبية وذلك لم يكن متوقعًا: "أعطى التنظير التطوري لداروين فرصة لتكهنات أكثر تشدداً حول طبيعة الوسيط بين "الإنسان" والقرد في الخيال الاجتماعي الفرنسي. وقد انتشرت معارض مثل (الرجال والنساء القردة) وأنواع مختلفة أخرى من الوسطاء والبدائيين في المعارض والكرنفالات وغيرها من

أماكن الترفيه الشعبي مثل قاعات الموسيقى والمقاهي والحفلات الموسيقية. التقارير والمقالات الصحفية، والأعمال الأدبية والدرامية، هجت وسخرت وبطريقة أخرى خمّنت الوسيط المحتمل بين "الإنسان" والقرد (سنيجروفيتش 1999، 57).

سبقت "أطفال الأزتك"[1] وغيرها من العروض في أوائل الخمسينات من القرن العشرين الانتشار الواسع للتطور، لكن بعد ذلك أصبحت الداروينية عاملًا رئيسيًا في اعتبار مجموعة كبيرة من الأفراد على أنهم غريبي الأطوار (روثفلز 1996، 162). مثال ذكره روثفلز (ناقشه داروين كذلك في كتاباته الكلاسيكية): هو شعب تييرا ديل فويغو[2].

استنتج روثفلز ما يلي: "يقدم معرض "تييرا ديل فويغو" حالة كلاسيكية. حيث جلس "الفويغان" بهدوء، ومشوا في الأرض، وأعدوا طعامهم على النار مباشرة دون استخدام الأواني. الجمهور – على الرغم من الملل الظاهرة على هذه الأنشطة – كان متحمسا بشكل مذهل. في باريس، زار أكثر من 50000 شخص هذا العرض في أحد أيام الآحاد. وفي حدائق الحيوانات في برلين، "من أجل تجنب المشهد الوحشي المبكر من تدافع الجمهور، كان هناك مسرح كبير ارتفاعه حوالي أربعة أقدام مُشيد وموضوع فوقه الفويجيان". أغلب العامة كانوا أكثر من راضين بمجرد التحديق في هؤلاء "البشر البدائيين" (1996، 164)

---

(1) الأزتك: هم السكان الأصليين للمكسيك قبل الغزو الإسباني. كان للأزتك حضارة كبيرة، بنوا مدن كبيرة، ووضعوا أنظمة اجتماعية وسياسية ودينية. كانت عاصمتهم تينوتشتيتلان (مكسيكو سيتي) حاليًا أكبر مدينة في العالم تقريبًا وقت الغزو الأسباني. (الناشر)

(2) أرض النار: مجموعة جزر في أقصى جنوب أميركا الجنوبية بين المحيط الأطلسي والهادي وتمثل الآن الأرجنتين وتشيلي.(الناشر)

بعض الأمريكيين - الذين تنكروا في صورة أفارقة في المعارض - كانوا فيما بعد يكشفون عن طبيعتهم المتحضرة (سنيجروفيتش 1999، 59 وكيلينجراي وهندرسون 1999) ويدعي ليندفورز أن "العديد" من "المؤدين" الزولو كانوا يومًا ما محتالين (1983، 11). على الرغم من ذلك، فإن هؤلاء "المتوحشين المزيفين" كانوا بنفس القدر من الزيف كهمجي حقيقي يُمثل كونه حلقة داروين بين الإنسان والقرد. واستشهد بوغدان بعدة حالات لأمريكيين مولودين في الولايات المتحدة والذين تم تقديمهم كأجانب. على سبيل المثال: الأقزام في ولاية أوهايو الذين زُعمَ أنهم من بورنيو، الأسود طويل القامة من شمال كارولينا الذي زُعم أنه من داهومي[1]، و"الأفارقة الأصليين" - والذين كانوا في الواقع سود البشرة - الذين جئ بهم من قاعات لعب البلياردو في شيكاغو (1988، 107-196).

داهومي: مملكة أفريقية تاريخية تمثلها حاليًا دولة بنين.

مثال آخر: عندما كان يتم طي شعر الأزتك إلى الأعلى وربطه في صورة قنزعات للتأكيد على أنّ رؤوسهم صغيرة وكثيرًا ما كان يتم تصويرهم من الجانب لعرض "جباههم المنحدرة التي تشبه القردة" وأنوفهم (سنيجروفيتش 1999، 58). وارتدى الأشخاص في العديد من المعروضات سراويل قصيرة من جلد النمر أو ملابس مماثلة لتبدو أكثر بدائية وأكثر شبهاً بالحيوان (بيكوك 1999، 97). قام قسم الماكياج بعمل جيد لدرجة أن بعض الأفارقة "بالكاد بدوا بشرًا" (غرين 1999، 172).

---

(1) بورنيو: هي جزيرة أسياوية كبيرة. مقسمة الآن بين ماليزيا وإندونيسيا وبروناي.(الناشر)

الأوبانغي: أشباه القردة من الكونغو البلجيكية[1]

وخير مثال على استغلال الأفارقة كانت قبيلة أوبانغي. كان الأوبانغي عبارة عن مجموعة من النساء اللواتي نُقلن من الكونغو البلجيكية لأداء دور حلقة داروين المفقودة في سيرك بارنوم. وللتأكيد على بدائية الأفارقة، كانوا يُعرَضون في كثير من الأحيان شبه عراة، وغالبًا مع القردة وصوت الطبول في الخلفية (بوغدان 1988، 195). إعلانات عرض الأوبانجي ادّعت أنّهم كانوا يعيشون "مثل الحيوانات"، ورائحتهم مثل "رائحة الخنازير"، وعندما يُلقى إليهم الموز -"كما لو أنّهم من الشمبانزي"- كانوا يأكلونه "مثل القرود" (براندا 1952، 245). كان من السهل إطعامهم، حيث كان نظامهم الغذائي يتكون من وجبتين فقط في اليوم "الموز مع البرتقال المقشر، والسمك النيء" (براندا وسبنس 1952، 245). أفاد كل من برادنا وسبينس أنّ: "الأوبانجي كان لهم تأثير السحر، ولم يكن الجمهور يكتفي منهم أبدًا. لقد كان الرجال والنساء يقفون أمامهم فاغري أفواههم لمدة خمس دقائق أثناء العرض، ثم يعودون في العرض التالي لإلقاء نظرة أخرى (1952، 246). لقد زعموا أن نساء قبيلة أوبانجي استقطبت حشودًا أكبر

من أي عرض آخر تم تقديمه في السيرك (1952، 318). وقد استمر عرض الأوبانغي حتى عام 1932 على الأقل (ليندفورز 1983). لقد كانت شعبية مثل هذه العروض كبيرة لدرجة أنّه: "بحلول القرن التاسع عشر، استضافت غالبية مدن أوروبا معارض الشعوب "الغريبة"، بما في ذلك العرض التقليدي لأفارقة جنوب الصحراء الكبرى والمور والساميين وشعوب العالم القديم الأخرى وكذلك الشعوب الأصلية للعالم

---

(1) كانت الكونغو مستعمرة بلجيكية من عام 1908 حتى استقلالها عام 1960.(الناشر)

المكتشف حديثًا من الأمريكيين الأصليين وشعوب الإنويت وسكان جزر بحر الجنوب[1].

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ازداد تنوع وعدد برامج الشعوب "الغريبة" جدًا، ومن بين المعارض الأكثر شعبية في النصف الأخير من ذلك القرن في ألمانيا كانت تلك التي ركزت على الشعوب "البدائية"، الذين - مثل "كراو"[2]- لغرابة أطوارهم يمكن أن يمثّلوا السلف التطوري للأوروبيين (روثفلز 1996، 164).

تأثير الرجل القرد على الأشخاص العاديين

كانت إحدى الأساطير الهامة المستمدة من الداروينية هي الاعتقاد بأن المخلوقات الوسيطة بين الإنسان والإنثوبويدات يجب أن تكون موجودة. وترتبط هذه الفكرة بفكرة التراجع أي أنّ نسلنا (أو نسل أبنائنا) قد يعودوا إلى المخلوقات دون البشرية التي كانت موجدة ذات يوم في الماضي البعيد (فيدلر 1978، 241).

وفقًا لتعبير أوديل: "كان العالم يستعد تدريجيًا لداروين، ويفحصه من خلال بارنوم" (1931، 413). معارض الإنسان - القرد هذه بلا شك مثيرة للإعجاب ومقنعة للغاية بالنسبة للجماهير الكبيرة الساذجة وغير المتعلمة الذين شاهدوها بانتظام. وإلا، فلماذا يتدفق الملايين لمشاهدة العروض بسعر لم يكن رخيصًا في تلك الأيام؟ كم من

---

(1) 1- أفارقة جنوب الصحراء الكبرى: هم الزنوج سكان جنوب القارة الأفريقية. – المور: البربر سكان شمال أفريقيا (المغرب العربي). – الإنويت: شعوب الإسكيمو الذين يسكنون السواحل الشمالية لأميركا الشمالية وشمال شرق سيبريا، ويتميزون ببشرة سمراء نسبيًا. – سكان جزر بحر الجنوب: هم من نسل الإستراليين، يعيشون في الجزر الموجودة في بحر الجنوب غرب المحيط الهادي.(الناشر)

(2) كراو: مؤدية عروض أمريكية، ولدت بمتلازمة فرط الشعر –معدل غير طبيعي لنمو الشعر في الجسم- مما جعلها مناسبة لـ "عروض غريبي الأطوار" في أوروبا وأميركا.(الناشر)

مئات الملايين من الأشخاص زاروا معارض "الإنسان – القرد" ونتيجة لذلك أصبحوا مقتنعين بأن الداروينية كانت صحيحة. من المعروف أنّ هذه البرامج "تركت انطباعًا دائمًا" عند عدد كبير من الأشخاص (بونديسون 1997، 217).

هذه المعارض لم تكن فقط تجرد من الإنسانية بشكل سافر، كانت غير شريفة كذلك، لأنّ العارضين تقريبًا في كافة الحالات ضللوا الجمهور بخداع من خلال معارضهم إما لإثبات نظرية داروين للتطور، أو في بعض الأحيان على شكل تراجعات تطورية تسمى التأسل الرجعي. غالبية (البشر – القرود) كانوا يصنفون بشرًا عاديين حتى في القرن التاسع عشر (غولد وبيل 1896).

لم يكن الدافع الرئيسي للسيرك والعارضين هو إثبات التطور، وفي الواقع وفي العديد من الحالات (بل غالبيتها) كانوا يعلمون أن عروضهم كانت بشرية بالكامل. كان الدافع الرئيسي في غالبية الحالات هو الدافع المالي إلى حد كبير حيث كانت "مشروعًا كبيرًا" مكن الكثير من الأشخاص من أن يصبحوا أغنياء (بوغدان 1988، 198). ومع ذلك، كانت النتيجة النهائية هي المساعدة في إقناع عامة الأشخاص بحقيقة الداروينية مما جعلها عاملاً آخر مؤثر في التحول السريع لشرائح واسعة من السكان إلى الاعتقاد بالتطور الداروينى.

الاعتراضات الشائعة على المعارض

أحد أكثر الاعتراضات الشائعة على المعارض، كان قلق رجال الدين تحديدًا من أنّه يمكن أن يجعل الناس يتساءلون عن الأصل الإلهي للحياة. هناك اعتراضات محددة تضمنت الاعتقاد بأنها يمكن أن تجعل بعض الجمهور يشك في أنّ "الحياة كانت نتيجة

"شرارة الخلق الإلهية"، بالإضافة إلى ذلك، فإنّ الحياة البشرية وُهَبت مميزات خاصة من عند الله مثل العقل والإبداع والكلام" (سينجروفيتش 1999، 62).

وبطبيعة الحال، كان هذا الاعتراض صحيحًا تمامًا لأن العروض ساعدت على إقناع أعداد كبيرة من الأشخاص بالداروينية، وقبول (أو تعزيز) العنصرية كذلك. كانت عروض غريبي الأطوار "مصاحبة لظهور حركة تحسين النسل وهي استخدام خبيث للداروينية الاجتماعية التي حذرت الأمة من أن حماية المجتمعات الحديثة لضعفائها سيعطل عمل مبدأ البقاء للأصلح" (بوغدان 1988، 62).

وقد اعترض كثير من الأشخاص على هذه العروض لأن المعارض كانت في كثير من الأحيان مضللة، وحاولت عمدًا ترك إنطباع بأن هؤلاء الأفراد كانوا أقل من البشر ويُشاهدون مثل الحيوانات في حديقة الحيوان. وقد أدرك العديد من الأشخاص أن العروض لا تسهم في العنصرية فحسب، بل كذلك في العنف وخاصة ضد السود.

غالبية العلماء التزموا الصمت

بشكل عام "جعل العلماء تعليقاتهم قاصرة على معارض محددة، بوصفها و التأكيد على أهميتها العلمية" (بوغدان 1988، 64). أدرك بعض العلماء أن العديد من هذه المعارض مضللة على أحسن تقدير. بالرغم من أنّ داروين خلص إلى أنّ الفويجيين "هم أدنى الأنواع البشرية المكتشفة حتى الآن"، إلا أنّ علماء آخرين - مثل عالم الأنثروبولوجيا الألماني رودولف فيرشو - أدركوا

صورة غير مؤرخة لعالم الأنثروبولوجيا الألماني رودولف فيرشو

أنّ هذه المجموعات العرقية لا تمثل أيًّا من "أشكال المرحلة الانتقالية بين القرود والبشر" (روثفلز 1996، 165). الرؤية اللاحقة لم تتجه لمساعدة مشروع الإنسان القرد، كما أنّها لم تدعم الداروينية، لذلك تم تجاهلها بقدر الإمكان.

"التصور الشائع ... التصور المتأصل في الطريقة التي عُرض بها "الهمجيون" على أنهم غريبو الأطوار التي كانت تميل إلى التركيز على الاختلافات العميقة بينهم وبين الأوروبيين" (روثفلز 1996، 165). وبالتالي، كانت وجهات نظر العلماء مثل فيرتشو عادة صامتة (أو مُسكتة). فقد قال كارليون عن رجل العروض – دان ايس – إن "العنصرية في ذلك اليوم اشتملت على الفئات العنصرية "الداكنة" التي يصحب تحديدها فهي ليست بالأبيض ولا الأسود ولا الملون"، ولم تساعد متاحف تلك الأيام في توضيح الأمر.

كان من بين العناصر الهامة في المتحف قاعة المحاضرات التي جعلت ادعاء التعليم واضحًا. بالرغم من أنّ مزيج المعالم الجاذبة في المتحف كانت تبدو غير علمية إلا أنّها لم تكن عبثية. جاء عالم الطبيعة الشهير وأستاذ جامعة هارفارد – لويس أجاسيز – إلى نيو أورلينز، وفي نفس الموسم وللأسباب ذاتها جاء د. كوش، لإلقاء محاضرة حول التاريخ الطبيعي للمواطنين الفضوليين. ربمّا كان البشر الوحشيون في بورنيو عبيدًا – كما كان العديد من "المواطنين الأصليين" الذين عُرضوا، وربمّا كان الزيوغلادون[1] مزيفًا، ولكن نظرًا لأن البشر حولوا نظرهم إلى البحار الهادئة أو إلى عصور ما قبل التاريخ، فإنّه كان يجري تجهيز القواعد الأساسية لعمل علماء الأنثروبولوجيا، ولأفكار داروين (2001، 154–155). عادة ما

(1) 1– أحد أنواع الحيتان القديمة التي عاشت من ملايين السنين، وجدت أول حفرية له في الولايات المتحدة وأجريت عليها العديد من الدراسات حول التطور.(الناشر)

كانت الصحافة الأكاديمية تتجاهل مشكلة استغلال غير الغربيين، ونادرًا ما كان يتم انتقاد أو معارضة الأذى الذي تسببت فيه عروض "الإنسان – القرد". في كثير من الأحيان تم استغلال غير الغربيين من قبل الداروينيين أنفسهم لتوثيق قضيتهم حتى في ستينيات القرن العشرين (لمثال، انظر كوون 1962). حتى أنّ شتاينيتز اقتبس كلمات داروين في مجلة الباحثين (1839) القائلة بأنّه: "من الصعب اعتبار الفويجيان على أنهم مخلوقات يسكنون العالم ذاته" مثلنا نحن الغربيون. بل بالعكس: "كانوا مخلوقات فجة ومخيفة لطخوا وجوههم القبيحة بالطلاء" (اقتبس من روثفيلز 1996، 165). لا شك أن كتابات داروين وغيره ممن لديهم أفكار مشابهة (بمن فيهم ابن عمه فرانسيس جالتون) ساهمت في "الإبادة الجماعية بإطلاق النار" في وقت لاحق "عندما كان المستوطنون الأوروبيون يطاردون الفويجيان بلا رحمة" (هازيلوود 2000، 12 والتوضيح ص 273). يضيف هازيلوود أنّ قصة تييرا ديل فويجو تمّ قصها مرات عديدة من قبل العديد من الكتاب بمن فيهم داروين، ولكن في كل هذه القصص: لم يرد ذكر الفويجيان إلا على اعتبارهم بِدع وأشخاص غريبي الأطوار، أو مضايقات وعقبات أمام تقدم الإنسان الأبيض وحضارته. بالنسبة لغالبية الأوروبيين والأمريكيين الشماليين الذين غامروا بزيارة هذه الأجزاء فقد كانوا مجموعة متوحشة وبائسة من الهمجيين والملحدين الخارجين عن القانون الذين عاشوا في بؤس؛ كما يقول داروين: "كانت من أكثر المخلوقات – التي رأيتها في أي مكان – حقارةً وبؤسًا"، وبالتالي فهى كائنات لا تستحق أن يكون لها تاريخ. وفي النهاية وعندما بدأ يُسمع لهم كما في سجلات مركز مهمات أوشوايا، الذي أنشئ في 1870، كان الأمر متأخرا للغاية. والأكثر مأساوية – وفقا للمؤرخين وعلماء الأنثروبولوجيا وعلماء الآثار والاثنوغرافيين الذين لديهم منهج مختلف

وأكثر تعاطفاً مع السكان الأصليين الذين وصلوا إلى المشهد - لم يكن هناك أحد تقريباً للدراسة. قُضي على جزء كبير من تاريخ شعوب الفويغو في حرب الإبادة الجماعية بإطلاق النار، وانتشار الأمراض الغريبة (2000، 12).

أُدرجت أفكار داروين لعلم تحسين النسل (وأتباعه) في كتب النصوص الرئيسة في آواخر عام 1962 (كوون 1962). كان لحركة الحقوق المدنية تأثير كبير في إنهاء استغلال الأجناس غير البيضاء خاصة الأفريقية منها. مثل هذه العروض لا يمكن تصورها في العالم الغربي اليوم. لا يمكن لهذا التنوير الجديد أن يغير حقيقة أن "نظرية التطوّر" دفعت على مدى عقود إلى البحث عن أفراد مثل "كراو"، بل حتى شعوب بأكملها مثل "الفويجيان"، الذين يمكن أن يُفسَّروا على نحو ما على أنهم يمثلون الحلقات المفقودة في التطور البشري" (روثفلز 1996، 165). ومن المثير للاهتمام أن داروين كان في البداية يَصف الفويجيان بالبشر البدائيين لكنه غير وجهة نظره عنهم لاحقًا، بعد أن أدرك التغيرات التي طرأت على حياتهم بعد تحولهم إلى المسيحية. ونتيجة لهذه التجربة ساهم تشارلز داروين شخصياً في عمل مركز المهمات في تييرا ديل فويغو (هازيلوود 2000).

الادعاء بأن البشر - الحيوانات هم حلقة داروين المفقودة

عرضت بعض المعارض مخلوقات زُعم أنها ناتجة عن "التهجين بين البشر والحيوانات والتي تتضمن الحلقة البيولوجية" (بوغدان 1988، 106). وكان هناك تفسير شائع آخر بأنّ البشر المعروضين كانوا انتكاسات أو ارتداد لمراحل تطورية سابقة من الجنس البشري (بوغدان 1988، 106). كما أن الحيوانات - ولا سيما الرئيسيات المدربة بما فيها القرود والشمبانزي وإنسان الغاب - وصفها العديد ممن في السيرك والعروض بأنهم

"روابط مفقودة" بين الحيوانات والبشر. على سبيل المثال، في أربعينيات القرن التاسع عشر عرض بارنوم – في معرض شهير للغاية – إنسان الغاب العادي على أنّه "الرابط بين الإنسان والحيوان" (ساكسون 1989، 98). يحكي كونهاردت وآخرون قصة إحدى الرئيسيات التي أصبحت "حلقة مفقودة" شهيرة: "في عام 1846 اشترى بارنوم "إنسانة الغاب الوحيدة على قيد الحياة في إنجلترا أو أميركا الشمالية مقابل 3000 دولار". والتي سميت بالآنسة فاني إيلزلر على اسم راقصة الباليه الرائعة فاني إيلزلر. روّج بارنوم للحيوان على أنه حلقة مفقودة محتملة. وذكرت إحدى الصحف أن "أفعالها وصوتها أثناء الضحك والبكاء تقترب نوعًا ما من الأنواع البشرية". "فقد كانت يديها ووجهها وأقدامها بيضاء ناصعة وتمتلك بشرة ناعمة مثل أي طفل حى" (1995، 110).

ملخص

استغل الدجالون لسنوات عديدة غير الغربيين باعتبارهم "حلقة داروين المفقودة" من أجل الربح والترفيه. لقد أظهر مروجي هذه البرامج بصورة مخادعة في كثير من الأحيان العديد من غير الغربيين على أنهم الحلقات المفقودة، أو على الأقل شعوب بدائية وأقل تطورًا مقارنة بالغربيين. أُستغل الأفارقة وغير الغربيين الآخرين في العروض الجانبية لأكثر من قرن كدليل على الداروينية. كانت هذه العروض نقطة جذب رئيسة في العديد من المعارض ومن المحتمل أنها أثرت على ملايين الأشخاص لقبول نظرية تطور البشر من القرود.

وكانت مساهمة هذه العروض في العنصرية والحركات العنصرية مثل كو كلوكس كلان هامة أيضا. فكثير من هؤلاء غير الغربيين "عاشوا حياة بائسة"، استغلوا بشكل

عام وعوملوا بشكل سيء. لكن لم يكن "يهم جمهور ما قبل أربعينيات القرن العشرين الأمريكي؛ فعلى كل حال، هؤلاء المعرضون كانوا أكلة لحوم بشر وهمجيون وبرابرة" (بوغدان 1988، 198-199).

المراجع

جيري برجمان. 1993 قصة الأقزام العرض في حديقة الحيوان." مجلة جمعية البحوث 30(3) 140-149.

2002- أشباه القردة عند داروين واستغلال البشر المشوهين".تي جي المجلة ا لتقنية 16(3) 116-122.

هارفي بلوم 1999 بيرنيث ليندفورز – المحرر"اوتا بينجا و بارنوم بيربلكس". الأفارقة على المسرح: دراسات في الأعمال الإثنولوجية - بلومنجتون اي انمطبعة جامعة انديانا.

روبرت بوجدان 1988عرض غريب. تقديم الشكاوى الإنسانية للتسلية والربح.شيكاغو اي ال مطبعة جامعة شيكاغو.

جان بونديسون1997 مجموعة من الصفات الطبية - قصة غريبة من جوليا باسترانا". إيثاكا، نيويورك: مطبعة جامعة كورنيل. ص. 216-244.

فيليبس فيرنر برادفورد وهارفي بلوم 1992الأقزام في حديقة الحيوان. نيويورك: مطبعة سانت مارتن.

فريد برادنا وهارتزل سبنس1952القمة العظمى: السنوات الأربعون التي قضيتها مع أعظم عرض على الأرض من قبل فريد برادنا كما تم إخباره هارتزل سبينس بما في ذلكقاعة المشاهير في السيرك. نيويورك: سايمون وشوستر.

ديفيد كارليون،2001دان رايس: الرجل الأكثر شهرة لم يسمع به من قبل. نيويورك: مطابع الشؤون العامة.

جيمس دبليو جونيور كوك 1996 "من الرجال — فقدان الروابط - المهنة الغريبة ل بي تي بارنون" ماهذا العرض" ص 138-157 في روزماري جارلاند تومسون 1996 المرئيات الثقافية للهيئة الاستثنائية. نيويورك: مطبعة جامعة نيويورك.

كارلتون كون 1962 أصل الأعراق. نيويورك: الفريد كنوبف.

تشارلز داروين 1839مجلة الباحثين في الجيولوجيا والتاريخ الطبيعي لمختلف البلدان التي زارها اتس ام اس. بيجل. لندن: هنري كولبورن.

جون ديورانتوأليس ديورانت 1957 التصويرية للسيرك الأمريكي. نيويورك: ايه اس. بارنز.

فيت إيرلمان 1999 حرره بيرنث ليندفورز" شهوة الطموح": الجوقة الأفريقية في إنجلترا، 1891-1893. "الأفارقة على المسرح: دراسات في الأعمال الإثنولوجية عرض الأعمال.بلومنجتون اي ان مطبعة جامعة انديانا.

ليسلي فيدلر 1978النزوات: الخرافات وصور الذات السرية. نيويورك: سايمون وشوستر.

روبرت جي جوردون 1999تم تحريره بواسطة برنس ليندفورس رجال "بياان بوش": مشاهد في معرض الإمبراطورية، 1936. "الأفارقة على المسرح: دراسات في عرض الأعمال الإثنولوجيةبلومنجتون اي ان مطبعة جامعة انديانا.

جورج ام جولد ووالتر ل بيلي 1896 الشذوذ والسمات الطبية — فلاديلفيا بي ايه دبليو بي سونديرز.

جيفيري بي جرين 1999 حرره بيرنث ليندفورز" الوحي في الإنسانية الغريبة: ستة

الأقزام الكونغو في بريطانيا 1905-1907 في الأفارقة على المسرح: دراسات في الأعمال الإثنية عرض الأعمال – بلومنجتون اي ان مطبعة جامعة انديانا.

نيك هازيلوود 2000 – حياة وأوقات جيني باتون – نيويورك سان مارتنز.

ديفيد كلينجري وويلي هندرسون 1999 حرره بيرنث ليندفورز" باتا كيندي امجوزا ابن لوباجولا و قصة نشأة الأفارقة العبيد: دراسات في عرض الأعمال العرقية: بلومنجتون اي ان مطبعة جامعةانديانا.

فيليب بي جونيور كوهارتد - فيليب ب كوهارتد 3 و بيتر دبليو كوهارتد 1995- بي تي بارنوم أعظم عروض العالم – نيويورك الفريد أ نوب.

بيرنت ليندفورس 1983: السيرك الافريقي: مجلة الثقافة الامريكية 6(2) 9-14.

(محرر)1999الأفارقة على المسرح: دراسات في الأعمال الإثنية عرض الأعمال اي ان بلومنجتونمطبعة جامعة إنديانا. مؤلف كتاب "تشارلز ديكنز وزولوس".

مارشاند2003 اس "الكهنة بين الأقزام: فيلهلم شميدت والإصلاح المضاد للإثنولوجيا في النمسا" في المقاطعات العالمية: الأنثروبولوجيا الألمانية في عصر الإمبراطورية. آن أربور، ام ايمطبعة جامعة ميشيغان.

جورج اودل 1931حوليات نيويورك المرحلة. المجلد. السادس [1850-1857]. نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا.

نيل بارسونز 1999 حررهبيرث ليندفورز كليكو: فرانز تيبوش رجل الترفيه في جنوب أفريقيا في إنجلترا، فرنسا، كوبا، والولايات المتحدة، 1908-1940، "في الأفارقة على المسرح: دراسات في الأعمال الإثنية عرض الأعمال.بلومنجتون اي ان – مطبعة

جامعة انديانا:

شين بيكوك1999 حررهبيرث ليندفورز. "أفريقيا تقابل فاريني العظيم." الأفارقة على المسرح: دراسات في عرض الأعمال الإثنولوجية.، دراسات في الأعمال الإثنية عرض الأعمال.بلومنجتون اي ان — مطبعة جامعة انديانا.

نايجل روثفلز، 1996 "الأزتيك، السكان الأصليون، وشعب القردة: العلوم والنزوات في ألمانيا 1850-1900"، في طومسون 1996.

جيفري بي ريديل 1999 حرره بيرنث ليندفورز" أحلك أفريقيا": عروض إفريقية في المعارض العالمية الأمريكية، 1893-1940، "في الأفارقة على المسرح: دراسات في الأعمال الإثنية عرض الأعمال بلومنجتون اي ان — مطبعة جامعة انديانا.

أيه اتش ساكسون 1989 — الأسطورة والرجل — نيويورك كلومبيا نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا.

جي ايليوت سميث والسير ارثر كيث واف جي بارسونز ام سي وبوكيت هارولد جي ايه بيك و جي ال ميريز 1931 الإنسان المبكر: أصله وتطوره وثقافته. لندن: إرنست بين ليميتد.

ديانا سنيجروويز1999. "الجنس و السيمانيين و العرض في فرنسا في القرن التاسع عشر؛ أوكيف نخمن وجود "رجل" من قرد. "المجلة الكندية للتاريخ 34: 51—81.

زي اس ستروثر 1999 حرره بيرث ليندفورز. "عرض لهيئة هوتينتوت "في الأفارقة على المسرح: دراسات في الأعمال الإثنية عرض الأعمال بلومنجتون اي ان — مطبعة جامعة انديانا.

روزماري جارلاند طومسون1996: فريكيري العروض الثقافية غير العادية للهيئة. نيويورك: مطبعة جامعة نيويورك.

كولين تيرنبول1968. سكان الغابة. نيويورك: سايمون وشوستر.